بسم الله الرحمن الرحيم

المنتقى

من التفسير الطبي

للآيات القرآنية

الدكتور

محمد جميل بن عبد الستار الحبّال

استشاري الطب الباطني

وباحث في التفسير الطبي في القرآن والسنة

المنتقى

من التفسير الطبي للآيات القرآنية

دار الفكر

أفاق معرفة متجددة

المنتقى من التفسير الطبي
للآيات القرآنية

د. محمد جميل بن عبد الستار الحبّال

الرقم الاصطلاحي: ؟؟؟؟،٠١١

الرقم الدولي: ISBN: 978-9933-10-???-?

الرقم الموضوعي: ٢٠ (علم المكتبات)

٢٣٢ ص، ١٧ × ٢٤ سم

الطبعة الأولى : ١٤٣٥هـ= ٢٠١٤م

التخطيط مفتاح النجاح

دار الفكر – دمشق ☎ ٠٠٩٦٣ ١١ ٣٠٠١

دار الفكر المعاصر – بيروت ☎ ٠٠٩٦١ ١ ٨٦٠٧٣٩

www.zamzamworld.com
موقع عربي للأطفال - متعة وتعلم

http:/www.fikr.com – e-mail:fikr@fikr.net

المحتوى

صفحة بيضاء

رقم 8

تقريظ

لما عزم مركز تعظيم القرآن الكريم في المدينة المنورة إعداد (**تفسير المدينة المنورة**)؛ منذ مطلع عام ١٤٣٣هـ، فقد وضعت خطة علمية، وشكلت هيئة لتأليف هذا التفسير ومراجعته، وكان من ضمن الخطة ذكر فوائد واستنباطات علمية، ومنها الفوائد الطبية، من أجل ذلك تقرر إسناد الآيات الطبية إلى طبيب خبير يجمع بين الطب وتدبر القرآن الكريم، وبعد الدراسة وقع الاختيار على سعادة الأستاذ الدكتور محمد جميل بن عبد الستار الحبال (استشاري باطنية)؛ الذي نبغ في الطب الباطني، وأبدع في إعجاز القرآن الكريم ضمن جهوده المتميزة في الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة (مكة المكرمة)؛ وذلك من خلال اهتمامه وقوة تدبره ونفسه الطويل في التفكر للوصول إلى ابتكارات معرفية مستندة على الأدلة العلمية، وقد عرضت عليه هذا الأمر فرحب مشكوراً على الرغم من كثرة انشغاله وما يعتريه من المشكلات الصحية وغيرها .

وقد انبرى بهمة عالية وخبرة غالية للقيام بالتفسير الطبي للآيات المتعلقة بعلم الطب وأفاد وأجاد، وكذلك في كتابه الموسوم (**المنتقى من التفسير الطبي للآيات القرآنية**). فله الشكر الجزيل والعرفان الجميل على موقفه النبيل في إنجاز هذا العمل الجليل، فقد أُعطي القوس باريها. والله تعالى ولي التوفيق.

أ.د. حكمت بن بشير ياسين

رئيس المجلس العلمي في مركز تعظيم القرآن الكريم.

المدينة المنورة - ١٤٣٥/٦/٢٦هـ / الموافق ٢٠١٤/٤/٢٦م

صفحة بيضاء
رقم 10

بين يدي الكتاب

(للمؤلف)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فقد طلب مني أخي الأستاذ الدكتور حكمت بن بشير ياسين رئيس المجلس العلمي لمركز تعظيم القرآن الكريم بالمدينة المنورة كتابة الجانب الطبي من (التفسير المعاصر) الذي سيصدر عن المركز المذكور. وقد تشرفت بهذا الطلب واستعظمته لأهميته وصعوبته، لأنه يحتاج إلى بيان الصحيح والجديد في تفسير الإشارات الطبية القرآنية، وهذا الأمر بحاجة إلى تضافر جهد جماعي، من أطباء متخصصين يجمعون بين الحقائق الطبية وما استجد منها وعلوم التفسير، فضلاً عن أن يكون شاملاً لأكثر من أربع مئة آية من آيات القرآن الكريم التي لها علاقة بالطب، والتي سبق أن قمنا بجمعها وإحصائها وفهرستها حسب موضوعاتها الطبية، وتفسير قسم منها في كتابينا: (الطب في القرآن)[١] و(العلوم في القرآن)[٢].

---

(١) دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧م.

(٢) دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨م.

وكما تقول الحكمة: (ما لا يدرك كله لا يترك جله)، قمنا - بالتوكل على اللّه وقبول هذا التكليف - وباشرنا في هذا المشروع وعلى مدى عامين تقريباً، وبجهدنا المتواضع أكملنا معظمه - ولله الفضل والمنّة - بتاريخ ١٥-١-١٤٣٥ هـ، سائلين المولى القدير أن يوفقنا للإضافة إليه كلما سنحت الفرص، أو يقوم بذلك غيرنا فالعلوم تكاملية ومتجددة! وكلما تقدمت المعارف والعلوم ازداد فهمنا لكتاب اللّه عز وجل! كما قال الإمام بدر الدين الزركشي: (ومن هذا الوجه، كل من كان حظه في العلوم أوفر، كان نصيبه من علم القرآن أكثر)[١].

ونظراً إلى أن اللجنة العلمية المشرفة على إصدار (التفسير المعاصر)، قد اختارت مقتطفات من تفسيرنا الطبي واختصرت أخرى، فإننا إتماماً للفائدة ووحدة الموضوع، فقد ارتأينا طباعته وإصداره على شكل كتاب مستقل أسميناه (المنتقى من التفسير الطبي للآيات القرآنية)، سائلين المولى عز وجل أن يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم، وينفع به، ويغفر لنا إن نسينا منه شيئاً أو أخطأنا في اجتهادنا في تفسيره ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢/٢٨٦]. حيث إن التفسير لآيات اللّه الكريمة هو جهد بشري، وفهمه متجدد (لا تنقضي عجائبه)! فالقرآن الكريم كله حق وحقه مطلق! قال تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٧/١٠٥].

فإن أصبنا في تفسيرنا فإن ذلك من فضل اللّه علينا وتوفيقه، وإن أخطأنا فهو من أنفسنا والقرآن منه براء!.

وفي الختام: فإنني أتوجه بالشكر الجزيل لشيخي الأستاذ العلّامة إبراهيم النعمة؛ لمراجعته الكتاب وملاحظاته القيّمة، والشكر موصول لأخي الوفي الشيخ الدكتور مروان وحيد شعبان الذي راجع الكتاب أيضاً وقام - جزاه اللّه خيراً - بإضافة ما يناسبه من أقوال المفسرين .

(١) البرهان في علوم القرآن، ٢/٢٥ الطبعة الأولى، الحلبي، القاهرة.

سائلين المولى عز وجل أن يجعل ذلك في رصيد أعمالهما يوم القيامة، وكذلك أشكر أبنائي الذين ساعدوني في طباعته وتنظيمه بصورته الأولية حفظهم الله، ووفّقهم جميعاً، وكل من شارك في هذا المجهود طباعةً ونشراً وتوزيعاً، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، والحمد لله رب العالمين.

صيدا : ١٢ ربيع الأول / ١٤٣٥ هـ

الموافق:١٣/١/٢٠١٤م

صفحة بيضاء
رقم 14

خطة العمل في الكتاب

الحمد للّه والصلاة والسلام على رسول اللّه وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أولاً: أهمية علم الطب:

يُعد الطب والعلوم المتعلقة به من أشرف العلوم الطبيعية وأهمها للأسباب الآتية:

١. ترتبط العلوم الطبية ارتباطاً مباشراً بقدرة اللّه عز وجل في خلق أفضل مخلوقاته، وهو الإنسان الذي فضله على جميع خلقه قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ١٧/٧٠].

٢. الطب من العلوم التطبيقية التي وصفها الإسلام بالعلوم النافعة، لذا فدراستها والعمل بها من العبادة طالما اقترنت بالنية الصالحة، لأن العلم الذي ينفع وينقذ أفضل مخلوقات اللّه وهو الإنسان، يكون علماً شريفاً ومباركاً. وقد قال الإمام الشافعي بهذا الخصوص (العلم علمان: علم الأبدان وعلم الأديان).

٣. تشكل الآيات التي فيها إشارات للعلوم الطبية أغلبية مقارنة بالآيات القرآنية التي فيها إشارات ترتبط بالعلوم الكونية والطبيعية الأخرى الواردة في القرآن الكريم، حيث تبلغ أكثر من ثلث عدد هذه الآيات، والبالغ عددها أكثر من ١٢٠٠ آية كما جاء في كتابينا (الطب في القرآن) و(العلوم في القرآن)، علماً أن مجموع عدد آيات القرآن الكريم هو ٦٢٣٦ آية.

ثانياً:- الموضوعات والتخصصات الطبية:

إن الطب علم واسع فيه كثير من التخصصات، من أهمها: الطب النفسي والطب الوقائي والطب العلاجي وطب الأطفال وطب الشيخوخة وطب النساء والتوليد وطب المجتمع وطب العيون وطب الأنف والأذن والحنجرة وطب الأمراض الجلدية وطب الأمراض الوراثية والطب الباطني الجراحي والطب الشرعي، فضلاً عن علوم التشريح والأجنة ووظائف الأعضاء والطب التمريضي (العناية بالمريض) والطب الغذائي وغيرها. لذلك فإننا عندما نفسر الآية الواحدة فقد تكون:

١. تحتوي على عدة نصوص يخصُّ كلٌّ منها موضوعاً طبياً معيناً من المذكورة أعلاه أو غيرها، كما في الآية الخامسة من سورة الحج في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥﴾ [الحج: ٢٢/٥].

فقد احتوت هذه الآية الكريمة على إشارات طبية في علم الأجنة وطب النساء والتوليد وطب الأطفال وعلم وظائف الأعضاء وطب الشيخوخة وغيرها.

٢. أو أن النص أو العبارة المقصودة الواحدة في الآية نفسها تعود إلى عدة تخصصات طبية كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٧/٣١].

فإن هذا النص فيه إشارة إلى الطب الوقائي والطب العلاجي والطب الغذائي.

ثالثاً:- أنواع الإشارات الطبية:

لدى استعراض الآيات التي فيها إشارات متعلقة بمواضيع طبية، وجدنا أن الإشارة قد وردت بأساليب مختلفة، منها الأسلوب الواضح والمباشر، ومنها الأسلوب العام غير المباشر. وقد قمنا بتقسيمهما وحسب اجتهادنا إلى الأنواع الأربعة الآتية، مع ذكر بعض الأمثلة لكل نوع:

أولاً: الإشارات الطبية الصريحة والمتخصصة:

أ. الآيات المتعلقة بعلم الأجنة ومراحل خلق الإنسان داخل الرحم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤﴾ [المؤمنون: ٢٣/١٢-١٤].

فقد ذكرت مراحل وأدوار نمو وتطور الجنين (١)، دور النطفة (٢)، دور العلقة (٣)، دور المضغة (٤)، دور العظام (٥)، دور إكساء العظام لحماً وذلك في نهاية الأسبوع السابع (٦) دور النشأة. وهذه كلها آيات طبية واضحة تخصّ علم الأجنة أثبت صحتها ومطابقتها للعلم الحديث كما جاء في المصدر المذكور. (للتفصيل راجع التفسير الطبي للآيات أعلاه ص١٨٩ - ١٩٥).

ب. الآية المتعلقة باستعمال منتجات النحل، ومنها العسل كغذاء وشفاء مادي في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٦٩﴾ [النحل: ١٦/٦٩]. فإن في ذلك إشارة واضحة ومباشرة إلى كون العسل (كأحد منتجات النحل وأهمها) يستعمل عقاراً، وهو مذكور في كثير من دساتير الأدوية العالمية، في فائدته كغذاء وكدواء لكثير من الأمراض، وهذا يدخل في موضوع الطب الغذائي والطب العلاجي. وقد نشرت مئات الأبحاث

والكتب الطبية دواعي استعمالاته وفائدته. وهذه الآية معناها طبي تخصصي واضح. (للتفصيل راجع التفسير الطبي لهذه الآية ص١٦٧ - ١٧٠).

ثانياً- الإشارات الطبية الصريحة والعامة:

حيث إن العبارة المقصودة بالإشارة الطبية، تحتمل عدة معانٍ وتفسيرات، تعود إلى موضوعات أخرى، إضافة إلى التفسير الطبي أو العلمي، من أمثلة ذلك:

أ. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ١٧/٣٢]، فالابتعاد عن الزنا يفسره الطبيب في موضوع (الطب الوقائي) إذ تعاطيه يؤدي إلى انتشار الأمراض الجنسية (Sexually Trasnmited Diseases) كمرض (متلازمة العوز المناعي المكتسب/ الإيدز). أما المتخصص الاجتماعي أو الاقتصادي، فيفسر ذلك من باب المحافظة على الأخلاق، ومنعاً من انهيار المجتمع، وعزوف الشباب عن الزواج، وكثرة أولاد الزنا واللقطاء (كما هو حاصل في الغرب)، وتفادياً لاختلاط الأنساب وغير ذلك، وكل هذه التفسيرات سواء الطبية منها أو الاجتماعية أو غيرها صحيحة. (للتفصيل راجع التفسير الطبي لهذه الآية ص٧٦).

ب. قوله تعالى: ﴿۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف: ٧/٣١]، فعدم الإفراط في المأكل والمشرب، يكون تفسيراً من قبل العالم الذي يعنى بتربية الروح، من باب الزهد وكبح جماح شهوات النفس، ويفسره العالم الاقتصادي من باب الترشيد وعدم التبذير، لأن الإسراف في ذلك يؤدي إلى هدر وضياع أموال الأمة. ولكن الطبيب يفسر هذه العبارة من هذه الآية المباركة من باب (الطب الوقائي)، والمحافظة على صحة الفرد والمجتمع (طب المجتمع)، حيث إن للجسم حاجته المحدودة من الطعام والشراب، والتي تكفي لعملياته الحيوية، فإن زادت عن ذلك ازدادت أعباء الجهاز الهضمي، وزادت فضلاته ومخلّفاته التي قد تتراكم في الجسم، وتلقي عبئاً على الأجهزة الأخرى المختلفة، كالكبد والقلب والكلى، التي تشارك في عمليات الأيض والتمثيل

والإفراز، كما أن الإسراف في الأكل يؤدي إلى السمنة، التي تؤدي بدورها إلى ظهور السكري وداء النقرس وحصوات المرارة والتهاب المفاصل وغيرها. (للتفصيل راجع التفسير الطبي لهذه الآية ص١٣٥ - ١٣٧).

إن جميع هذه المعاني الطبية وغير الطبية، الاقتصادية والاجتماعية في تفسير هذه الآية الكريمة والتي سبقتها، هي معانٍ صحيحة ومقبولة، والمعنى الطبي ليس تخصصاً فيها بالرغم من وضوحه فيها.

ثالثاً- الإشارات الطبية الإجمالية:

حيث ترد فيها العبارات المقصودة في الموضوع الطبي في الآيات القرآنية بشكل مختصر وبصورة غير مباشرة. وهذا هو الحال في أسلوب القرآن الكريم في موضوعات أخرى أيضاً، حيث يتميز بالإيجاز البليغ، الذي يكتفي بالإشارة والتلميح إلى الحقائق الأساسية العامة وبصورة إجمالية، ويتغاضى عن التفصيلات، والحكمة من إجمالها - والله أعلم - أن الإنسان سابقاً، لم يكن يعرف كثيراً عنها، لعدم توافر وسائل العلم الحديث في وقته، لذلك لم يكن ليفهمها لو فُصِّلَتْ له، ولدخل في متاهات تبعده عن الهدف الحقيقي للوحي، وهو هداية البشر وإنذارهم من يوم القيامة القادم، وترك تفسير معناها العلمي كل في أوانه، حيث ستفهم في ضوء معطيات التطور العلمي والفكري، وربما بعد الاستعانة بالوسائل والمخترعات والتكنولوجيا الحديثة، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٤١/٥٣].

ومن الأمثلة على هذا النوع من الإشارات الطبية ما يأتي:

أ. قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: ٦/١٢٥]، ففي هذه الحالة، إشارة غير مباشرة إلى تناقص الضغط الجوي والأوكسجين، كلما زاد الارتفاع في السماء، مما يؤدي إلى الضيق والحرج في الصدر (أي التنفس)، علماً أن

هذه الآية لها علاقة بموضوع وظائف الأعضاء (علم الفسلجة)، الذي هو من العلوم الطبية الأساسية. (للتفصيل راجع التفسير الطبي لهذه الآية ص١٣١ - ١٣٣).

ب. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء: ٥٦/٤]، وفي هذه الآية إشارة طبية إجمالية غير مباشرة، إلى وجود مراكز الإحساس بالألم (خاصة الحرارة) في الجلد، حيث تكثر فيه مستقبلات الألم في طبقات تحت الجلد كالعضلات والألياف، إذ تبديل الجلد وتجديده في جهنم بعد تلفه واحتراقه - أعاذنا الله من ذلك - يؤدي إلى إعادة تخليق مراكز الألم والإحساس، فيتجدد ويتضاعف العذاب والعياذ بالله، وكما هو معروف طبياً في حالة الحروق العميقة التي يفقد فيها الجلد، فإنها لا تؤلم، بينما في حالة الحروق السطحية فإنها تكون مؤلمة جداً، لانعدام المراكز الحسية في الأولى ووجودها في الثانية. وهذه الآية لها علاقة بعلم وظائف الأعضاء (الفسلجة) والجلدية، وكذلك بالجراحة (الحروق). (للتفصيل راجع التفسير الطبي لهذه الآية ص١١١ - ١١٣).

ج. قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾ [القيامة: ٣٩/٧٥]، كلمة (منه) في هذه الآية المباركة قد تعود إلى الإنسان في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦/٧٥]، أو تعود إلى المني في الآية التي تليهان قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ [القيامة: ٣٧/٧٥]، حيث إن الهاء في الضمير منه (فجعل منه) قد تعود إلى (المني) الذي يمنى[١].

وفي هذه الآية إشارة غير مباشرة (إجمالية)، إلى كون المني يحمل صفة الذكورة والأنوثة، فمن المني يجعل الله الزوجين الذكر والأنثى، وهو الذي يقرر ذكورة أو أنوثة الجنين في مستوى علم النطف. وهذا ما اكتشفه العلم حديثاً، فبيضة الأنثى تحمل دائماً كروموسوم الجنس (x) المتعادل. أما الحيامن المنوية من الذكر، فنصفها يحمل كروموسوم (Y) الذكورة،

(١) تفسير الخازن، ٣٣٧/٤ ، دار المعرفة، بيروت.

ونصفها الآخر يحمل كروموسوم (X) الأنوثة. فعند الإخصاب إذا أخصب الحيمن الذي يحمل كروموسوم (Y) - الذكورة - البيضة فإن الجنين سيكون بإذن الله ذكراً (xy). أما إذا أخصب الحيمن الذي يحمل كروموسوم (x) البيضة، فسيكون الجنين بإذن الله أنثى (xx). وهذه الآيات المذكورة في هذا المثال لها علاقة بعلم الأجنة، وكذلك بعلم الوراثة الذي هو من العلوم الطبية. (لزيادة التفصيل راجع التفسير الطبي لهذه الآيات من ص ٢١٩-٢٣٣).

رابعاً- الإشارات الطبية المستنبطة:

إن بالإمكان الاستدلال واستنباط بعض الحقائق العلمية والطبية من بعض الآيات التي فيها هذه الإشارات، وذلك بتطبيق القواعد العلمية، واستعمال الوسائل الجديدة التي توصَّل إليها الطب والعلم الحديث، ومن أمثلة ذلك قديماً وحديثاً ما يأتي:

أقل مدة للحمل: فقد استنبط أمير المؤمنين علي ﷺ وكرم الله وجهه أن أقل مدة للحمل هي ستة أشهر، وذلك من قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ٤٦/١٥]، وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ٣١/١٤]، (حيث إن ٣٠ - ٢٤ = ٦)[١].

وقد أثبت الطب الحديث صحة ذلك، فيمكن أن يعيش المولود الجديد (الخدج) لأقل مدة حمل وهي ستة أشهر، خاصة باستعمال وسائط الرعاية الحديثة للأطفال الخدج كالحاضنات[٢]، وهذا المثال له علاقة في طب النسائية والتوليد.

أ. تحديد وقت حركة الجنين: نستطيع أن نستنبط والله أعلم أن القرآن

(١) للتفصيل راجع كتاب (المغني) لابن قدامة، ٤٧٧/٧.
(٢) محمد علي البار (مدة الحمل: أقله وأكثره في الشرع والطب والقانون) مجلة الطب الاسلامي العدد٤، ص ٧٧٥ (١٩٨٦)

حدد وقت حركة الجنين داخل الرحم بثمانية عشر أسبوعاً، ونستدل على ذلك من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢/٢٣٤]. ومن المعلوم طبياً أن حركة الجنين تشعر بها الحامل عادة في الأسبوع السادس عشر، في حالة كونها متعددة الولادات سابقاً (Multigravida)، أو في الأسبوع العشرين إن كانت تحمل لأول مرة (Primigravida)، ومعدل الرقمين هو ١٨ أسبوعاً (والتي تعادل أربعة أشهر وعشرة أيام)، إضافة إلى أن الرحم وإمكانية ظهوره والكشف عنه سريرياً بالفحص الخارجي للبطن (حيث يصل أعلى الرحم إلى تحت السرة بقليل في هذه المدة). وإن الحكمة من ذلك والله أعلم، هو استبراء الرحم وضمانٌ لحقوق الأم والطفل والمجتمع، حتى لا تختلط الأنساب وتضيع الحقوق. يقول صاحب كتاب (حكمة التشريع وفلسفته): هذا وتجب العدة على المتوفى عنها زوجها سواءً كان مدخولاً بها أو غير مدخول بها، وسواءً كانت ممن تحيض أو ممن لا تحيض (لعموم قوله تعالى في الآية رقم ٢٣٤ من سورة البقرة)، والحكمة من جعل العدة ترجع إلى عدة أمور منها:

١. العلم ببراءة الرحم وطهارته حتى لا يجتمع ماء الواطئين في رحم واحد، فيختلط النسب.

٢. إظهار احترام العقد وتعظيمه.

٣. احترام حق الزوج المتوفى وإظهار الأسى على فقده.

٤. إظهار الحزن بفوت نعمة النكاح وتعريف لقدرها.[١]

وإن الأرملة الحامل التي لا تدري بأن في أحشائها جنيناً، ولم تدرك ازدياد حجم رحمها بكبر بطنها عادة، إما لجهلها أو لغياب أعراض الحمل المعروفة عندها، أو لعدم مراجعتها للأطباء، أو لعدم توفر وسائل الكشف والتأكد من وجود الحمل (التي قد لا تتوافر في كل زمان ومكان رغم

(١) علي أحمد الجرجاوي (حكمة التشريع وفلسفته) ٦٢/٢، ط١، مطبعة اليوسفية بالقاهرة (١٩٣١).

شيوعها)، فإنها سوف تعلم أنها حامل بحركة الجنين داخل رحمها، الذي يقول بلسان حاله وحركته لها: (يا أماه إنني هنا في أحشائك فلا تتزوجي حتى تلديني وتكملي عدتك)! وحركة الجنين وارتكاضه في بطن أمه تكون في حوالي الأربعة أشهر وعشرة أيام (١٨ اسبوعاً)، كما استنبطنا من هذه الآية المباركة موضوع البحث، وإن كان من الثابت علمياً أن حركة الجنين تبدأ قبل هذه المدة، ومن الممكن تسجيلها بأجهزة طبية خاصة كالسونار، ولكن الأم لا تشعر بهذه الحركة إلا في المدة المذكورة أعلاه، فسبحان الله الحكيم العليم. (للتفصيل راجع التفسير الطبي لهذه الآيات في ص٨٢ - ٨٨).

رابعاً:- الترابط بين الأحكام الفقهية والحقائق الطبية:

حيث إن هناك ترابطاً وخلفية طبية لكثير من الأحكام الشرعية والفقهية والعبادات، وقد ندرك هذه الحكمة في بعضها ولا ندركها في البعض الآخر. والمسلم يقوم بتطبيقها بغض النظر عن الحكمة أو الفائدة المرجوة منها، حيث إن الالتزام بهذه العبادات والأحكام هو من الطاعة، والالتزام بها كأمر تعبّدي. ولكن بالتدقيق العلمي لها استدل الباحثون على مطابقتها لكثير من النتائج التي توصل إليها العلم والطب، في تحقيق الفائدة للفرد والمجتمع، كما هو الحال في أحكام الحيض وعدة المطلقة والأرملة، وأحكام الرضاعة وتحريم الخمر والزنا وأكل لحم الخنزير، وغير ذلك من الأحكام، وكذلك في العبادات كالصلاة والصوم. وللتوضيح نورد بعض الأمثلة على ذلك:

١. قال تعالى: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ﴾ [البقرة: ٢/٢٢٨]، فالخلفية العلمية الطبية لعدة المطلقة في كونها ثلاثة قروء (حوالي ثلاثة أشهر)، هي لاستبراء الرحم حتى لا تختلط الأنساب (كما هو الحال في عدة الأرملة)، فالمعروف طبياً أن المرأة الحامل قد يحدث لها ما يشبه الحيض وفي وقته تقريباً في الشهرين الأولين من الحمل؛ مما يجعلها تعتقد بأنها غير حامل، ولكن هذا الشيء لا يتكرر عادة في الشهر الثالث. فللتأكد من أن رحم المرأة المطلقة لا يحمل جنيناً جعلت المدة ثلاثة قروء، والله أعلم.

(للتفصيل راجع التفسير الطبي لهذه الآية ص٧٩ - ٨٢).

٢. وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢/٢٣٣]، فيها إشارة طبية إلى أهمية إتمام الرضاعة لمدة عامين وأفضليتها، وقد أثبتت الدراسات والبحوث الطبية، أفضلية وأهمية الرضاعة الطبيعية الأمومية (رضاعة الثدي)، مقارنة بالرضاعة البقرية أو الصناعية (رضاعة القنينة)، للمحافظة على الصحة الجسمية والعقلية والنفسية للطفل وللأم على حد سواء، حيث أوصت تقارير منظمة الصحة العالمية (WHO)، والجمعيات الطبية العالمية المتخصصة بطب الأطفال، فضلاً عن منظمة اليونسيف (UNICEF)، بالاستمرار على الرضاعة الأمومية لأطول مدة ممكنة وحتى العامين، لأن هؤلاء الأطفال يكونون أقل إصابة بالأمراض العضوية والانتقالية والنفسية، مقارنة بغيرهم من الأطفال الذين لا ترضعهم أمهاتهم، فضلاً عن زيادة معادل الذكاء .I.Q لديهم. (لزيادة التفصيل يراجع التفسير الطبي لهذه الآية ص ٨٩ - ٩٦).

وخلاصة القول: فإننا في تفسير الآيات الكريمة المتعلقة بالطب، فإننا سوف نقوم بعون الله تعالى بتفسيرها وفق ما توصل إليه الطب والعلم الحديث، حسب موضوعاتها وتخصصاتها الطبية، وأنواع إشاراتها المذكورة أعلاه، وصولاً لفهم الحكم والفوائد الناتجة عنها. وقد ذكرنا (وباختصار) بعض ما قاله المفسرون قديماً وحديثاً، بخصوص هذه الآيات حسب موضوعاتها، وبعد ذلك أوردنا تفسيرنا الطبي لها. حيث إن الله عز وجل لا يأمر إلا بما فيه الخير والفائدة، ولا ينهى عن شيء إلا ما فيه السوء والضرر، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ٦٧/١٤].

ونحن لا ندعي في كتابنا هذا أننا استطعنا الإحاطة بجميع أركان الموضوع، وأكملنا إحصاء وتفسير كل الآيات المتعلقة بالإشارات الطبية في القرآن الكريم، لأن هذا الأمر هو أكبر من إمكانية أي شخص كان أو حتى مجموعة أشخاص، فضلاً عن أن ذلك يعتمد على مدى معرفة الفرد بالعلوم

القرآنية والعلوم الطبية، وكلاهما من العلوم الواسعة والعميقة، ولايستطيع أي إنسان الإحاطة بهما، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ١٧/٨٥]. ولذلك أسميناه (المنتقى) إشارة إلى الحاجة للمزيد والتجديد!

وحسبنا (ومن الله التوفيق والعون) أننا وضعنا خطوطاً عريضة، من الممكن الإضافة إليها وتطويرها بمرور الزمن، وكلما ازداد الاهتمام بتعليم ودراسة وتدبر القرآن الكريم، وكذلك بتقدم العلوم ووسائل الطب والمعرفة، فإن بالإمكان للمتخصصين في الطب والعلوم الطبيعية الأخرى الإفادة من هذا البحث والعمل على منواله، كلٌّ في مجال تخصصه وعلمه.

هذا وقد رتبنا موضوعات التفسير الطبي للآيات الكريمة في (المنتقى)، حسب ورودها في ترتيب سور القرآن الكريم في المصحف الشريف.

هذا وقد سبق أن قمنا بتفسير عدد آخر من الآيات القرآنية طبياً، يمكن الرجوع إليها في مؤلفاتنا وعلى موقعنا في الشبكة العنكبوتية، ومن أهمها (التفسير الطبي لقصة أهل الكهف) و (الإشارات الطبية المستنبطة من خصوصية عقوبة قوم لوط)(١) أو كتاب (الموضوعات الطبية في القرآن الكريم)(٢). والله الموفق.

---

(١) محمد جميل الحبال (العلوم المعاصرة في خدمة الداعية الإسلامي)، الفصل الثامن والتاسع، ص ١٤٠-١٧٣، مكتبة دار المنهاج القويم، دمشق (٢٠٠٦م).
(٢) محمد جميل الحبال، دار الفكر، دمشق، ٢٠١٥م.

صفحة بيضاء
رقم 26

(سورة الشفاء والرقية)

إن سورة الفاتحة هي (أم الكتاب) و(أم القرآن)، أي زبدته وخلاصته. وقد ذكر المفسرون أن معاني القرآن الكريم جميعاً مذكورة فيها، فمثلاً يقول القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن ١/١١٠-١١٣):

(وفي الفاتحة من الصفات ما ليس لغيرها حتى قيل إن جميع القرآن فيها... فقد تضمنت جميع علوم القرآن... وبهذا صارت أم القرآن العظيم). فكما أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن فالفاتحة تعدله كله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: ١٥/٨٧].

إن القرآن الكريم **شفاء**، كما ورد ذلك في الآيات المباركة الآتية:

١. ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ١٧/٨٢].

٢. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: ١٠/٥٧].

٣. ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ [فصلت: ٤١/٤٤].

يقول ابن قيّم الجوزية: (فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية وأدواء الدنيا والآخرة. وما كل أحد يؤهل ولا يوفق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به ووضعه على دائه بصدق وإيمان وقبول تام، واعتقاد جازم واستيفاء شروطه، لم يقاومه الداء أبداً، وكيف تقاوم الأدواء كلام رب العالمين، الذي لو نزل على الجبال لصدّعها أو على الأرض لقطعها .**فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان، إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه والحمية منه، لمن رزقه الله فهما في كتابه**)[١].

فكما أن القرآن شفاء، فالفاتحة (أم القرآن) هي شفاء أيضاً. ولذلك كان أحد أسمائها (**الشافية والواقية**)، فهي تقي وتشفي من الأمراض والآفات، ولذلك تسمى أيضاً سورة (**الشفاء**)، كما قَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ: "فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ **شِفَاءٌ** مِنْ كُلِّ دَاءٍ" رواه الدارمي[٢].

والحديث يدل على شفاء الأمراض مطلقاً، سواء المعنوية منها أو البدنية، وهذا ما ذهب إليه شرّاح الحديث، يقول الإمام القاري: أي في آياتها وكلماتها وحروفها، قراءة وكتابة، للتعليق وللحسن، (شفاء من كل داء) ديني أو دنيوي، حسي أو معنوي، قال الطيبي: يتناول داء الجهل والكفر والمعاصي والأمراض البدنية[٣].

كذلك فإن من أسمائها (**الرقية**). لما روي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللّه ﷺ فِي سَرِيَّةٍ فَنَزَلْنَا بِقَوْمٍ فَسَأَلْنَاهُمْ الْقِرَى فَلَمْ يَقْرُونَا فَلُدِغَ سَيِّدُهُمْ فَأَتَوْنَا فَقَالُوا: هَلْ فِيكُمْ مَنْ يَرْقِي مِنَ الْعَقْرَبِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ أَنَا وَلَكِنْ لا أَرْقِيهِ حَتَّى تُعْطُونَا غَنَماً، قَالَ: فَأَنَا أُعْطِيكُمْ ثَلاثِينَ شَاةً، فَقَبِلْنَا، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ الْحَمْدُ لله (أي سورة الفاتحة) سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَبَرَأَ وَقَبَضْنَا الْغَنَمَ، قَالَ: فَعَرَضَ فِي أَنْفُسِنَا مِنْهَا شَيْءٌ، فَقُلْنَا: لا تَعْجَلُوا حَتَّى تَأْتُوا رَسُولَ اللّه ﷺ،

(١) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣٥٢/٤.
(٢) السنن ٥٣٨/٢ برقم (٣٣٧٠) وإسناده صحيح.
(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، ١٤٨٨/٤.

قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَيْهِ ذَكَرْتُ لَهُ الَّذِي صَنَعْتُ، قَالَ: وَمَا عَلِمْتَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ، اقْبِضُوا الْغَنَمَ وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهْمٍ"(١).

فقراءة الفاتحة هي وقاء وشفاء من الأمراض بأنواعها، كما أنها رقية شرعية بالنسبة للإنسان المسلم إذا قرأها لنفسه أو لغيره! ولكن قد يسأل سائل ما هي الآلية أو التفسير الطبي لكون القرآن بصورة عامة، والفاتحة بصورة خاصة، وقاء وشفاء من الأمراض النفسية والعضوية؟ والجواب على ذلك لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، ولكن بالتقدم العلمي والطبي بدأت تظهر لنا بعض هذه التفسيرات، والتي منها والله أعلم ما يلي:

١- التأثير على مركز الإيمان في الدماغ:

نشرت مجلة (العلم والحياة - Science and Life) الفرنسية في عدد آب ٢٠٠٢م (ص٣٣-٥٢)، وعدد آب ٢٠٠٥م (ص٤٨-٦٨) مقالين تحت عنوان (لماذا نؤمن بالله) يخلصان فيهما: أنه تبين للباحثين في عمل الدماغ من الوجهة الوظيفية والتشريحية والكيميائية والمعرفية، بأن دماغ الإنسان مبرمج ومخلوق على الإيمان والشعور الديني، مع وجود مناطق فيه منوط بها هذا الشعور، تسمى مناطق الإيمان (center of faith)، فالعمليات الدماغية التي تسيِّرُها وسائط كيميائية (Neuromediaters)، ومنها مادة السيروتونين (Serotonine) (والتي تسبب الاطمئنان والشعور بالارتياح والسرور) تكون قليلة عند المحبطين نفسياً من غير المؤمنين، بينما تزداد عند المؤمنين.

لذلك كانت آيات القرآن الكريم تتفاعل مع مراكز الإيمان في الدماغ إيجابياً عند سماع الإنسان لها، والسماح لها بالدخول والانسياب عبر القنوات الحسية، خاصة السمع والبصر (Sensory input). فعندما يسمع الإنسان آيات القرآن الكريم بتدبر وفهم، فإنها تتفاعل معه إيجابياً، فينشرح صدره،

(١) صحيح البخاري ١٢١/٣ برقم (٢٢٧٦).

ويتخلله شعور بالارتياح والحبور، من خلال تنشيط إفراز مادة السيروتونين أو غيرها مما قد يكشفه العلم مستقبلاً.

٢- تقوية الجهاز المناعي:

فقد ثبت علمياً أن التأثير النفسي الإيجابي، ينتقل إلى المنظومة (العصبية - الهرمونية - المناعية) (Neuro-Endocrino-Immunity System)، فيعمل على رفع مقاومة الجسم للأمراض العضوية والسرطانية، وذلك بتعزيز الخطوط المناعية المتعددة في الإنسان، وصولاً لرفع المناعة وكبح أو القضاء على الجراثيم المعدية والخلايا غير الطبيعية، التي يكوّنها الجسم أحياناً، والتي في حالة ضعف هذه الخلايا والعوامل المناعية (الجهاز المناعي)، قد تتغلب عليه وتحدث الأمراض والأورام. وقد وجد أن بعض هذه الهورمونات، تزيد في حالات القلق والتوتر والغضب، مثل الكورتيزون والأدرينالين والنورأدرينالين (Cortison, Adrenaline, NorAdrenaline) وغيرها، والتي لها مفعول سلبي وتثبيطي للجهاز المناعي. فإن هذه الهورمونات تُفْرَزُ بصورة اعتيادية ومتوازنة عند المؤمنين، لذلك فهم في وقاية من هذه الأمراض وأقل إصابة بها، نظراً لحدوث الطمأنينة في النفوس عند قراءة أو تلاوة القرآن الكريم، أو سماعه وذكر الله عز وجل فيه لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ١٣/٢٨]. أما غير المؤمنين حيث يضطرب عندهم عمل هذه المنظومة بسبب القلق النفسي والتوتر والإحباط الذي يعيشون فيه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ٢٠/١٢٤]، فيحصل عندهم ضعف في الجهاز المناعي، مما يعرضهم للإصابة بالأمراض العضوية، فضلاً عن النفسية التي يصابون بها بصورة أكثر وأشد، مما يسبب لهم الضنك واليأس في حياتهم، فتزيد عندهم نسبة الانتحار، كما هو معروف وموثق في الإحصاءات والدراسات الطبية.

لذلك، فإن في قراءة القرآن الكريم بصورة عامة، وقراءة آيات الشفاء فيه، وكذلك سورة الفاتحة (سورة الشفاء والرقية) بصورة خاصة، لنفسه أو لغيره، دوراً وقائياً من الأمراض بأنواعها (العضوية والنفسية)، والتخفيف أو إزالة هذه الأمراض في حالة حدوثها. وهذا لا يتحقق إلا بتوفر شرطين مهمين:

١. قراءتها بنية الشفاء والاعتقاد الجازم والإيمان الكامل والثقة بالله بفائدتها، كما ذكر ذلك ابن القيم أعلاه.

٢. الأخذ بالأسباب المادية والوسائل الطبية، وبأحدث ما توصل إليه العلم للوقاية والعلاج من هذه الأمراض، لقوله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالشِّفَاءَيْنِ: الْعَسَلِ وَالْقُرْآنِ»[(١)]. أخرجه الحاكم وصححه[(٢)]، وقوله ﷺ: «يَا عِبَادَ اللّه تَدَاوَوْا،فَإِنَّ اللّه لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً،أو قَالَ دَوَاءً، إلا دَاءً وَاحِداً، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّه وَمَا هُوَ؟ قَالَ:الْهَرَمُ»[(٣)].

وقوله أيضاً: «مَا أَنْزَلَ اللّه دَاءً إلا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»[(٤)].

وفي هذه الأحاديث الشريفة حث للأطباء للبحث والاستقصاء، لاكتشاف أدوية لأمراض لم يعرف لها دواء حتى الآن، فضلاً عن الأمر بالأخذ بالأسباب المادية، وكذلك الإيمانية القرآنية كما ورد أعلاه.

---

(١) رواه ابن ماجة في السنن ٥٠٧/٤ برقم (٣٤٥٢)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٢٠٠/٤ و ٤٠٣.

(٣) رواه الترمذي في السنن ٣٨٣/٤ برقم (٢٠٣٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح.

(٤) صحيح البخاري ١٥٨/٧ برقم (٥٦٧٨).

صفحة بيضاء

رقم 32

التفسير الطبي للآيات العشرين الأولى من سورة البقرة

(المؤمنون، الكافرون، المنافقون)

سنذكر وبعون الله وتوفيقه أهم الإشارات الطبية في تفسير الآيات من رقم ٢ إلى رقم ٢٠ من سورة البقرة التي تناولت صفات المؤمنين والكافرين والمنافقين ومصير كل منهم وحسب الجدول الآتي:

ت	الأصناف	عدد الآيات ورقمها	المصير
١	المؤمنون	٤ (من الآية رقم ٢، إلى الآية رقم ٥)	﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ من الآية رقم (٥)
٢	الكافرون	٢ (من الآية رقم ٦، إلى الآية رقم ٧)	﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ من الآية رقم (٧)
٣	المنافقون	١٣ (من الآية رقم ٨، إلى الآية رقم ٢٠)	﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ من الآية رقم (١٠)

فالمؤمنون أولاً، وهم أصحاب القلوب المطمئنة والسليمة، ذكر الله صفاتهم الحميدة، وأثنى عليهم في أربع آيات، وصولاً إلى كونهم من المفلحين في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:

٢/٥]. **والكافرون ثانياً**، أصحاب القلوب المغلقة والقاسية (الذين ختم الله على قلوبهم)، نتيجة لكفرهم واستكبارهم وإعراضهم، وصولاً إلى عقابهم (ولهم عذاب عظيم)، وذلك في آيتين فقط في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [البقرة: ٢/٦-٧]. **والمنافقون ثالثاً**، أصحاب القلوب المريضة، الذين (في قلوبهم مرض)، فقد ذكر صفاتهم وفصلها في ١٣ آية، لخطورتهم على المجتمع، وصولاً إلى فضحهم وخزيهم في الدنيا، والعذاب في الآخرة لكذبهم وخداعهم قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ [البقرة: ٢/ ١٠]. والذي سنفصله لاحقاً:

١- فما تفسير قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾، هل هو مرض مجازي (نفسي) أم حقيقي (عضوي)؟

٢- وما الفرق في حالة القلب عند المؤمن والكافر والمنافق؟

٣- وما المقصود بالقلب في القرآن الكريم؟ هل هو العضو الصنوبري في القفص الصدري، أم مركز الإدراك والعقلنة في الدماغ (الناصية)؟ أم كلاهما؟ وما المقصود بالفؤاد في المصطلح القرآني؟ هل هو القلب أم هو شي آخر؟ وإن كان كذلك فأين يقع وما وظيفته؟

٤- ولماذا فصَّل القرآن في صفات المنافقين وأوجز في الكافرين؟

٥- وما أهم الإشارات الطبية المستنبطة من هذه الآيات موضوع البحث أعلاه؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها وبإيجاز (والله أعلم بمراده) كما يأتي:

لقد وردت كلمة (القلب) وتصريفاتها في القرآن ١٣١ مرة، وكلمة (المرض) على مستوى الجذر ٢٤ مرة، أما ارتباط الكلمتين في آية واحدة، فقد وردت ١٢ مرة. ونجد أن جميع المعاني الواردة فيها لا تدل مباشرة على

مرض عضوي في القلب، ولا على أي وظيفة فسيولوجية فيه، إنما على أمراض نفسية. فقد استخدمت الكلمتان (القلب والمرض) والله أعلم بمعانيهما المجازية، حيث وصف القرآن الكريم قلوب المؤمنين، قالَ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [البقرة: ٢/٤] بأنها قلوب سليمة، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٢٦/٨٩]، وقلوب مطمئنة ﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٦/١٠٦]. بعكس قلوب الكافرين والمنافقين التي ختم الله عليها وطبعها. فهل ستُظهر الدراسات والبحوث الطبية والإحصائيات المرضية مستقبلاً أن الإيمان يكون وقاية من الإصابة بالأمراض القلبية العضوية، كعجز القلب ومضاعفاته واضطراب ضربات القلب بأنواعها، وأمراض عدم كفاية الشرايين القلبية، كالخنّاق الصدري والجلطة والسكتة القلبية؟! وهل أن المؤمنين أقل إصابة بها مقارنة مع غيرهم؟! بالطبع فإن الإجابة عن ذلك تتطلب بحوثاً طبية مستفيضة وبمراكز متعددة. ولكن من المعلوم إحصائياً أن الوفيات بأمراض القلب والأوعية الدموية (خاصة الجلطات الوعائية القلبية والدماغية) في المجتمعات الغربية، تتصدر قائمة أسباب الوفيات (القاتل رقم ١)، مقارنة بنسبة حدوثها في المجتمعات العربية والإسلامية. وبالطبع فإن ذلك يعتمد على أنماط الحياة المتبعة في كل مجتمع، فكلما اتجه المجتمع في نمط حياته إلى النموذج الغربي (المادي أو اللاديني)، زادت الإصابة بهذه الأمراض وغيرها من الأمراض التي تسمى بأمراض العصر، إذ إن لنمط الحياة الذي يتبعه الإنسان أثراً رئيساً على صحته، فأنماط الحياة الإسلامية تشتمل على كثير من الأساليب الإيجابية المعززة للصحة (كالطهارة والوضوء والصلاة والصوم وبقية العبادات)، وتأبى جميع السلوكيات السلبية المنافية للصحة (كالزنا وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير وبقية المحرمات). هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن القلوب المطمئنة السليمة العامرة بذكر الله تغمرها السعادة والراحة النفسية، فتكون في وقاية من الأمراض النفسية والعضوية، بعكس قلوب الكافرين والمنافقين (القلوب المختومة والمريضة)، فتكون شقية وتعيسة وقلقة ومليئة بهذه الأمراض والآفات، كما فصلنا ذلك في التفسير الطبي لسورة الفاتحة.

أما عن الفرق في حالة القلب عند المؤمن والكافر والمنافق، فقبل الجواب عن ذلك، علينا معرفة المقصود به في المصطلح القرآني. فإن للقلب والله أعلم كما ورد في القرآن معنيين، فهو إما المضخة العضلية الموجودة في القفص الصدري، التي تعمل من الحياة حتى الممات بتوزيع الدم النقي لغاز الأوكسجين، إلى مختلف أعضاء الجسم من خلال الدورة الدموية الكبرى، كما ترسل الدم المشبع بغاز ثاني أوكسيد الكاربون، الناتج عن التفاعلات الكيميائية في الأنسجة إلى الرئتين، لتنقيته بوساطة الدورة الدموية الصغرى، حيث يزود جميع أعضاء الجسد بالطاقة ومن أهمها الدماغ، أو أن القلوب هي المراكز العقلية والإدراكية الموجودة في الدماغ خاصة (مقدمة الفص الجبهي) (Prefrontal lobe)، حيث تتموضع فيه مختلف مراكز القوى العقلية والفكرية والشعورية، بحسب علم وظائف الأعضاء.

ويقول الطاهر بن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾ [البقرة: ٢/٧]: (وليس الختم على القلوب والأسماع، ولا الغشاوة على الأبصار كما توهمه بعض المفسرين فيما نقله ابن عطية، بل ذلك جارٍ على طريقة المجاز، بأن جعل قلوبهم أي عقولهم في عدم نفوذ الإيمان والحق والإرشاد إليها، وجعل أسماعهم في استكاكها عن سماع الآيات والنذر، وجعل أعينهم في عدم الانتفاع بما ترى من المعجزات والدلائل الكونية، كأنها مختوم عليها ومغشي دونها...... والمراد بالقلوب هنا: الألباب والعقول، **والعرب تطلق القلب على اللحمة الصنوبرية، وتطلقه على الإدراك والعقل، ولا يكاد يطلقونه على غير ذلك، وهو المراد هنا، ومقره الدماغ لا محالة. ولكن القلب هو الذي يمده بالقوة التي بها عامل الإدراك**)[(١)].

وبناءً على هذا التفسير، فإننا نعتقد والله أعلم وحسب استنباطنا، أن هناك منظومة إدراكية متكاملة مترابطة فيما بينها (القلب والدماغ)،

(١) الطاهر بن عاشور (تفسير التحرير والتنوير)، ١/٢٥١.

أساسها القلب وانعكاساتها في الدماغ، ممكن الاصطلاح عليها (المنظومة الإدراكية)، التي سنذكرها لاحقاً، حيث يكون القلب (الذي هو في الصدر)، العضو الأول والمدخل الرئيس والتدبر والفقه والعقل كما يفهم من أكثر الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مثل قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٢٢/٤٦]. وكذلك قوله ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**» متفق عليه.

وكما قال ابن منظور: (وقد يعبر بالقلب عن العقل. قال الفراء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٥٠/٣٧]، أي عقل. وقال الفراء: وجائز في العربية أن تقول: ما لك قلب وما قلبك معك. تقول ما عقلك معك وأين ذهب قلبك، أي أين ذهب عقلك)[١]. ويكون الدماغ كمركز تنفيذي يستلم الإيعازات، التي تنعكس بدورها على الأعضاء في الجسم، كأمر اليد بالحركة والرجل بالمشي واللسان بالنطق، كما هو الحال في المنظومة السمعية والبصرية، فالإنسان لا يسمع بأذنه ولا يبصر بعينه فقط، وما الأذن والعين إلا أدوات لنقل الإشارات الحسية السمعية والبصرية إلى حيث يتم إدراكها وفهمها داخل مراكز السمع والبصر في الدماغ. وإن لكل منهما منظومة متكاملة ومعقدة تبدأ من العين والأذن خارجياً (ظاهراً)، مروراً بالأعصاب والأجهزة المرتبطة بها، انتهاءاً إلى مراكز السمع (الفص الصدغي) ومراكز البصر (الفص القحفي)، ثم إلى مقدمة الفص الجبهي (الناصية)، المسؤول عن فهمهما وعقلنتها واتخاذ القرارات إزاءها كما وردته من القلب. وهذا ما بدأ العلم اكتشافه حديثاً، بكون القلب هو المدخل الأول لمراكز الإدراك عند الإنسان! (للتفصيل يراجع التفسير الطبي للآيات ذات الصلة بالموضوع عن القلب (ص ١٣٩ - ١٥٦)).

---

(١) ابن منظور (لسان العرب) ١٤٥/٣

أما عن (الفؤاد)، فقد ورد ذكره في القرآن مع تصريفاته (١٦) مرة، والفؤاد من التفوّد أي التّوقد وتفأدَ أي توقّدَ، فهو - والله أعلم - إشارة إلى الجهاز الحَلَقي (الحوفي) في الدماغ (Limbic System)، والموجود في جهتي فصي المخ داخلياً ووسطياً تحت قشرة الدماغ، وهو المسؤول عن العواطف والأحاسيس والغرائز والشهوات والأهواء، فهو ليس القلب (العضو الصنوبري الموجود في الصدر)، ولكن له ارتباطات وثيقة به، ويستلم المعلومات والأوامر منه، وله ارتباط وثيق مع بعض أجزاء الدماغ، كالقشرة المخية الصدغية ومقدمة الفص الأمامي (الناصية)، وكذلك أيضاً بالحواس الواردة خاصة السمع والبصر (Sensory Input)، لذلك ورد ذكره في معظم الآيات القرآنية مقترناً مع السمع والبصر قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ١٧/٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٦/٧٨]، وكذلك يرتبط بمقدمة الفص الجبهي للدماغ (الناصية)، الذي يقوم وبالتعاون مع القلب بتوجيهه والسيطرة عليه، كونه مركز الإدراك والمنطق واتخاذ القرارات. ومما يؤيد ذلك قوله تعالى بخصوص أم موسى ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ٢٨/١٠]. حيث إنها الآية الوحيدة في القرآن التي جمعت ذكر الفؤاد والقلب في بيان اختلاف وظيفتيهما، حيث إن كل لفظ في القرآن له خصوصيته وتميزه، وليس تكراراً لنفس المعنى كما هو رأي الذين ينفون الترادف والتماثل في كلمات القرآن، خاصة إذا وردت في آية واحدة. فبالنسبة لأم موسى، فمركز عاطفتها الأمومية (الفؤاد) كاد يفلت زمامه وتتصرف بعاطفتها، وليس بعقلها، وتكشف عن هويتها وعن ولدها ويتعرضان للخطر الفرعوني. ولكن الله جعلها تفكر بعقلها (قلبها) الذي ربطه وجعله يفكر ويقرر وسيطر به على عاطفتها (فؤادها)!!. وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ١٤/٣٧]، مما يشير إلى أن الأفئدة هي مركز الأهواء والأحاسيس والشعور العاطفي، كالمحبة، كما يفهم من هذه الآية الكريمة.

فالمؤمن وكأي إنسان يملك العواطف والغرائز والأهواء، لكنه يوظفها على وفق الشرع الحنيف وتعاليمه، ويوجهها الاتجاه الصحيح من قبل المراكز الذهنية العليا في الدماغ، فيكون متوازناً وإيجابياً في تصرفاته. أما الكافر فإن العلاقة بينهما مقطوعة لتعطيله وبإرادته لمركز العقلنة في قلبه أولاً وفي دماغه ثانياً، فيتصرف بشهواته وأهوائه حسب غرائزه، فيصبح كالحيوان الذي خلقه الله بدون مراكز ذهنية عليا، وإنما يتصرف غريزياً على وفق ما خلقه الله عليه وهداه له، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه: ٢٠/٥٠]، فهدى الحيوان منه إلى مطعمه ومشربه ومنكحه وغير ذلك. أما الإنسان فهو الكائن الوحيد الذي كرمه الله وفضله على جميع مخلوقاته، قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ۝٧٠﴾ [الإسراء: ١٧/٧٠]، وخلق له المنظومة الإدراكية في قلبه ودماغه للفهم والإدراك، لاتخاذ القرار حسب اختياره، وهداه للطريق المستقيم عن طريق الرسل والأنبياء والكتب السماوية ويسّر له الهداية، لذلك يصف القرآن الكافرين بالأنعام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ۝١٧٩﴾ [الأعراف: ٧/١٧٩]. لأن الكافر لم يوظف هذه المنظومة الإدراكية التي وهبها الله له، وإنما عطلها وأغلق عليها! وكذلك الحال بالنسبة للمنافق، فإنه بالرغم من معرفته بالحقيقة والصواب، لكنه غلبت عليه شهواته، وأطلق لها العنان، وعطل هذه المراكز أيضاً واتبع هواه. **فالمنافق لذلك يكون عذابه أكبر، لأنه عرف وانحرف بعكس المؤمن الذي عرف فالتزم، أما الكافر، فإنه استكبر وأنكر ولم يرد أن يعرف أو يفهم أصلاً! وعطّل جميع منظوماته الحسية كما هو موضح بالجدول الآتي:**

ت	المنظومة الحسية	حالتها المرضية	العضو الممثل لها	حالته المرضية
١	المنظومة السمعية	الصمم الدماغي ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ﴾ [الجاثية: ٢٣/٤٥]	الأذن	الصمم الخارجي
٢	المنظومة البصرية	العمى الدماغي-عمى البصيرة ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ﴾ [البقرة: ٧/٢]	العين	العمى الخارجي
٣	المنظومة الإدراكية	اتباع الشهوات ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [البقرة: ٧/٢]	القلب	الأمراض القلبية والدماغية

إن مواقف الناس باستعمال المنظومات المذكور أعلاه والوسائل المعرفية والمراكز الذهنية الدماغية العليا (وخاصة المنطقة الموجودة في مقدمة الفص الجبهي)، تجاه حقائق الإيمان وآيات الله القرآنية والكونية **تنقسم إلى ثلاثة أقسام:**

١. **المؤمنون** - فإنهم يوظفون هذه المنظومات بالطريقة الصحيحة، ويستفيدون من مراكزهم الحسية والإدراكية في فهم الحقائق والآيات القرآنية والكونية، ويدخلون ويحلّلون المعطيات الواردة، ويتوصلون بعد فهمها إلى الانقياد لأوامر الله تعالى والإذعان لها واتباعها، فإن الله عز وجل في حالتهم هذه، سيزيدهم فهماً وعلماً وإيماناً قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ۝١٧﴾ [محمد: ١٧/٤٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ۝٣٧﴾ [ق: ٣٧/٥٠]. وقال الضحاك: **(العرب تقول: ألقى فلان سمعه إذا استمع بأذنيه وهو شاهد بقلب غير غائب) كناية عن الفهم والإدراك والاتباع والانقياد، في إشارة أن القلب هو المدخل إلى مراكز الإدراك في الدماغ، فعن طريقه نسمع ونبصر ونعقل، وهذا لا يلغي مهام الأذن والعين أو الدماغ التي لا تقوم بدورها إلّا بأن يكون القلب حاضراً وشاهداً كما جاء في هذه الآية الكريمة.**

٢. **الكافرون**- فإنهم يغلقون على هذه المنظومات الحسية والإدراكية، ويعطلونها ولا يستفيدون من معطياتها ونعمها التي وهبها الله لهم بإرادتهم واختيارهم، ويبتعدون عن كل ما يهديهم إلى الحق وفهم الآيات القرآنية والكونية، ويكابرون ويمنعون بإرادتهم واختيارهم من دخول هذه المعلومات لإدراكها، وهم على مقدرة من ذلك، بدليل أنهم يفهمون الأمور الدنيوية الأخرى على أحسن وجه، فهم يسمحون بإدخال الأمور التي تهواها أنفسهم، كالأمور الشركية الخالية من التوحيد الخالص، حيث يسمحون بإدخالها وفهمها واتباعها خلافاً للحقائق الإيمانية ويتبعون أهواءهم ويمارسون الانتقائية في إدخال هذه المعلومات حسب شهواتهم، قال تعالى:

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر: ٤٥/٣٩]. لا، بل إنهم يتمادون في ذلك إلى حد الإصغاء التام والرضى والقبول، والاقتراف للأفكار المنحرفة وللأعمال السلبية والسيئة، قالَ تعالى:

﴿وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام: ١١٣/٦]. ولاحظ أخي القارئ الكريم هنا دقة التعبير القرآني في هذه الآية الكريمة، باستخدام كلمة (الأفئدة) التي هي مركز الأهواء والشهوات دون كلمة (القلوب) التي هي مركز التفكر والفهم في حالة الإصغاء والعقلنة، وما ينتج عنه من الانقياد والاتباع في حالة الإيمان والهداية، حيث إن قلوبهم قد ختم الله عليها فهم لا يهتدون، فإنهم والحالة هذه سيصابون بالصمم والعمى الدماغي (الداخلي)، قال تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يونس: ١٠/٤٢-٤٣]، فإنهم وبالتدريج سيخسرون تنشيط هذه المراكز الذهنية العليا من سمع وبصر، فيصابون بالأمراض النفسية والعضوية لعدم الاستفادة منها وعدم توظيفها على الوجه الصحيح في الحياة الدنيا، فضلاً عن الخسران الكبير في الحياة الآخرة، قال تعالى:

﴿وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٢٦﴾ [الأنعام: ٦/٢٦].

فالكافرون ينهون الناس عن سماع القرآن، ويبتعدون هم بأنفسهم عنه، وما يشعرون بضرر كفرهم وهلاك أنفسهم في الدنيا والآخرة.

٣. **المنافقون** - وهم الأخطر لأنهم كاذبون، ويُظهرون الإيمان ويُبطنون الكفر، حيث إنهم يوظفون هذه المراكز الدماغية، ويسمحون للمعلومات بالدخول إليها ويفهمونها! (بعكس الكافرين). ولكن لمرض في قلوبهم ولاتباعهم أهواءهم، فإنهم بدلاً من الإيمان والانقياد لها كما في حالة المؤمنين، فإنهم يخالفونها ويحرّفونها قال تعالى:

﴿يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢/٧٥]، فيتخذون القرار المعاكس داخلياً، وهو الكفر بها، ويظهرون للمجتمع الإيمان والصلاح. لذلك، فإن المجتمع قد لا يميزهم، وربما يسمع لكلامهم، وهذا مكمن الخطر فيهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ﴾ [المنافقون: ٦٣/٤]. ومن أجل ذلك، قال الله تعالى في وصفهم ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠﴾ [البقرة: ٢/٨-١٠].

انظر إلى دقة التعبير القرآني في قوله تعالى في حق المنافقين: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ حيث إن نفاقهم، أي كذبهم بإظهار الإيمان وإبطان الكفر، فاستحقوا بذلك العذاب الأليم. بينما بالنسبة للكافرين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧﴾ [البقرة: ٢/٦-٧].

فالكافرون: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ **والمنافقون**: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾، فذنبهم أعظم وخطرهم أكبر لكذبهم ونفاقهم، وهذا ما أكدت عليه الآيات القرآنية في بدايات سورة البقرة، فقد خصصت لهم

ثلاث عشرة آية! (الآيات ٨- ٢٠) لخطورتهم على المجتمع الإسلامي! بينما ذكرت المؤمنين في أربع آيات قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة: ٢/٢-٥] وذكرت الكافرين في آيتين فقط.! (الآيتان أعلاه ٦-٧)، حيث إنهم (أي الكافرين) صريحون في كفرهم وعداوتهم، والمجتمع يعرفهم ويميزهم! بخلاف المنافقين.

وهؤلاء المنافقون كالكافرين يضلهم الله ويطبع على قلوبهم، قال تعالى في وصفهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ [المنافقون: ٦٣/٣]، ويعانون أيضاً من الأمراض النفسية والعضوية القلبية والدماغية، وغيرها من أمراض انفصام وازدواج الشخصية، لعدم توظيف مراكزهم الإدراكية بالطريقة الصحيحة. وعذابهم وخزيهم أكبر من الكافرين كما ذكرنا أعلاه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ٤/١٤٥].

فالمنافقون (وكذلك بالنسبة للكافرين) فإن الله سبحانه وتعالى، وبعد بيان كل الوسائل المؤدية لهدايتهم، لكنهم امتنعوا وأعرضوا عنها، فإنه تعالى يطبع على قلوبهم ومراكزهم الذهنية العليا (مناطق العقلنة) ويختم عليها، فتصاب بالضمور التدريجي لسبب عدم التوظيف لها Disuse «Atrophy»، مما يؤدي إلى حدوث الخرف المبكر (Presenile Dementia) لديهم. وهذه الأمراض وغيرها من الأمراض النفسية والعقلية، هي من سمات المجتمعات المادية والإلحادية خاصة مرض الزهايمر (Alzheimer Disease) المنتشر في بلاد الغرب، ولكنه قليل الحدوث في المجتمعات والبلاد الإسلامية مقارنة بالبلاد الغربية!.

أما المؤمنون، فنظراً لأنهم يوظفون هذه المراكز، وينعشونها بتلاوة القرآن الكريم وحفظه، والذكر وغيره من العبادات، والتفكير في آلاء الله،

فإنها تنتعش، وخلاياها تنشط، ويحتفظون بملكاتهم الذهنية طيلة حياتهم المباركة، وتقل عندهم نسبة الإصابات بالأمراض العضوية والنفسية والعقلية، ومن أهمها الخرف المبكر (Presenile Dementia) المذكور أعلاه.

قال عكرمة في تفسير قوله تعالى:

﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٢٢/٥] (من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة!)[1] .

أما التفسير الطبي لقوله تعالى: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة: ٢/١٨] وكذلك قوله تعالى في نفس السورة: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة: ٢/١٧١]، ففيهما إشارة إلى مركز السمع وفهم الكلام المنطوق والمكتوب (البيان) والإبصار الدماغية، حيث إن الموصوفين بالـ ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ هم الكافرون والمنافقون، الذين يتمتعون بسمع جيد وبصر حاد ولسان ناطق. فإن كلمة (صم) هنا، تعني تعطيل عقلنة السمع، وكلمة (عمي) تعني تعطيل عقلنة البصر فتكون كلمة (بكم) آفة عقلية خاصة بعقلنة البيان والفهم للكلام. ومما يؤيد هذا التفسير قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [النحل: ١٦/٧٦].

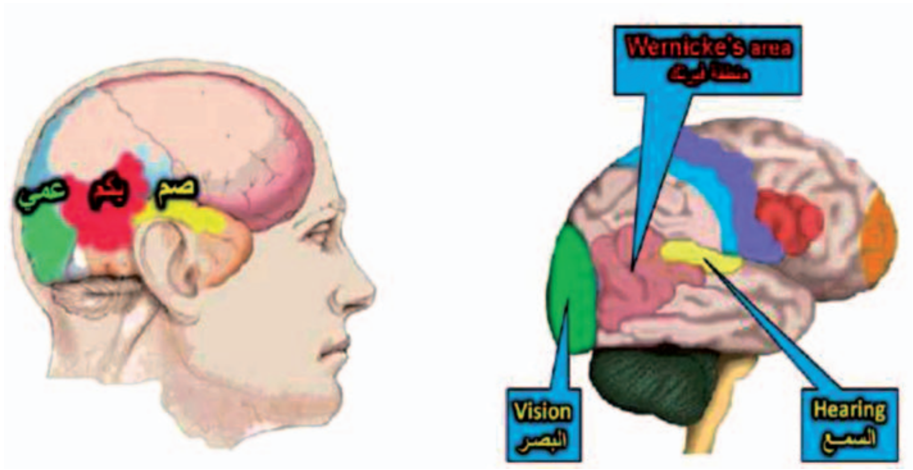
إذن فإن كلمة (أبكم) تشير إلى منطقة البيان الواقعة بين مركز السمع ومركز البصر في الفص الصدغي من الدماغ (منطقة فرنيكا) (Wernick's Area)، وفي حالة تعطيلها يؤدي ذلك إلى عدم إدراك الكلام أو فهمه.

والملاحظ أن ترتيب المواقع التشريحية لهذه المناطق على القشرة المخية للدماغ، جاء مطابقاً تماماً لترتيب ورودها في الآيات التي وردت فيها، وكأن القرآن الكريم يرسم لنا خريطة الدماغ! وهذا من الإعجاز

---

(١) تفسير الجلالين، دار الكتاب العربي، ط١، ص ٣٩٩، بيروت، ٢٠٠١.

الطبي القرآني؛ لأن الذي خلق الإنسان هو الذي أنزل القرآن، فلا بد أن يتطابقا ويفسر أحدهما الآخر؛ كما هو مبين بالشكل الآتي:



والملاحظ هنا أيضاً - ومن باب دقة التعبير والبلاغة القرآنية - أنه في الآية الأولى أعلاه، قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ والتي قصدت المنافقين، حيث استعمل القرآن كلمة (**لا يرجعون**) وفي الآية الثانية قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فقد قصدت الكافرين، واستعمل القرآن الكريم هنا-في الثانية - كلمة (**لا يعقلون**)؛ لماذا؟ إنه والله أعلم أن المنافق عرف الحق وانحرف عنه؛ فهو لا يرجع عن ضلاله وغيّه، حيث أنه من الذين عرفوا الحق ثم كفروا به والعياذ بالله. أما بالنسبة للكافر، فهو لم يرغب أصلاً أن يفهم أو يعرف أو يعقل، وعطّل مراكز البيان والعقلنة في دماغه، فأصبح كالحيوان لا يسمع إلّا صوتاً من راعي القطيع، ولكنه لا يفهم ما يقول ولايعقله؛ وكما قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة: ٢/ ١٧١]، وكذلك الكافر إن أمرته بخير أو نهيته عن شر أو نصحته لم يعقل ما تقول غير أنه يسمع صوتك؛ وهذا ما يعضد ما توصّلنا إليه في تفسيرنا لهذه الظاهره. والله أعلم بمراده والحمد لله رب العالمين.

صفحة بيضاء

رقم 46

التفسير الطبي للآية رقم (١٧٣) من سورة البقرة والآيات ذات الصلة بالموضوع

(تحريم أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهِلَّ به لغير اللّٰه)

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ [البقرة: ٢/ ١٧٣]، وفيها أمر بتحريم أكل الأمور الأربعة الآتية:

١. الميتة، ٢.الدم، ٣.لحم الخنزير، ٤. وما أهل به لغير اللّٰه.

وقد ذكر الباري عز وجل تحريم هذه الأمور في آيات ثلاث أخرى من كتابه العزيز، وهي الآيات رقم ٣ من سورة المائدة، و١٤٥ من سورة الأنعام، و١١٥ من سورة النحل. وفي ذلك تأكيد على هذا التحريم وتفصيل، وتوضيحه كما جاء في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٥/٣].

وبجولة في كتب المفسرين نقف عند أبرز الحِكم من تحريم هذه الأصناف التي ذكرتها الآية الكريمة، يقول الحافظ ابن كثير: يخبر تعالى عباده خبراً متضمناً النهي عن تعاطي هذه المحرمات من الميتة وهي: ما مات من الحيوان حتف أنفه، من غير ذكاة ولا اصطياد، وما ذاك إلا لما فيها من المضرة، لما فيها من الدم المحتقن، فهي ضارة للدين وللبدن، فلهذا حرمها الله عز وجل(١).

ويقول الإمام أبو السعود في تفسيره " إرشاد العقل السليم": شروعٌ في بيان المُحرَّمات التي أشير إليها بقوله تعالى ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾، والميتة ما فارقه الروحُ من غير ذبح، ﴿وَٱلدَّمُ﴾ أي المسفوحُ منه، لقوله تعالى: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ وكان أهلُ الجاهلية يصُبّونه في الأمعاء ويشْوونه ويقولون لم يحرم من فزد له أي من فصّدٍ له ﴿وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ أي رفعُ الصوت لغير الله عند ذبحِه كقولهم باسم اللات والعزى، ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ أي التي ماتت بالخنق، ﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾ أي التي قُتلت بالضرب بالخشب ونحوه مِنْ وَقَذْتُه إذا ضربته، ﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾ أي التي تردّت مِنْ علوٍ أو إلى بئرٍ فماتت، ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ أي التي نطحتها أخرى فماتت بالنطح، والتاء للنقل وقرئ والمنطوحة، ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ أي وما أكل منه السبُعُ فمات... ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ إلا ما أدركتم ذكاتَه وفيه بقيةُ حياةٍ يضطرِبُ اضطرابَ المذبوح، وقيل الاستثناء مخصوص بما أكل السبع، والذَّكاةُ في الشرع بقطع الحُلقومِ والمَرِيء بمُحدَّد(٢).

وفي تفسير البحر المديد: يقول الحق جلّ جلاله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ أي: ما ماتت حَتْفَ أنفها بلا ذكاة، ﴿وَٱلدَّمُ﴾ المسفوح، أي: المهروق، وكانت الجاهلية يصبّونه في الأمعاء، ويشوونها، ورُخِّصَ في الباقي في العروق بعد

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٣/١٤.
(٢) تفسير أبي السعود، ٣/٦.

التذكية، وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ، وكذا شحمه وسائر أجزائه المتصلة، بخلاف الشعر المجزوّ، ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ أي: رفع الصوت عليه عند ذبحه بغير الله، كقولهم: باسم اللّات والعزّى، وكذا ما تُرِكَ عليه اسم الله عَمْدًا، عند مالك ﴿وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ﴾ بحبل وشبهه حتى ماتت، ﴿وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ﴾ أي: المضروبة بعصا أو بحجر أو شبهه، من: وقذته وقذًا: ضربته، ﴿وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ﴾ أي: الساقطة من جبل أو في بئر وشبهه فماتت، ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ التي نطحتها أخرى فماتت، فإن لم تمت فإن كان في العصران الأعلى فكذلك، لا في الأسفل أو الكرش. ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ أي: أكل بعضه وأنفذ مقتله، والسبّع: كل حيوان مفترس كالذئب والأسد والنّمر والثعلب والنّمس والعُقاب والنّسر، ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ﴾ أي: إلا ما أدركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك(١).

وسنذكر أدناه أهم الأسباب الصحية التي من أجلها حرم الله تعالى أكل هذه الأشياء، مؤكدين أن الدراسات المنشورة في هذا الصدد (وعلى كثرتها)، لا تُظهر إلا قسماً يسيراً من مضارها. ونحن على يقين أن السنوات القادمة، وكلما تقدمت العلوم والمعارف وخاصة في المجال الطبي، ستكشف مزيداً من جوانب الإعجاز العلمي والتفسير الطبي في تحريم أكلها. والمسلمون عندما يمتثلون عدم أكل أو شرب هذه المحرمات وغيرها (كالخمر مثلاً) مما قررته الشريعة الإسلامية، فإنهم يقومون بذلك طاعة وعبادة لله بغض النظر عن الحكمة من تحريمها، حيث إنهم عبيد لله عز وجل وليس للحكمة، سواء عرفت أم لم تعرف، فضلاً عن أنهم متأكدون أن الله عز وجل قد أحلّ لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث، ولكن معرفة الحكمة من هذا التحريم متى ما توافرت تثبت التطابق بين التشريع الإسلامي وبين الحقائق الطبية الحديثة، وتثبت أن هذا الدين نزل بعلم الله تعالى الخالق، الذي يعرف حاجة البشرية ومصلحتها. قال تعالى: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ٦٧/١٤].

وسنتناول أدناه وباختصار شديد ما توصل إليه الطب والعلم الحديثان

(١) تفسير البحر المديد لابن عجيبة، ٢/٦.

من مضار تناول هذه المحرمات، مع بعض التفصيل بما يخص الخنزير للأهمية:

أولاً: الميتة

حرّم المولى عز وجل أكل الميتة لأن أكلها يكون ضاراً، فموتها ربما كان نتيجة لمرض جرثومي معد أو طفيلي قد ينتقل إلى آكل لحم الميتة، حيث إنه عند موتها تتوقف الدورة الدموية والتنفس، وتتكاثر الجراثيم الموجودة طبيعياً في الجسم، وتصبح مؤذية مسببة للأمراض، وتنتقل من أحشاء الميت إلى عضلاته ما يجعل أكلها ضاراً، كما أن تحلل أعضاء الحيوان الميت ينتج عنه مواد كيمياوية ضارة.

أما ما ورد في الآية رقم ٣ من سورة المائدة والمذكورة أعلاه في تحريم أكل **المنخنقة** (وهي التي تموت بالخنق إما قصداً أو عرضاً)، **والموقوذة** (التي تموت ضرباً بحجر أو عصا أو آلة حادة أو صعق كهربائي)، والمتردية (التي تقع من مكان مرتفع فتموت دون تذكية)، **والنطيحة** (التي تنطحها دابة أخرى وتحدث فيها الجروح وتموت من دون تذكية)، **وما أكل السبع** (أي ما افترسه ذو ناب كالأسد والنمر والضبع والذئب فمات دون تذكية): فإنها جميعاً تشترك بانحباس الدم عند موتها بأحد هذه الطرق المذكورة حيث يشكل الدم المحتبس والملوث داخلها مرتعاً خصباً لنمو الجراثيم وتكاثرها، وبالتالي انتقالها إلى من يأكلها. ولكن إذا أُدرِكت وفيها حياة وتم تذكيتها (ذبحها بالطريقة الشرعية) وخروج القسم الأكبر من دمها، فإنها في هذه الحالة يكون أكلها حلالاً.

ثانياً: الدم

حرم الله تعالى شرب الدم المسفوح (السائل)، لأنه قد يكون موطناً لبعض الجراثيم والفيروسات والطفيليات. فالدم المسفوح هو أفضل بيئة

لتكاثرها، لذلك يضع الطب اليوم مقاييس صارمة للتأكد من خلوه من هذه العوامل في حالة التبرع بالدم.كما يستعمل الدم بالمختبرات المايكروبايولوجية (علم الأحياء المجهرية)كوسط زرعي جيد للتحري عن وجود الجراثيم في النموذج المراد فحصه، لكونه مادة مناسبة لنموها وتسمى (Blood Agar).

ثالثاً: الخنزير

أجمع العلماء على تحريم الخنزير بكلِّيته، فالآيات القرآنية نصت على تحريم لحمه على جهة القطع، وكذلك بقية أجزائه لأنه من النجاسات والخبائث التي نص الله تعالى في كتابه على تحريمها، قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧/٧]. والخنزير من الخبائث، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥/٦]. والرجس هو النجس والقذارة والخبث والإثم، كما جاء في (لسان العرب). ومن الذين نقلوا الاجماع على تحريم كل أجزائه الإمام النووي في شرحه لصحيح الإمام مسلم قوله: (**وقد أجمع المسلمون على تحريم شحمه ودمه وسائر أجزائه**). (٩٦/١٣). والخنزير حيوانٌ لاحم وعشبي تجتمع فيه الصفات السبعية والبهيمية، وهو موغل في القذارة يأكل كل شيء، فيأكل القمامات والفضلات والنجاسات بشراهة ونهم فيكنسها! وهو مفترس يأكل الجرذ والفئران وغيرها، كما يأكل الجيف حتى جيف أقرانه! لذلك كان رجساً كما وصفته الآية الكريمة أعلاه. فضلاً عن أنه عديم الغيرة حتى على عائلته!

إن الأمراض التي تصيب الخنزير كثيرة تقارب ٤٥٠ مرضاً. والأمراض التي ينقلها الخنزير للإنسان على نوعين: الأول - الأمراض المعدية (الطفيلية) والثاني - الأمراض العضوية (الجسمية غير الطفيلية).

فمن النوع الأول (الأمراض الطفيلية):

فالخنزير وسيط لنقل مايقرب من ٧٥ مرضاً طفيلياً إلى الإنسان بعضها خطير وقاتل. ويختص الخنزير بمفرده بنقل ٣٧ مرضاً وبائياً معدياً وتشاركه بعض الحيوانات بنقل بقية الأمراض، لكنه يبقى المصدر الرئيس لهذه الأمراض. وهذه الأوبئة تنتقل من الخنزير إلى الإنسان بطرق مختلفة أهمها:

١. **عن طريق مخالطته أثناء تربيته أو التعامل مع منتجاته (أمراض مهنية)**: وهي لا تقل عن ٣٢ وباءاً تصيب غالباً عمال الزرائب والمجازر والبيطريين. ومنها: أنواع من الفطور العميقة والزحار والديدان والزحار الزقي والحمى اليابانية الدماغية والتهاب الفم البثري الساري.

٢. **عن طريق تلوث الطعام والشراب بفضلاته**: وهي لا تقل عن ٢٨ مرضاً منها: الزحار، والاسكاريس والانسمام الوشقي، والديدان القنفذية والكبدية والمفلطحة وشوكية الرأس والدودة المسلحة الخنزيرية والشعيرات الحلزونية وغيرها.

٣. **عن طريق تناول لحمه ومنتجاته**: وهي أكثر من ١٦ مرضاً، منها داء المبيضات وداء الحويصلات الخنزيرية والحمى المالطية والدودة الكبدية، وداء وايل والدودة الحلزونية الشريطية والسل وغيرها.

ومن النوع الثاني (الأمراض العضوية غير الطفيلية):

١. **السرطان**: يحتوي جسم الخنزير على كميات كبيرة من هرمون النمو (Growth Hormone) والهرمونات المنمية للغدد التناسلية (Gonadotrophis)، لذلك تزداد الإصابة بالسرطان عند آكلي لحم الخنزير. فقد أظهرت الدراسات الطبية وجود علاقة قوية بين استهلاك لحم الخنزير، وسرطان الأمعاء الغليظة والمستقيم والبنكيرياس والكبد والمرارة بصورة عامة عند الجنسين، وسرطان الثدي وعنق وبطانة الرحم عند المرأة بصورة خاصة.

٢. **السمنة وأمراض الشرايين والقلب**: يوجد الدهن في الخنزير متداخلاً مع أنسجة لحمه وبكميات كبيرة، لذلك يبدو لون لحمه وردياً (أحمر

فاتح)، خلافاً للحوم البقر والغنم والمواشي والدجاج، والتي يكون فيها الدهن على شكل نسيج دهني شبه مستقل عن النسيج العضلي. فضلاً عن أن دهون الخنزير من النوع المشبع الذي لا تقدر إنزيمات الجهاز الهضمي للإنسان على هضمها بسهولة، بخلاف الحيوانات المجترة آكلة العشب، مسبباً ذلك الإصابة بازدياد الدهونات الضارة كالكولسترول الضار والغليسيريديات الثلاثية (Dyslipidemia)، التي تساعد بدورها على الإصابة بالمجموعة التالية من الأمراض، كتصلب الشرايين والذبحة الصدرية والجلطات الوعائية القلبية والدماغية وضغط الدم وحصوات المرارة والسمنة وداء السكر البولي، وما يتبع ذلك من مضاعفاتٍ مرضيةٍ خطيرة.

٣. **التهاب المفاصل**: يحتوي لحم الخنزير على كميات كبيرة من حامض البوليك (Uric Acid) حيث إن جسمه لا يتخلص إلا من قدر قليل منه لا يزيد عن ٣٪، بينما يتخلص الإنسان من ٩٠٪ من هذا الحامض، مسبباً إصابة آكلي لحمه بالتهاب المفاصل وداء النقرس وأمراضٍ في الكلى.

٤. **الأمراض التحسسية**: يحتوي لحم الخنزير على كميات عالية من مركبات الهيستامين والامدازول (Histamine and Imidazole)، مسببةً عند آكليها أمراضاً تحسسية جلدية، مثل الأكزيما والشري والحكة والتهاب الجلد العصبي وغيرها. وإذا امتنع آكلو لحم الخنزير عن أكله مطلقاً، فإن هذه الأمراض التحسسية تختفي! مما يثبت تسبب أكل لحم الخنزير بحدوثها.

تساؤلات

قد يسأل سائل:

١. إذا كان الخنزير بهذه الدرجة من القذارة والنجاسة ومصدراً للأمراض، فلماذا خلقه الله تعالى؟!

٢. وإذا استطعنا تربية الخنزير في بيئةٍ نظيفةٍ وتغذية سليمة، فلماذا لا نتناول لحمه؟!

الأجوبة:

١. يقول الباري عز وجل في محكم كتابه: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝﴾ [طه: ٢٠/٥٠]، فاللّه تعالى خلق كل شيءٍ بحكمة وله فائدة ودور في البيئة. وقد تكون الحكمة من خلق الخنزير هو أنه ينظف البيئة ويزيل منها القاذورات والفضلات، حيث يستطيع الخنزير الواحد أن يلتهم وبشراهة ما يزيد عن ٢٥٠ كغم منها، مما يشارك في الحفاظ على توازن البيئة ونظافتها ويعمل ككاسحة أوساخ وجامع لها! فضلاً عن أن هذا التحريم (كما الأمر في تحريم الخمر وغيره) هو امتحان للمسلمين، واختبار لطاعتهم والتزامهم بالتعاليم الإسلامية، وصولاً لنيل الثواب من اللّه سبحانه وتعالى.

٢. إن الخنزير حتى لو كان خالياً من الأمراض الطفيلية والانتقالية، والتي قد فشلت المؤسسات البيطرية التي تعنى بتربيته في القضاء تماماً عليها، فإن طبيعة لحمه وشحمه ضارٌّ ومسرطنٌ كما ذكرنا أعلاه.

وهناك سببٌ مهمٌّ آخر لتحريمه (فضلاً عن الأسباب المذكورة أعلاه): هو أن طريقة ذبحه (قتله) ولعدم وجود رقبةٍ عنده كباقي الحيوانات، فإنه يقتل بغرس أداة حادة في صدره أو بالصعق الكهربائي أو غير ذلك، دون اللجوء إلى ذبحه بالطريقة الاعتيادية، فينطبق عليه حكم (الموقوذة) كما ورد في الآية رقم ٣ من سورة المائدة أعلاه، فيصبح موقوذة، وهي الدابة التي تموت بالضرب أو بالآلة الحادة أو الصعق الكهربائي أو بالرصاص فيحرم أكلها!

رابعاً: وما أُهِلَّ به لغير اللّه

إن الذبائح التي لم يذكر اسم اللّه عليها ليست بجودة وصحة مقارنة بالتي ذبحت على الطريقة الإسلامية، فصعق الحيوان بالكهرباء مثلاً ثم ذبحه حتى لا يتعذب كما تدعي جمعيات الرفق بالحيوان، حجة لا تستقيم

من الوجهة العلمية الفسيولوجية، حيث صعق الحيوان بالموجات الكهربائية من دون تخديره عملية مؤلمة قد تبقي الحيوان حياً. وكذلك الحال بالنسبة للخنق بالغاز أو إطلاق الرصاص عليه الذي يبقي الدم فيه، وهو ضار كما أسلفنا. أما الذبح على الطريقة الإسلامية مع ذكر اسم الله تعالى وكما جاء في الحديث الشريف في قوله ﷺ: «**إن الله كَتَبَ الإحْسَانَ عَلَى كُل شَيءٍ فَإذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذبْحَة وَلْيُحِد أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وليُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**»(١). فهو يريح الدابة ولا تشعر بالألم، فإنه خلال ثوان يحصل تخدير الحيوان فسيولوجياً، وذلك بقطع التروية الدموية والأوكسجين عن مراكز الشعور بالألم في الدماغ فلا يتألم الحيوان. أما التشنجات في عضلات الحيوان بعد ذبحه مباشرة، فهي رد فعل انعكاسي فسيولوجي لدفع الدم إلى الدماغ، وليس تعبيراً عن ألم الحيوان الذي توقفت عن دماغه التروية الدموية والأوكسجين، فيصدر أوامر إلى أعضاء الجسم كافة ومنها العضلات لنجدته بالدم، التي تقوم بالتقلص وضخ الدم الموجود فيها إليه عن طريق القلب المتسارع الضربات، ولكنه ينسكب خارجاً من الأوعية الدموية التي يجدها مقطوعة في العنق، وهكذا تستمر التشنجات والتقلصات العضلية إلى أن يخلو جسم الدابة من الدماء!.

أما الأمر بأكل الذبيحة التي ذكر اسم الله عليها في قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ١١٨﴾ [الأنعام: ٦/١١٨]، وعدم تناول التي لم يذكر اسم الله عليها أو ذكر عليها غيره في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ٦/١٢١]. وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢/١٧٣]، فقد توصل فريق طبي في مختلف التخصصات في سورية وعلى مدى ثلاث سنوات من التجارب، لدراسة الفرق بين الذبائح التي ذكر اسم الله عليها، ومقارنتها مع الذبائح التي تذبح بنفس الطريقة، ولكن بدون ذكر اسم الله عليها. وأكدت الأبحاث أهمية وضرورة ذكر اسم الله (**بسم الله والله أكبر**) على ذبائح الأنعام والطيور لحظة

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ١٥٤٨/٣، برقم (١٩٥٥).

ذبحها، فقد أثبتت النتائج المظهرية المخبرية، أن نسيج اللحم المذبوح بدون تسمية وتكبير، من خلال الفحوصات المظهرية والاختبارات النسيجية والزراعات الجرثومية مليء بمستعمرات الجراثيم ومحتقنة بالدماء، ولون اللحم أحمر قاتم يميل إلى الزرقة لا يصلح للاستهلاك البشري (غير صحي)، بينما كان اللحم المكبر عليه خالياً تماماً من الجراثيم وصحياً، ولا يحتوي نسيجه على الدماء، ولونه طبيعي وسليم.

وقد لوحظ ان لحوم الأضاحي التي تذبح بمناسبة عيد الأضحى المبارك في بلاد المسلمين كافة، وخاصة في البلد الحرام (الحج)، تكون صحية ولذيذة الطعم، حيث إنها محاطة بالتكبيرات وذكر اسم الله عليها من كل مكان في هذه الأيام المباركة والمكان الشريف[١].

(١) د. فايز حكيم وآخرون، الله أكبر رفقاً بالحيوان، ص١٠٦-١١٠، دار البشير - دمشق. وقد جرت هذه الأبحاث عام ٢٠٠٠م.

التفسير الطبي للآية رقم ١٨٤ من سورة البقرة

(الصيام صحياً)

المقدمة:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: ٢/١٨٣]، وقال تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢/١٨٤].

وقال سيدنا محمد ﷺ: «الصيام جُنَّة»[١]. وجُنَّة وقاية. وقال ﷺ أيضاً: «صوموا تصحوا»[٢].

قال الإمام المناوي معقباً على الحديث: قال الحرالي: فيه إشعار بأن الصائم يناله من الخير في جسمه وصحته ورزقه حظ وافر مع عظم الأجر في الآخرة، ففيه صحة للبدن والعقل بالتهيئة للتدبر والفهم وانكسار النفس

(١) رواه مالك في الموطأ ٣/٤٤٥ برقم (١٠٩٩)، وأحمد في مسنده ١٢/٤٦١، برقم (٧٤٩٢).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢/٢٢٥/١/٨٤٧٧)، وأبو نعيم في" الطب النبوي" (ق٢٤/١و٢) بسند ضعيف.

إلى رتبة المؤمنين، والترقي إلى رتبة المحسنين، وللمؤمن غذاء في صومه من بركة ربه، بحكم يقينه فيما لا يصل إليه من لم يصل إلى محله، فعلى قدر ما يستمد بواطن الناس من ظواهرهم، يستمد ظاهر المؤمن من باطنه، حتى يقوى في أعضائه بمدد نور باطنه، كما ظهر ذلك في أهل الولاية والديانة، وفي الصوم غذاء للقلب كما يغذي الطعام الجسم، ولذلك أجمع مجربو أعمال الديانة من الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، على أن مفتاح الهدى والصحة الجوع، لأن الأعضاء إذا وهنت لله نور الله القلب وصفى النفس وقوّى الجسم، ليظهر من أمر الإيمان بقلب العادة جديد عادة هي لأوليائه أجل في القوى من عادته في الدنيا لعامة خلقه[١].

يعتبر الأطباء اليوم الصوم ظاهرة صحية حيوية لا تستمر الحياة السوية بدونها. وإن أي إنسان أو حيوان إذا لم يصم فإنه معرض للإصابة بالأمراض المختلفة. يقول الدكتور (ماك فادون) وهو من علماء الصحة المشهورين في العالم: **(إن كل إنسان يحتاج إلى الصوم وإن لم يكن مريضاً، لأن سموم الأغذية تجتمع في الجسم، فتجعله كالمريض، فتثقله ويقل نشاطه. فإذا صام تخلص من هذه السموم، وشعر بنشاط وقوة لا عهد له بهما من قبل)**.

لقد اعتادَ معظم الناس على تناول ثلاث وجبات طعام يومياً، وفي اعتقاد بعضهم أن ترك وجبة واحدة (وهي وجبة الغداء في حالة الصيام)، سيؤثر سلباً على صحتهم، مما يجعل بعضهم يقضون الليل في رمضان يلتهمون أنواع الطعام والشراب! علماً أن التعاليم في الإسلام توصي بعدم الإسراف فيهما، كما قال تعالى في محكم كتابه: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٧/٣١]. وقوله ﷺ: «**ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه**» رواه الترمذي، أو الخلود إلى النوم والكسل في النهار حيث يفقد الصيام فوائده في هذه الحالات.

إن هذا الاعتقاد أو التصرف خاطئ للجهل العلمي بطبيعة الصيام في

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، ٢١٢/٤.

الإسلام، الذي يتيح للجسم **تمثيلاً غذائياً فريداً، يساعده على تنشيط كافة أجهزته وتجديد خلاياه، في دورة تدريبية مركزة مدتها شهر من كل عام!**

آليات عمل الصيام وفسلجته:

إن الصيام يشتمل على مرحلتي الهدم والبناء (Catabolisim and Anabolisim) لأنسجة الجسم وخلاياه، فبعد وجبتي الإفطار والسحور (والتي تعادل وجبتي العشاء والفطور الصباحي)، يبدأ البناء للمركبات الهامة في الخلايا، وبعد إكمال فترة امتصاص وجبة السحور يبدأ الهدم، فيتحلل المخزون الغذائي من الجليكوجين (النشويات) (Glucogen) أولاً، والدهون (الشحوم) (Fat) ثانياً، والبروتين (الزلال) (Protein) ثالثاً، وأخيراً ليمد الجسم بالطاقة اللازمة أثناء الحركة والنشاط في نهار الصيام. ويحقق بذلك الفوائد الكثيرة والتي سنذكرها لاحقاً. وحتى نتعرف على هذه الفوائد علينا معرفة آلية وفسلجة عمل الصيام، وذلك من خلال العمليات الاستقلابية (الأيضية) (Metabolism) التي تصاحبه، ومن أهمها:

١. **راحة الجهاز الهضمي**: يمكّن الصيام الجهاز الهضمي وملحقاته من أداء وظائفه على أكمل وجه، وذلك بعد تناول الطعام والشراب (الوجبة الغذائية)، الذي يستغرق هضمه وامتصاصه نحو خمس ساعات (مدة الهضم والامتصاص). إن مدة الصيام في رمضان تتراوح ما بين ١٢-١٦ ساعة في المتوسط، وخلايا الجسم تتغذى باستمرار ولاينقطع عنها التزود بالطاقة. ولكن في حالة الصيام فإن مدة الصيام الحقيقية هي ٧-١١ ساعة (مدة مابعد الامتصاص)، وذلك بعد وجبة السحور. لذلك كان حث النبي ﷺ وتأكيده على ضرورة تناول وجبة السحور، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تسحروا.. فإن في السحور بركة**» متفق عليه. وذلك لإمداد الجسم بوجبة بناء. وبالإمكان تقليص فترة ما بعد الامتصاص إلى أقل زمن ممكن، عن طريق تأخير السحور وتعجيل الإفطار، كما جاء ذلك

في سنته ﷺ حيث قال: «**لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور**»[١]. وفي ذلك يحقق الصوم راحة فسيولوجية لآليات الهضم والامتصاص، وذلك بعدم إدخال الجديد من الطعام والشراب على الوجبة الغذائية أثناء هضمها وامتصاصها.

٢. **تنظيف الأمعاء**: تسريع آليات الانقباضات الخاصة (Migrating Motor Complex) في الجهاز الهضمي بتنظيف الأمعاء من الفضلات، وتحقق بعض الراحة من عملها المستمر السابق في التقلصات والإفرازات.

٣. **تنشيط آليات الاستقلاب (العمليات الأيضية)** (Metabolism): حيث يتم تفعيل هذه الآليات في البناء والهدم للنشويات والدهون والبروتينات في الخلايا، لتقوم بوظائفها على أكمل وجه، حيث إنه بعد امتصاص وجبة السحور وإكمال عمليات البناء، تبدأ عمليات الهدم والاستقلاب للمخزون الغذائي في الجسم، خاصة من كلايكوجين الكبد ودهونه، وكذلك من الدهون المتراكمة في الجسم، فتنشط آليات تحلل كلايكوجين وأكسدة الدهون وتحلل البروتين وتكوين الكلوكوز الجديد منه. إن الجسم إذا اقتصر على البناء فقط وكان همه التخزين للغذاء في داخله، فإن آليات البناء تغلب آليات الهدم، فيعتري الأخيرة (لعدم استخدامها) وهن تدريجي وترهل في الجسم ووظائفه، تظهر ملامحه عند تعرض الجسم لشدة مفاجئة بانقطاع الطعام أو الشراب عنه في الصحة أو المرض، فقد لا يستطيع هذا الإنسان مواصلة حياته أو مقاومة مرضه. كالجيش في حالة السلم، فإنه إن لم يقم بالمناورات والتدريبات وتنشيط قواته الدائمة والاحتياطية بين فترة وأخرى، فإنه سيصاب بالترهل والضعف، ولا يستطيع تفعيل قواته وخاصة الاحتياطي منها عند الحالات الطارئة!.

٤. **إزالة السموم والدهون من الكبد**: إن عمليات الهدم (Catabolism) في الكبد أثناء الصيام تغلب عمليات البناء (Anabolism)، فيوفر ذلك فرصة للكبد لطرح السموم المتراكمة في خلايا الجسم وإزالة

(١) رواه البخاري في صحيحه ٣/٣٦ برقم (١٩٥٧).

سميتها (Detoxification). وكذلك التخلص من الدهون المتراكمة فيه، خاصة لدى الأشخاص الذين يعانون من السمنة والبدانة وتراكم الدهون الكبدية (Fatty Liver)، فضلاً عن أنه في الصوم تتحول كميات كبيرة من الدهون المخزونة في الجسم (خاصة في الأحشاء الداخلية وتحت الجلد) إلى الكبد حيث تؤكسد فيه، ويُنتفع بها، وتستخرج السموم الذائبة فيها، ويُتخلص منها مع بقايا نفايات الجسد. كما أن الدهون المتجمعة في الكبد، تساعد مادة الكولستيرول الموجودة فيه على زيادة إنتاج مركبات الصفراء من الكبد (Bile Acids and Salts)، والتي تقوم بدورها بإذابة هذه المواد السامة والتخلص منها مع البراز.

٥. **تكوين المركبات الحيوية من البروتين**: بالنسبة للبروتين فإن الأحماض الأمينية (Amino Acids) هي الوحدات الأساسية له، والتي بدورها تشكل البنية الأساسية للخلايا. وفي الصوم تتجمع الأحماض الأمينية الناتجة عن عمليات هدم الغذاء في الكبد، ويحدث تحول داخلي واسع النطاق لها (Interconversion)، ودمجها مع جزيئات أخرى كالبيورين والبيروفين (Purines and Prophyins)، لصناعة أنواع جديدة من البروتينات الخلوية والبلازمية والهرمونات، وغير ذلك من المركبات الحيوية.

٦. **تجديد خلايا الجسم**: تتهدم الخلايا المريضة والضعيفة في الجسم عندما يتغلب الهدم على البناء أثناء الصيام، وتتجدد الخلايا أثناء مرحلة البناء. لذلك فإن الصيام يمثل فرصة حيوية للتخلص من هذه الخلايا، وإبدالها بالنوع الجديد والصحيح منها.

٧. **منظومة الغدد الصماء وتنشيطها**: يُمكّن الصيام الغدد الصماء (الهورمونات) ذات العلاقة بعمليات الاستقلاب، في فترة ما بعد الامتصاص، من أداء وظائفها في تنظيم وإفراز هرموناتها الحيوية على أتم حال، وذلك بتنشيط آليات التثبيط والتنبيه لها يومياً، ولفترة دورية ثابتة، ومتغيرة طوال العام، مثل هرموني البناء وهما هرمون النمو والإنسولين (Growth Hormone and Insuline)، وهورموني الجلوكاجون والكورتيزول (Glugacon and Cortisol)، وكهرمونات هدم من ناحية أخرى. وكذلك

تحفيز بقية الغدد الصماء المطلوبة وتنشيطها، كالهرمون المضاد لإدرار البول (ADH)، وزيادة القدرة على عمل الكلى لامتصاص الماء، ولتركيز أملاح البول والمحافظة على معدلات الأملاح، وقوة التناضح (الأسموزية) في مصل الدم ضمن معدلاتها الطبيعية. وتتحسن هذه الخاصية بمرور أيام الصيام في رمضان على الرغم من ازدياد درجة الحرارة وامتداد ساعات الصوم من بداية الشهر إلى نهايته في بعض الفصول! حيث وجد أن المعدلات الاسموزية في مصل الدم في نهاية رمضان مساءً (قبل الإفطار) مساوية لمعدلاتها في بدايته صباحاً للأيام الأولى منه، حيث يتأقلم ويتهيأ الجسم بهذه الآلية.

٨. **التحرير الذاتي (الداخلي) للماء**: إن الله عز وجل سبحانه وتعالى، جعل للجسم البشري مقدرة على صنع الماء، من خلال العمليات والتحولات الكيميائية العديدة التي تحدث في جميع خلايا الجسم، إذ يتكون الماء أثناء العمليات الأيضية المختلفة (Metabolisim). وقد قدر العلماء كمية هذا الماء من ثلث إلى نصف لتر يومياً. ويسمى التحرر الذاتي (الداخلي) للماء (Formation Intrinsic Water). وفي حاله الصيام يتحرر ٤ ملم مكعب من الماء عند تحلل كل غرام واحد من كلايكوجين الكبد (والذي تزداد كميته بمرور أيام الصوم في رمضان)، محققاً بذلك التروية الداخلية للجسد، ومزيلاً للعطش عند الصائم! وصولاً للمحافظة على المستويات الطبيعية للأسموزية في الدم (Serum Osmolality) كما جاء أعلاه.

٩. **التكوين الذاتي (الداخلي) للجلوكوز**: كما خلق الله للإنسان ماء داخلياً، فقد خلق له طعاماً داخلياً أيضاً! فمن نفايات أكسدة الجلوكوز يُصنّع الجلوكوز مرة أخرى (الذي هو من أهم مصادر الطاقة للجسم وخلاياه)، حيث يتحول كل من حمض اللاكتيك والبيروفيت (Lactic acid & Pyruvate) إلى جلوكوز مرة أخرى! حيث تتوجه هذه النفايات إلى الكبد، فيجعلها وقوداً لتصنيع جلوكوز جديد في الكبد. ويتكون يومياً حوالي ٣٦ جراماً من هذا الجلوكوز الجديد من هذين الحمضين، غير الذي يتكون من الجليسرول والأحماض الأمينية (Glycerol & Amino acid).

١٠. **تحقيق مبدأ التقوى**: إن الصيام في الإسلام طاعة لله عز وجل وتحقيق لمبدأ التقوى فيه، لقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، التي هي الغاية الأساس منه، فضلاً عن الفوز فيما عنده سبحانه وتعالى من الأجر والثواب، حيث يبث الصيام في النفس السكينة والطمأنينة.. وينعكس ذلك إيجابياً على آليات الاستقلاب، فيجعلها تتم في أوفق وأيسر وأنفع السبل، مما يعود بالنفع والفائدة على الجسم.

خلاصة نتائج آليات الصيام المذكورة أعلاه ما يأتي:

١- تنشيط آليات البناء والهدم.!

٢- التخلص من المخزون الغذائي المتراكم خاصة الدهون منها.

٣- التخلص من السموم (المواد الضارة) التي تتراكم في الأنسجة، ومعظمها ناتج من الغذاء وإضافاته.!

٤- تجديد خلايا الجسم.

أهم فوائد الصوم الصحية:

بناء على ما ذكرنا أعلاه عن آليات عمل الصيام فإن أهم فوائده الصحية، وحسب ما توصل إليه الطب حديثاً (وهو غيض من فيض!)، أن الصيام الصحيح وقاية وشفاء لكثير من الأمراض، من أهمها: زيادة الوزن (داء السمنة) وما يرافقها من مضاعفات، كارتفاع ضغط الدم وداء السكر خاصة من النوع الثاني، والمتلازمة الأيضية (Metabolic Syndrome)، وتصلب الشرايين، والتهاب المفاصل العظمي، وحصوات المرارة، والكبد الدهني (تشحم الكبد)، والقصور الوظيفي في مختلف أعضاء الجسم. فضلاً عن أن الصيام يقوي جهاز المناعة والقلب والدورة الدموية والجهاز العضلي، ويقوّي الذاكرة والملكات الذهنية في الإنسان. ويوصي بعض الأطباء

النفسيين بعلاج مرضاهم بالصيام في حالات: القلق النفسي، وعصاب الوسواس القهري، وجموح الرغبة الجنسية، والعادات الضارة كالتدخين والخمر والمخدرات والإدمان عليها، حيث إن الصيام مدرسة الصبر، والصبر نصف الإيمان، والصائم الحقيقي سيدُ أهوائه وشهواته وتصرفاته السلوكية، ويقوي إرادته! وقد يكتشف الطب مستقبلاً كثيراً من الفوائد الصحية للصيام وقاية وعلاجاً.

وفي الختام:

فإن هذا التشريع المحكم في فريضة الصيام في رمضان وفي غيره تطوعاً، يتضمن أسراراً لأدق الاكتشافات الطبية، والتي اكتشف العلم الحديث بعضاً منها فقط! وقد نزل به القرآن في زمن يستحيل على البشر فيه معرفتها، مما يدل على مصدره الإلهي، الذي جاء من أجل مصلحة الإنسان وفائدته وسعادته في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٦﴾ [الفرقان: ٦/٢٥]. كما يشهد للرسول الأعظم سيدنا محمد ﷺ أنه مرسل من الله عز وجل وموحى إليه. وصدق الله القائل: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾ [فصلت: ٥٣/٤١].

(الخمر أم الخبائث!)

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾.

الخمر: من خَمَرَ، أي غطى وستر، والخمار غطاء الرأس، ومنه خمار المرأة وكل شيءٍ غطى شيئاً فقد خَمَرهُ، ومنه (خمّروا آنيتكم). والخمر تُخمر العقل أي تغطيه وتُسكرُهُ، وتعطّل قواه الفكرية العاقلة.

والإثم: بصورة عامة هو الذنب، وفي قوله تعالى أعلاه (إثم كبير) أي ضرر شديد.

وفي تفسير الآية يقول الإمام الماتريدي: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، بعد الحرمة ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾، قبل الحرمة، ﴿وَإِثْمُهُمَآ﴾، بعد الحرمة ﴿أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾، قبل التحريم.

والمنفعة في الميسر: بعضهم ينتفع به، وبعضهم يخسر، وهو القمار.

وذلك أن نفرًا كانوا يشترون الجزور فيجعلون لكل رجل منهم سهمًا، ثم يقترعون، فمن خرج سهمه برئ من الثمن حتى يبقى آخر رجل، فيكون ثمن الجزور عليه وحده، ولا حق له في الجزور، ويقتسم الجزور بقيتهم.

وقيل: يقسم بين الفقراء؛ فذلك الميسر.

ثم قال: ﴿فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ﴾، في ركوبهما؛ لأن فيهما ترك الصلاة، وترك ذكر الله، وركوب المحارم والفواحش.

ثم قال: ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾، يعني التجارة، واللذة، والربح.

ثم اختلف فيه:

قال قوم: إن الخمر محرم بهذه الآية حيث قال: ﴿إِثۡمٞ كَبِيرٞ﴾، والإثم محرم بقوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ﴾.

وقال قوم: لم تحرم بهذه الآية؛ إذ فيها ذكر النفع، ولكن حرمت بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ﴾، والرجس محرم، وقال الله تعالى: ﴿مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾، وعمل الشيطان محرم[١].

ويشير الإمام محمد أبو زهرة إلى خطورة الخمر على المجتمع، وإلى جذوة الإيمان المتقدة في نفوس الصحابة ﷺ، مما دفعهم إلى السؤال عن تحريمه فيقول: قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ﴾ السؤال عن الخمر والميسر هو بلا شك عن الحِلِّ والتحريم لَا عن الحقيقة والذات، فإنهم يعرفونهما بلا شك، وكان الأغنياء وذوو المقدرة منهم منغمسين فيهما، ولذلك كان الجواب مشيراً إلى عدم رضا الشارع عنهما، أو مشيراً إلى تحريمهما، لأن ما غلبت مضرته على منفعته - كما هو حكم الإسلام - يكون حراماً، ولا يكون حلالاً، وقد صرح سبحانه وتعالى بذلك، فكان يحق على المؤمن النقي النفس، الذي خلص من أدران الهوى، أن يكتفي بذلك ويجتنبهما، وكذلك فعل خواص المؤمنين، والعلية من أصحاب الرسول الأمين، كأبي بكر وعمر وغيرهما من السابقين المقربين. ولقد كان عمر ﷺ يحس أنَّ شرب الخمر لَا يسوغ في الإسلام، ولذا كان يدعو الله قائلاً: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، خصوصاً بعد أن نزلت الآيات التي تشير إلى التحريم، ولا تصرح به.

---

(١) تفسير الماتريدي المسمى: تأويلات أهل السنة، ٢/٢١٧.

ولماذا كان السؤال عن الخمر والميسر، وممن كان السؤال؟ إن السؤال بلا ريب من المؤمنين، ولم يكن من غيرهم، لأنهم رأوا الخمرَ تذهب الرشد، وتضعف العقل، وتجعل المرء يقع فيما لَا يَحْسُن[(١)].

إن مضار الخمر (الكحول) كثيرة، ولا تحصى في جميع جوانب الحياة الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والصحية وغيرها، ومخاطر تعاطيه لوحده تفوق خطر تعاطي كافة أنواع المخدرات مجتمعة! ولذلك وصفها المصطفى ﷺ بأنها «**أم الخبائث وجِماع الإثم**»! رواه الدارقطني وغيره، وسنقتصر هنا في ذكر مضارها الصحية وباختصار شديد. فنقول وبالله التوفيق:

إن الخمر هي من المشروبات المسكِرة التي تحتوي على مادة مخدرة سامة لخلايا الجسم عامة وللخلايا العصبية خاصة، وهي الكحول الأثيلي (Ethyl Alcohol-Ethanol) الذي يؤدي إلى الإدمان، والإدمان هو التعلق الجسدي والنفسي (Addiction- Physical and Psychological) بالمادة المخدِّرة، واللجوء إلى زيادة الجرعة منها تدريجياً للحصول على المفعول المخدر نفسه، الذي يحصل عليه المدمن سابقاً. ويحصل ذلك حتى لو تناولها الشخص بكميات قليلة وبصورة دائمة، حيث إن مفعولها تراكمي، وينتج عنه عشرات الأمراض في مختلف أجهزة الجسم، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

١. **الجهاز الهضمي**: التهابات وتقرحات ونزيف وتصلب وضمور وسرطان، تصيب مختلف أعضاء الجهاز الهضمي كالفم والمريء والمعدة والأمعاء والبنكرياس والكبد (التهاب وتشمع وسرطان الكبد الكحولي) (Alcoholic Hepatitis, Cirrhosis and Cancer).

٢. **القلب وجهاز الدوران**: ارتفاع ضغط الدم والخنّاق الصدري وتضخم عضلة القلب مع قصوره (اعتلال القلب الكحولي-Alcoholic Cardiomyopathy)، واضطراب في النظم القلبية (Dysarrhythmias)،

(١) زهرة التفاسير لأبي زهرة، ٢/٢٩٧.

وتصلب الشرايين والأوردة والشعيرات الدموية (الأوعية الدموية) نتيجة لتراكم الدهون على جدرانها، فتصبح متصلبة ضيقة، مؤدية للإصابة بالجلطات القلبية والدماغية، وكذلك في الأطراف لقلة التروية الدموية (Ischemia).

٣. **الجهاز العصبي**: ضمور في المخ والمخيخ ورجفة وتراجع في القوى الفكرية، وداء الصرع، والتهاب الأعصاب الكحولي في الأطراف(Alcoholic Peripheral Neuropathy)، اضطراب في التصرفات السلوكية والشعورية، عُصاب وذُهان حاد ومزمن واكتئاب وصداع، ضياع عقلي حاد أو مزمن مع غيبوبة (Alcoholic Encephalopathy).

٤. **الجهاز البولي والتناسلي**: قصور في عمل الكليتين، وتضخم وسرطان البروستات، وسرطان المثانة، وضعف الباءة بالرغم من زيادة الشعور بالإثارة الجنسية، والإصابة بالعقم.

٥. **السرطان**: إن ثلث الأمراض السرطانية هي نتيجة إدمان الخمر والتدخين.

٦. **أمراض المرأة**: إن جسم المرأة لا يتحمل نصف الكمية التي يتحملها الرجل من الكحول، والكفيلة بإحداث جميع الأمراض الوبيلة المذكورة أعلاه وغيرها، فضلاً عن إصابتها باضطراب الدورات الشهرية وكثرة الإجهاض، والتشوهات الخلقية في الجنين في حالة الحمل، وولادة أجنة ناقصة تسمى بـ(متلازمة الجنين الكحولي) (Alcohol Fetal Syndrome).

٧. **كثرة حالات دخول المستشفيات بسبب الخمر**: في بريطانيا وأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية تسبب الخمر بدخول أكثر من ٤٠٪ من نزلاء المستشفيات بمختلف الأمراض المتعلقة بها. وفي مستشفيات الأمراض العقلية في هذه البلدان أيضاً فإن ما بين ثلث ونصف نزلائها هم من المرضى الذين يتعاطون الكحول بكثافة.

إن في الخمر بعض المنافع كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ﴾ وذلك قبل الأمر بتحريمها النهائي، والذي جاء على مراحل كما هو معروف في السيرة النبوية. وإن معظمها منافع صناعية وصيدلانية وليست طبية دوائية، حيث يستخدم الكحول الأثيلي وبتراكيز مختلفة كمادة مطهرة وفي التعقيم، وهو قاتل للجراثيم وكمذيب (Solvent) لكثير من المواد الكيمياوية العضوية وغير العضوية، وفي بعض الأدوية (والتي يمكن استعمال غيرها في هذه الحالة) وفي تحضير العطور وغيرها... والخمر ليس دواءً لقوله ﷺ: «**إنها داء وليست بدواء**»(١). وقوله ﷺ أيضاً: «**إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرّم عليكم**»(٢). وما كتبه الأطباء في الماضي والحاضر وحتى العرب منهم عن منافعه الدوائية باطل تماماً، وهذا ما أثبته الطب الحديث. فقد صدر عن كلية الأطباء الملكية البريطانية في لندن (أعرق وأهم الكليات الطبية في العالم)، كتاباً هاماً بعنوان (Alcohol-The Grate and Growing Evil) وذلك في عام ١٩٨٧، ذُكِرَ فيه معظم مخاطره، والأمراض العديدة التي يسببها في كافة أجهزة الجسم، ومما ورد فيه: (إن المخاطر الصحية لتعاطي الكحول ليست ناتجة بالدرجة الأولى من العدد القليل الذي يتناول كميات كبيرة منه، ولكن الخطر الأعظم على الصحة العامة هو من العدد الكبير الذي يتناول كميات قليلة من الكحول وبانتظام).

ويقول الدكتور برنت في كتاب (مواضيع في العلاج) والذي صدر عن الكلية الملكية البريطانية في لندن أيضا عام ١٩٧٨م: (لم يكتشف الإنسان شيئاً شبيهاً بالخمور في كونها باعثة على السرور الوقتي، وفي نفس الوقت ليس لها نظير في تحطيم حياته وصحته، ولا يوجد لها مثيل في كونها مادة للإدمان وسماً ناقعاً، وشراً اجتماعياً خطيراً).

---

(١) رواه الترمذي في السنن ٣٨٧/٤ برقم (٢٠٤٦)، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . ورواه الطبراني في الكبير ١٤/٢٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه عن ابن مسعود ١١٠/٧، والطبراني في المعجم الكبير ٣٤٥/٩ برقم (٩٧١٦)

وكلمة (Evil) في القاموس الإنكليزي تعني الشيطان والخبيث، فكأنهم يترجمون حرفياً قول المصطفى ﷺ بوصفها (أم الخبائث)، وعبارة (The Grate Evil) تعطي نفس المعنى!. فسبحان الله الذي أظهر الحق والصدق على لسان المصطفى ﷺ قبل أن يَتوصَّلَ إليه الطب الحديث بأكثر من أربعة عشر قرناً! قال تعالى:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٥٣/٣-٤] لذلك جاء الأمر النهائي بتحريم الخمر بقوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠﴾ [المائدة: ٥/ ٩٠]. والاجتناب هو لغةً أشد أنوع التحريم، فهو يعني الابتعاد عنها وكل ما يقرب إليها فضلاً عن شربها. وقد ورد في تفصيل ذلك قوله ﷺ: «لعن الله عاصرَها ومُعتصرَها وشاربَها وساقيها وحاملَها والمَحمولةَ إليه وبائعَها ومُبتاعَها وواهبَها وآكِلَ ثمنها»(١).

وقوله ﷺ: «اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ، إِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ خَلَا قَبْلَكُمْ يَتَعَبَّدُ فَعَلِقَتْهُ امْرَأَةٌ غَوِيَّةٌ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ جَارِيَتَهَا فَقَالَتْ لَهُ: أَنَا أَدْعُوكَ لِلشَّهَادَةِ فَانْطَلَقَ مَعَ جَارِيَتِهَا، فَطَفِقَتْ كُلَّمَا دَخَلَ بَابًا أَغْلَقَتْهُ دُونَهُ حَتَّى أَفْضَى إِلَى امْرَأَةٍ وَضِيئَةٍ عِنْدَهَا غُلَامٌ وَبَاطِيَةُ خَمْرٍ، فَقَالَتْ: إِنِّي وَاللهِ مَا دَعَوْتُكَ لِلشَّهَادَةِ، وَلَكِنْ دَعَوْتُكَ لِتَقَعَ عَلَيَّ أَوْ تَشْرَبَ مِنْ هَذِهِ الْخَمْرِ كَأْسًا أَوْ تَقْتُلَ هَذَا الْغُلَامَ، قَالَ: فَاسْقِينِي مِنْ هَذَا الْخَمْرِ كَأْسًا، فَسَقَتْهُ كَأْسًا، فَقَالَ: زِيدُونِي فَلَمْ يَرِمْ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا وَقَتَلَ النَّفْسَ، فَاجْتَنِبُوا الْخَمْرَ؛ فَإِنَّهَا وَاللهِ لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ وَإِدْمَانُ الْخَمْرِ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يُخْرِجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ»(٢).

وقد يسأل سائل: لماذا حرم الله الخمر في الدنيا وأحلّها في الآخرة؟! كما قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ

(١) رواه الترمذي في السنن ٣/٥٨١ برقم (١٢٩٥) وقال: هذا حديث غريب من حديث أنس ﷺ وقال الألباني: حسن صحيح، ورواه ابن ماجه في السنن ١١٢٢/٢ برقم (٣٣٨١) وقال الألباني: صحيح.

(٢) السنن الكبرى للنسائي ١٠١/٥ برقم (٥١٥٦)، صحيح ابن حبان ١٢ / ١٦٨ برقم (٥٣٤٨).

يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [محمد: ٤٧/١٥].

والجواب على ذلك: أن خمر الجنة تختلف عن التي هي في الدنيا! فخمر الآخرة لا تغتال العقل (لا تُسكر)، ولا تضر الجسد بالأمراض كما وصفها تعالى بقوله: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الصافات: ٣٧/ ٤٧]. صدق الله العظيم.

اللهم أدخلنا الجنة واسقنا من خمرها اللذيذ!

اللهم آمين والحمد لله رب العالمين.

صفحة بيضاء

رقم 72

التفسير الطبي للآية رقم (٢٢٢) من سورة البقرة

(آية المحيض)

قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢/٢٢٢].

إن أصل كلمة المحيض من السيلان والانفجار، يقال: حاض السيل وفاض. والحيض مصدر، فالأصل فيه أن يطلق على العملية الحيوية (الفسيولوجية) التي تبدأ بسيلان الدم من الرحم بصفة خاصة، ووقت خاص عند المرأة من البلوغ حتى سن اليأس. وتتضمن العملية حصول تغيرات هورمونية في دمها، وتغيرات نسيجية في بطانة رحمها، حيث يقذف الغشاء المبطن للرحم بأكمله أثناء عملية الحيض إلى الخارج، عن طريق عنق الرحم والمهبل. ولكون الحيض عملية حيوية فسيولوجية خلقها اللّه في النساء، فإنه لا يكون أذى محضاً، ولكن فيه أذى، وفيه فوائد كثيرة، منها أن الحيض المنتظم يدل على خصوبة المرأة، وسلامة عمل المبيض وبطانة الرحم، وكذلك يمنع الحيض من حصول مضاعفات معينة، فلو فرضنا أن حالة مرضية منعت حصول التغييرات الهورمونية في الدم فلم يقع الحيض، فهذه الحالة قد يرافقها عقم، وقد تؤدي بين الحين والآخر إلى نزف شديد مفاجئ من الرحم.

أما كون الحيض أذى في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ فالأذى هو القذارة وهو الشيء الذي تكرهه وترغب عنه.

وقد أشار الإمام القنّوجي في تفسيره "فتح البيان" إلى معنى أذى المحيض قائلاً: ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾ أي شيء يتأذى به أي برائحته، والأذى كناية عن القذر أو محله ويطلق على القول المكروه، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾، ومنه قوله تعالى: ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾، ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ أي فاجتنبوهن واتركوا وطأهن في زمان الحيض، إن حمل المحيض على المصدر أو في محل الحيض إن حمل على الاسم.

والمراد من هذا الاعتزال ترك المجامعة، لا ترك المجالسة أو الملابسة فإن ذلك جائز، بل يجوز الاستمتاع منها بما عدا الفرج أو بما دون الإزار على خلاف في ذلك[١].

وأذى المحيض أنواع:

- منها قذارة دم الحيض أو نجاسته، كما في العرف الفقهي.
- ومنها أن جريانه في وقته لا يمكن ضبطه كما يضبط البول والغائط.
- ومنها كراهته لأنه يمنع الصلاة والصوم.
- ومنها أنه يتضمن تغيرات نسيجية وكيميائية وحيوية في المجرى التناسلي، ويجعله عرضة للالتهاب، حيث تكون بطانة الرحم متقرحة تماماً كما يكون الجلد مسلوخاً، فهو معرض بسهولة لعدوان البكتيريا الكاسح. ومن المعلوم طبياً أن الدم هو خير بيئة لتكاثر المايكروبات (الجراثيم) ونموها، وتقل مقاومة الرحم للجراثيم الغازية نتيجة لذلك، فيشكل القضيب خطراً داهماً على الرحم، ومما يزيد الطين بلة، أن مقاومة المهبل لغزو الجراثيم والبكتيريا تكون في أدنى مستواها أثناء الحيض، إذ يقل إفراز المهبل للحامض الذي يقتل الجراثيم، كما تقل المواد المطهرة

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي، ١/٤٤٧.

الموجودة في المهبل أثناء الحيض إلى أدنى مستوى لها. ليس ذلك فحسب، بل إن جدار المهبل المكون من عدة طبقات من الخلايا يرق أثناء الحيض، فيخلص إلى طبقة رقيقة من الخلايا. لهذا، فإن إدخال القضيب إلى الفرج والمهبل أثناء الحيض، ليس إلا إدخالاً للمايكروبات، في وقت لا تستطيع فيه أجهزة الدفاع أن تقاوم، كما أن وجود الدم يساعد في نمو تلك المايكروبات وتكاثرها. ولا يقتصر الأذى على الحائض في وطئها، وإنما ينتقل الأذى إلى الرجل الذي وطئها أيضاً، فإدخال القضيب إلى المهبل المليء بالدماء، يؤدي إلى تكاثر المايكروبات والتهاب قناة مجرى البول لدى الرجل، وتنتقل المايكروبات إلى البروستات والمثانة وبقية المسالك البولية، وذلك أنه ما من نجاسة إلا ويتوقع حصول الضرر من التلوث بها، فلما كان المحيض كذلك، اقتضى الأمر أخذ الاحتياط، لئلا يتحول الأذى إلى ضرر، وذلك بتكرار تنظيف المنطقة في فترة الحيض، وعدم تركه يتراكم برائحته الكريهة، وكذلك بالامتناع عن الجماع.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ﴾.

لقد راعى الإسلام الناحية النفسية للمرأة بصورة عامة، وفي المحيض بصورة خاصة، للتغيرات الهورمونية التي تحدث في هذه الفترة والتي قد تنعكس سلباً على نفسيتها، فأعلى قدرها ومكانتها خلافاً للأديان الأخرى. فمن الناحية الاجتماعية مثلاً، كانت اليهود تعتزل النساء في الحيض اعتزالاً مطلقاً، فلا جماع ولا مواكلة ولا اجتماع في البيوت. وبخلاف ذلك جاءت السنة النبوية، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت، فسأل أصحاب النبيِّ ﷺ النبيَّ ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِ﴾ إلى آخر الآية. فقال رسول الله ﷺ: «**اصنعوا كل شيء إلا النكاح**»[(١)].

---

(١) رواه سلم في صحيحه ٢٤٦/١ برقم (٣٠٢) وأحمد في مسنده ٣٥٦/١٩ برقم (١٢٣٥٤) وابن حبان في صحيحه ١٩٦/٤.

تنبيه الآية إلى منع الوطء في الدبر

وبالإمكان الاستدلال بالآية الكريمة أعلاه في اعتزال النساء في المحيض لكونه أذى، على تحريم نكاح المرأة في الدبر، لأن الغائط أذى وأذاه أشد من أذى المحيض. يؤيد ذلك أن تحريم الخبائث يقتضي تحريم تعمد مباشرة النجاسات عموماً والتلوث بها. ومعلوم أن موضع النكاح في الدبر (أي قناة الدبر إلى المستقيم)، نجس لا يطهر أبداً لوجود الغائط فيه بصورة شبه مستديمة، علماً أن الغرام الواحد من الغائط يحتوي على أكثر من مئة ألف مليون مايكروب، وذلك في الشخص السليم! فكيف الحال إن كانت المرأة مريضة أو حاملة لمرض معد عن طريق الجهاز الهضمي!.

يضاف إلى ذلك الاستدلال بآية الحرث، وما كان في معناها من الأدلة الشرعية في قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ والحرث مصدرٌ، وظاهر معناه أنه العمل للزرع وإعداد الموضع للإنبات، نحو شق الأرض وإصلاحها وإلقاء البذر فيها وشبه ذلك. ومن المعلوم أن موضع الحرث (الإنجاب) عند المرأة أو المدخل إليه هو القُبُل وليس الدُّبُر!. لذلك فإن النكاح في الدبر غير جائز لنجاسة المكان، وكونه موضعاً للتغوط وليس للإنجاب (الحرث)!. علماً أن لنكاح المرأة في الدبر أضراراً طبية متعددة منها نفسية واجتماعية، لأنه انحراف عن الفطرة وإهمال لموضع الحرث (موضع الإنجاب)، ومنها أضرار جسدية في موضع الإتيان كالقروح والالتهابات، ومن أخطرها مرض العوز المناعي المكتسب (الإيدز) الذي ثبتت علاقته باللواطة والزنا، وهو مرض خطير للغاية.

التطهر من المحيض

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ أي في المحيض، فلا يحل الجماع حتى ينقطع الحيض، فإذا انقطع فلا بدّ على أقل تقدير من غسل آثار الحيض قبل الجماع، وذلك لأن الجماع معلق على شرطين: الطهر

والتطهر كما هو ظاهر من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾. وعلى أي حال، فإن الحائض إذا طهرت يجب أن تغتسل غسل الجنابة لأجل الصلاة، وهذا كله تأكيد للنظافة التي يريدها الإسلام في النفس والجسم والمجتمع.

حكم النفاس

والنفاس كالحيض طبياً كما هو شرعياً، وذلك بسبب نزول الدم في كليهما وحصول الأذى، ولذلك يجوز إطلاق أحدهما على الآخر، ويصلح أن يقال إن النفاس حيض طويل. وأحكام النفاس هي أحكام الحيض، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: بينما أنا مضطجعة مع رسول الله ﷺ في الخميلة (القطيفة وهي نوع من الثياب) إذ حضت، فانسللتُ (أي ذهبت خفية) فأخذت ثياب حيضتي، فقال لي رسول الله ﷺ: "أنفستِ؟" (أي حضتِ)؟ قلت: نعم[١]. رواه مسلم. وقد وقع مثل ذلك لعائشة رضي الله عنها في حديث الحج، حيث أطلق النبي ﷺ لفظ النفاس على الحيض، والحديث متفق عليه.

ونختم تفسيرنا الطبي لهذه الآية المباركة التي لها علاقة في الطب الوقائي وطب المجتمع وكذلك في طب النساء والتوليد، بقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك: ٦٧/١٤]. فالله الذي خلق هو الذي أنزل، فجعل تشريعه موافقاً لخلقه، والإنسان أكرم مخلوقاته فأوامره له هي لمصلحته ومنفعته، ونواهيه هي لمنع ضرره والإساءة به أو إليه، فلا بد أن تكون هذه التشريعات الربانية والتوصيات النبوية تصب لخيره في الدنيا والآخرة. والحمد لله رب العالمين .

(١) صحيح البخاري ٦٧/١ برقم (٢٩٨) ومسلم في صحيحه ٢٤٣/١ برقم (٢٩٦).

صفحة بيضاء

رقم 78

(مدة العدة عند المطلقة والأرملة والحكمة الطبية من اختلاف مدتيهما)

قال تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢/٢٢٨].

المراد بالمطلقات في الآية الكريمة: المدخول بهنّ من الحرائر ذوات الحيض. أما غير المدخول بهن: فلا عدة عليهن. وأما أولات الأحمال: فـ ﴿أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٦٥/٤].

وأما غير بالغات الحلم أو اليائسات من المحيض: ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾ [الطلاق: ٦٥/٤] مأخوذ ذلك من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٦٥/٤].

وقد أَوجبت الآية: أن تنتظر هذه المطلقة مدة ثلاثة قروءٍ، قبل الزواج من رجل آخر. والقروءُ: جمع قُرءٍ، بضم القاف وفتحها، ويطلق لغةً: على الطهر، وعلى الحيض.

وقد اختلف الفقهاءُ، في المراد من القروء المعتبرة في العدة. فمنهم من قال: المراد بها الأطهار. ومنهم من قال: المراد بها الحيضات. فإن طلقت الزوجة في الحيض، لم تعتد بالحيضة التي وقع فيها الطلاق، بإجماع الفقهاء. ولا تنتهي عدتها عند من يقول: إن القروء هي الحيضاتُ، إلا إذا حاضت - بعد الحيضة التي طلقت فيها - ثلاثة حيضات كوامل، وذلك بدخولها في الطهر الذي يلي هذه الحيضات الثلاث الكوامل.

ومن طُلِّقت في طهر، حُسِبَ هذا الطهر قرءًا عند من يقول: إن الأقراءَ هي الأَطهارُ، فتعتد بعده بطُهْرين كاملين، وذلك بدخولها في الحيضة التي تلي الطهرين الكاملين.

وهذه المدة كافية ليراجع كل من الزوجين نفسه: فيفيءَ إلى المودة والرحمة والصفاء، إن كان هناك مجال للصفاءِ، وكان الطلاق رجعيًا.

فإذا انتهت مدة التربص، أصبحت الطلقة بائنةً. ولا يملك الزوج حقَّ المراجعة، إلا بعقد ومهرٍ جديدين، برضا الزوجة، إن لم يستنفد عدد الطلاق[(١)].

إن التفسير الفقهي كما أجمع عليه العلماء للآيات المتعلقة بعدة المطلقة بكونها ثلاث قروء في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢/٢٢٨]. وعدة الأرملة المتوفى عنها زوجها (أربعة أشهر وعشرة أيام) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ١/٣٧٣.

يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾ [البقرة: ٢/٢٣٤] هو لاستبراء الرحم والتأكد من خلوه من الحمل، حتى لا يختلط ماء الواطأين (كما يقول الفقهاء) فتختلط الأنساب وتضيع الحقوق! وهذا هو عين الصواب. ولكن ما هو التفسير والتعليل الطبي لذلك في كون:

١. أن عدة المطلقة هي ثلاثة قروء سواء كانت من اللاتي يَحِضْن وثلاثة أشهر من اللاتي لا يَحِضْن لا أكثر ولا أقل!؟ ولماذا؟

٢. وأن مدة العدة عند الأرملة هي أربعة أشهر وعشرة أيام، أي بزيادة نحو أربعين يوماً (ستة أسابيع تقريباً) عن المطلقة!؟ وما هي الحكمة من اختلاف مدتيهما!؟ ولماذا جعلها بحساب الأشهر والأيام، وليست بالقروء كما في المطلقة؟

للجواب عن هذه الأسئلة وغيرها نقول وبالله التوفيق وهو أعلم بمراده:

بالنسبة للسؤال الأول:

إن كون عدة المطلقة ثلاثة قروء (حيضات) تكفي لنفي الحمل، وذلك أن المتخصص في طب النساء والتوليد يجد نسبة قليلة من الحوامل تخالف القاعدة العامة في عدم الحيض أثناء الحمل، فهي قد تحمل ويحصل عندها نزف فيسيولوجي يشبه دم الحيض، وذلك نتيجة انغراس البيضة الملحقة في بطانة الرحم (Implantation) في نهاية الأسبوع الثالث من آخر دورة شهرية (قرء)، أو نهاية الأسبوع الأول لبدء الحمل، أي في موعد الدورة الشهرية تقريباً. وقد يحصل كذلك نزف فيسيولوجي ثانٍ ما بين الأسبوع السابع والثامن للحمل، نتيجة انخفاض نسبة هرمون البروجيستيرون (Progesteron) في هذه الفترة، حيث تقل نسبته لتوقف تكوينه من الجسم الأصفر (Corpus Luteum) في المبيض، وتحول إفرازه إلى المشيمة (Placenta)، حيث يؤدي هذا الانخفاض أثناء التحول في تكوينه وإفرازه لحدوث نزف رحمي يشبه

الدورة الشهرية الثانية، مما يجعل الحامل تعتقد أنه حيض للمرة الثانية وهي حامل ولكنها تجهل ذلك. ولكن لا يحدث نزف فيسيولوجي ثالث يلتبس على الحامل، ما عدا في حالات النزف الناتج عن الإسقاط المهدد أو المحتم، الذي يحدث غالباً في الأشهر أو الأسابيع الأولى للحمل، وفي أي وقت منه، وبضمنه موعد الدورة الشهرية السابق، ويكون عادة مصحوباً بأعراض وعلامات طبية أخرى معروفة.

وهذه هي الحكمة في تشريع الطلاق، حيث جعل الله سبحانه وتعالى مدة العدة لثلاث حيضات (قروء)، حيث إن الحامل قد تستحيض (يحصل عندها دم يشبه الحيض) مرة أحياناً ومرتين نادراً (الأسباب الفسلجية المذكورة أعلاه)، بينما لا يمكن أن تستحيض للمرة الثالثة، وبذلك تعرف أنها حامل، فتنتهي عدتها في هذه الحالة بعد وضع حملها قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤﴾ [الطلاق: ٦٥/٤].

وكما هو ظاهر من حكم هذه الآية الكريمة أيضاً، أن مدة العدة في النساء التي لا تحيض بسبب وصولهن سن اليأس أو لغيره بصرف النظر عن عمرها (وربما يدخل في حكم هذه الآية من كانت تحيض ثم انقطع حيضها بغير حمل وهي شابة لمرض أو لغيره)، فإنها ثلاثة أشهر تحديداً. وهذه المدة مقاربة لثلاثة قروء عند النساء اللاتي تحيض، والتي مدتها نحو ثلاثة أشهر أيضاً. فتكون مدة العدة في هذه الحالة متساوية بينهما. وهذا من روعة التشريع الرباني الذي أحاط بكل شيء علماً، وأعطى كل ذي حق حقه، ولم يترك ثغرة فيه. قال تعالى: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٤﴾ [الملك: ٦٧/١٤].

وللجواب على السؤال الثاني:

فإن من المعلوم طبياً أن حركة الجنين تشعر بها الحامل عادة في الأسبوع السادس عشر في حالة كونها متعددة الولادات سابقاً

(Multigravida)، أو في الأسبوع العشرين إن كانت تحمل لأول مرة (Primigravida)، ومعدل الحالتين هو ١٨ أسبوعاً والتي تعادل أربعة أشهر وعشرة أيام بالضبط، فوق أن كبر حجم الرحم وإمكانية ظهوره والكشف عنه سريرياً بالفحص الخارجي للبطن، حيث يصل أعلى الرحم إلى تحت السرة بقليل في هذه المدة، حيث تشعر الحامل بحركة جنينها، ويكون حجم رحمها ظاهراً فتعرف أنها حامل. فإن كانت أرملة فإن عدتها هي وضع الحمل، كما قال تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٦٥/ ٤]، وإن كانت غير حامل فعدتها أربعة أشهر وعشرة أيام، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢/ ٢٣٤]. والحكمة من ذلك والله أعلم كما يقول الشيخ علي أحمد الجرجاوي (هذا وتجب العدة على المتوفى عنها زوجها سواءً كان مدخولاً بها أو غير مدخول بها وسواءً كانت ممن تحيض أو ممن لا تحيض لعموم قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢/ ٢٣٤]، والحكمة من جعل العدة (أربعة أشهر وعشرة أيام) ترجع إلى عدة أمور منها:

١. العلم ببراءة الرحم وطهارته، حتى لا يجتمع ماء الواطئين في رحم واحد فيختلط النسب.

٢. إظهار احترام العقد وتعظيمه.

٣. احترام حق الزوج المتوفى وإظهار الأسى على فقده.

٤. إظهار الحزن بفوت نعمة النكاح وتعريف لقدرها)[١].

وقد يقول قائل وما الحكمة في جعل عدة المطلقة ثلاثة قروء (حوالي ١٢ أسبوعاً أو ثلاثة أشهر) بينما هي أربعة أشهر وعشرة أيام (١٨ أسبوعاً) في حالة الأرملة، وهي أقل بنحو ستة أسابيع (أربعين يوماً) من عدة الأرملة؟ فالسبب في ذلك هو لزيادة الحيطة في استبراء الرحم، حيث إن

---

(١) الشيخ علي أحمد الجرجاوي (حكمة التشريع وفلسفته) ص٦٢-٦٦ الجزء الثاني الطبعة الأولى ١٩٣١- مطبعة اليوسفية بالقاهرة.

صاحب الحق وهو الزوج في حالة المطلقة موجود على قيد الحياة، وهو أعلم الناس بحالها وعادتها في القرء (الدورة الشهرية)، ومن الممكن أن تعود إليه، قال تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍۗ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٢٩]. أما في حالة الأرملة فإن المتوفى عنها زوجها صاحب الحق الذي يعلم أحوالها وعادتها في القرء (دورتها الشهرية) قد توفي. فشاهدها الوحيد في هذه المسألة غير موجود! لذلك جعل الشارع هذه الزيادة في عدة الأرملة، زيادة في الحيطة في استبراء الرحم وخلوه من أي حمل كان، وحتى لا يختلط دم الواطئين في الرحم الواحد كما يقول الفقهاء، وتضيع حقوق الطفل اليتيم فوق ضياع نسبه!.

ولعل الحكمة - والله أعلم - في جعل عدة الأرملة بالشهور والأيام وليست بالقروء، أنه لو كانت كذلك - أي بالقرء - فإنه لا مجال لمنازعة المرأة لو ادعت قروءاً ليست من عادتها، فقد تطيلها أو تقصرها حسب رغبتها!.

والدليل الآخر في حكمة تشريع العدة للأرملة وللمطلقة، هو على الغالب لاستبراء الرحم ونظافته من الحمل هو كالآتي:

١. أن عدتها في حالة كونها حاملاً تنتهي بوضع ذلك الحمل، قال تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ [الطلاق: ٦٥/ ٤]، فقد ذكر ابن كثير في تفسيره المجلد الأول، ص٢١٣ (دار القرآن الكريم: بيروت) بخصوص عدة الأرملة ما يأتي: (وهذا أمر من الله للنساء اللاتي يُتوفى عنهن أزواجهن، أن يعتددن أربعة أشهر وعشر ليال، ولا يخرج من ذلك إلا المتوفى عنها زوجها وهي حامل، فإن عدتها بوضع الحمل، ولو لم تمكث بعده سوى لحظة، لعموم قوله تعالى في الآية (٤) من سورة الطلاق).

٢. عدم وجود عدة للمطلقة التي لم يدخل بها زوجها، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٤٩﴾﴾ [الأحزاب: ٣/ ٤٩].حيث إنه في هذه الحالة الزوج على قيد الحياة (موجود)، ويعلم أنه لم يدخل بها، بخلاف المتوفى عنها زوجها الذي يكون قد دخل بها!.

والأرملة الحامل التي لا تدري بأن في أحشائها جنيناً، ولم تدرك ازدياد حجم رحمها بكبر بطنها عادة، إما لجهلها أو لغياب أعراض الحمل المعروفة عندها، أو لعدم مراجعتها للأطباء، أو لعدم توفر وسائل الكشف والتأكد من وجود الحمل (التي قد لا تتوافر في كل زمان ومكان رغم شيوعها)، فإنها سوف تعلم أنها حامل بحركة الجنين داخل رحمها، الذي يقول بلسان حاله وحركته لها (يا أماه إنني هنا في أحشائك، فلا تتزوجي حتى تلديني وتكملي عدتك)! وحركة الجنين في بطن أمه تكون في حوالي أربعة اشهر وعشرة أيام كما ذكرناه سابقاً. وإن كان من الثابت علمياً أن حركة الجنين تبدأ قبل هذه المدة، ومن الممكن تسجيلها بأجهزة طبية خاصة كالسونار، ولكن الأم لا تشعر بهذه الحركة إلا في المدة المذكورة أعلاه، فسبحان الله الحكيم العليم. لذلك جعل الشارع العظيم زيادة عدة الأرملة عنها في المطلقة بنحو أربعين يوماً، حتى تعلم الأرملة الحامل بحملها، إما عن طريق كبر حجم بطنها، حيث يصل رحمها إلى ما تحت السرة، أو بحركة جنينها، أو بهما معاً. وهاتان العلامتان لا تحصلان في نهاية الأشهر الثلاث الأولى من الحمل أو الثلاث قروء، كما هو الحال عند المطلقة، حيث يكون الرحم داخل تجويف الحوض. وحتى لو فرضنا جدلاً أن المطلقة الحامل (سواء عرفت أم لم تعرف بحملها) تزوجت بعد انقضاء عدتها أعلاه، وحملت من زوجها الثاني، فإنها ستلد بعد ستة أشهر على أبعد تقدير، لكون الحمل مدته الاعتيادية تسعة أشهر. وفي هذه الحالة، فإن الزوج الأول وهو على قيد الحياة سيطالب بهذا المولود، لأنه يعرف عادتها وأحوالها! ومن أجل ذلك ربط الباري عز وجل هذا الأمر المهم بمخافته وتقواه وبالإيمان به، وبالحساب يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ﴾ [البقرة: ٢/٢٢٨].

وخلاصة القول

إن العدة عند المطلقة التي تحيض هي ثلاثة قروء، وعند التي لا تحيض ثلاثة أشهر (١٢ أسبوعاً)، أما إن كانت حاملاً فعدتها تنقضي بوضع حملها.

أما عدة الأرملة المتوفى عنها زوجها فهي أربعة أشهر وعشرة أيام (١٨ أسبوعاً). وهذه المدة تصلح لإثبات أو نفي الحمل في النساء عامة سواء كانت المرأة تحيض أو لا تحيض، وسواء أكان مدخولاً بها أو غير مدخول بها، مما يدل على أن مدة هذه العدة كافية لنفي أو إثبات الحمل، فإذا ظهر حمل عندها انتقلت إلى عدة الحامل، أي أن عدتها تنقضي بانتهاء حملها كما في المطلقة. والحكمة من العدة في الحالتين (المطلقة والأرملة) لاستبراء الرحم، والتأكد من خلوه من الحمل. ولكن في حالة الأرملة تكون مدة العدة أطول، لزيادة الحيطة في ذلك، والله أعلم.

كما هو مبين أيضاً في الجدول أدناه:

جدول يبين مدة العدة واستبراء الرحم عند المطلقة والأرملة

ت	الموضوع	المدة	الدليل	الملاحظات
١	عدة المطلقة	ثلاثة قروء	﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢/٢٢٨]	حوالي ثلاثة أشهر (١٢ أسبوعاً)
٢	عدة المطلقة الحامل	وضع الحمل	﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٦٥/٤]	تنتهي عدتها بوضع الحمل
٣	عدة المطلقة التي لا تحيض	ثلاثة أشهر	﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾ [الطلاق: ٦٥/٤]	(١٢) أسبوعاً
٤	عدة المطلقة غير المدخول بها	لاتوجد	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٣/٤٩]	زوجها على قيد الحياة
٥	عدة الأرملة	أربعة أشهر وعشرة أيام	﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢/٢٣٤]	يتحرك الجنين وحجم الرحم تحت السرة

ت	الموضوع	المدة	الدليل	الملاحظات
٦	عدة الأرملة الحامل	وضع الحمل	﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ [الطلاق: ٦٥/٤]	تنتهي عدتها بوضع الحمل
٧	عدة الأرملة غير المدخول بها	أربعة أشهر وعشرة أيام	﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ﴾ [البقرة: ٢/٢٣٤]	(١٨) أسبوعاً وزوجها متوفى

الوسائل الطبية الحديثة للكشف عن الحمل تستعمل لخدمة الأحكام الشرعية وليس لإلغائها

ونختم في هذا الموضوع بالسؤال الآتي: فقد يقول قائل إن الوسائل الطبية قد تطورت، وتساعد على تشخيص ومعرفة وجود الحمل من عدمه، فلماذا الأخذ بالعدة إذا أظهرت هذه الوسائل خلو المرأة المطلقة أو الأرملة من الحمل؟!

الجواب عليه ما يأتي:

إن هذه الوسائل الطبية الحديثة للكشف عن الحمل، تستعمل لخدمة الأحكام الشرعية وليس لإلغائها، وذلك لأن استبراء الرحم هو أحد مقاصد العدة الرئيسة، وليس هو المقصد الوحيد، كإظهار العقد واحترامه وحق الزوج المتوفى، وإظهار الأسى على فقده، والحزن بفوت نعمة النكاح، وتعريفاً بقدرها كما ذكرنا أعلاه.

يضاف إلى ذلك، أن الأحكام الشرعية (ومنها العدة) يراد بها الناس عامة في كل زمان ومكان، وليس من طبيعة التشريع أن ينفرد كل إنسان بحكم أو أحكام خاصة بحسب أحواله. كما أنها قد لا تكون متوفرة في كل بلد أو وقت رغم شيوعها، فوق إمكانية حصول خطأ ولو بنسبة قليلة في حالة الاعتماد عليها، كما هو معلوم في الدراسات الطبية.

فمثلاً، إن المرأة التي طلقها زوجها وهو غائب عنها سنوات، أو التي رفع رحمها جراحياً، أو المرأة بعد سن اليأس، لا شك أنها غير حامل، ومع ذلك تجب عليها العدة إذا كانت مدخولاً بها.

وكذلك، فإن الوسائل الطبية (الفحوصات المختبرية والشعاعية كفحص الدم والبول وفحص الرحم بالأمواج فوق الصوتية- السونار-) لإثبات أو نفي الحمل، فإنها لا تستعمل لإلغاء عدة غير الحامل، ولكنها قد تستعمل للتثبت من نوع العدة الواجبة، هل هي عدة الحامل أم غير الحامل؟ فمثلاً، إذا اشتبه حال مطلقة أو أرملة هل هي حامل أم لا؟ فلا بأس باستعمال تلك الوسائل، فإن نفت الحمل بعد فترة مقبولة من الاشتباه، فإن العدة هي عدة غير الحامل، وإن أثبتت الحمل فإن العدة عدة الحامل.

وأيضاً، فإن المعتدة تكون مسؤولة قضائياً وشرعياً عن قولها وما تدعيه، حيث قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ٢/٢٢٨].

أما الاتكال على الأساليب الطبية من غير عدة معلومة، فإنه يجعل المسؤولية القضائية والاجتماعية مشتتة، ويفتح أبواباً كثيرة للتحايل والتلاعب بالحرمات. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، والحمد لله رب العالمين.

التفسير الطبي للآية رقم (٢٣٣) من سورة البقرة

(الرضاعة)

إن كلمة (الرضاعة) ومشتقاتها قد تكررت في القرآن الكريم أربع عشرة مرة في سبع سور وثمان آيات كريمات كما في الجدول أدناه:

ت	اسم السورة	رقم الآية	الكلمة
١	سورة البقرة	٢٣٣	يرضعن، الرضاعة، فصالاً، تسترضعوا
٢	سورة النساء	٢٣	أرضعنكم، الرضاعة
٣	سورة الحج	٢	مرضعة، أرضعت
٤	سورة القصص	١٢،٧	أرضعيه، المراضع
٥	سورة لقمان	١٤	وفصاله
٦	سورة الأحقاف	١٥	وفصاله
٧	سورة الطلاق	٦	أرضعن، فسترضع

إن من أهم وأول الآيات المذكورة أعلاه بخصوص الرضاعة وأحكامها، هي الآية موضوع البحث من سورة البقرة، التي توصي الأمهات بإرضاع أولادهن لمدة عامين وقدر المستطاع، في قوله تعالى:

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ

رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَاۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾ [البقرة: ٢/٢٣٣].

تبين هذه الآية الكريمة وتقرر أول حق للطفل فور ولادته؛ وهو حق التغذية الأولى التي تناسب سنه، وتكوّن لحمه، وتنشز عظمه؛ ولذا قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾.

الوالدات: هن الأمهات، سواء أكنَّ أزواجاً لآباء الأولاد أم كن مطلقات منهم؛ والتعبير عن الأمهات بالوالدات فيه إشارة إلى أمرين:

أحدهما - أنهن اللائي ولدنهم وكن الوعاء الذي برزوا منه إلى الوجود، وقد تربوا فيه ومنه تغذوا، فكان من الحق أن يتغذوا منه حتى يستغنوا عنه؛ وفي هذا إيماء إلى وجوب الإرضاع على الأمهات.

وثانيهما - أن الغذاء الذي يناسب الطفل في مهده، هو الغذاء الذي يكون من نوع ماكان يتغذى منه في بطن أمه؛ وكان في التعبير بالوالدات إشارة إلى ذلك؛ لأن الولادة انفصال الحمل عن أمه وبروزه إلى الوجود؛ فهي تشير إلى الصلة بين المكان الذي خرج منه، وحياته التي يستقبلها؛ وذلك إيماء إلى وجوب التناسب بين الحالين، والتناسب بينهما من حيث الغذاء، يوجب التجانس بين حالي الغذاء، وذلك يوحي من جهة ثانية إلى وجوب إرضاع الأم ولدها، وهو ما سيقت له الجملة السامية.

وقوله تعالى: ﴿يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ هو أمر جاء على صيغة الخبر؛ فمعنى ﴿يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ ليرضعن؛ أي عليهن إرضاع أولادهن؛ وعبر عن الطلب بصيغة الخبر؛ للإشارة إلى أن ذلك الوجوب تنادي به الفطرة، ويتفق مع طبيعة الأمومة، وأن الأمهات يلبين الطلب فيه بداعٍ من نفوسهن؛ فلذلك عبر بالخبر، وكأن الإرضاع وقع من غير طلب خارجي، فكان ذلك التعبير مفيدًا للأمر التكليفي، ومقررًا للأمر الفطري(١).

(١) زهرة التفاسير، ٢/٨٠٥.

وليس المقصود بالحولين سنتين تامتين على وجه الوجوب، إنما قد يكون الأمر سنتين لمن أحب ذلك، أو سنة ونيف، يقول الإمام السمعاني في تفسيره: فالحولان: (مُدَّة) الرَّضَاع، فَإِن قَالَ قَائِل: لم قَالَ: كَامِلين؟

قيل: لِأَن الْحَوْلَيْنِ قد ينْطَلق على الْحول وَبَعض الْحول الثَّانِي، كَمَا فِي قَوْله: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌۚ﴾ أطلق الْأَشْهر على شَهْرَيْن وَبَعض الثَّالِث، فَقَالَ: كَامِلين ليعرف أَنه أَرَادَ تَمام الْحَوْلَيْنِ. وَقيل: إِنَّمَا قَالَه تَأْكِيدًا[١].

إن الرضاعة الأمومية (البشرية) وتسمى أيضاً الطبيعية أو رضاعة الثدي (Breast feeding)، هي الغذاء المثالي والضروري للطفل الرضيع، للفوائد الكثيرة التي لا حصر لها بالنسبة له، وكذلك بالنسبة للأم على حد سواء، مقارنة بالرضاعة الصناعية (خلائط الرضع البقرية المنشأ) والتي تسمى أيضاً، برضاعة القنينة (Bottle feeding)، مما ينعكس بالفائدة أيضاً على المجتمع والأمة!

إن الطب الحديث يكتشف وباستمرار الكثير من الفوائد للرضاعة الأمومية، كلما تقدمت العلوم والبحوث، مما جعل الجمعيات الطبية العالمية المتخصصة بالأطفال (كالجمعية الأمريكية لطب الأطفال وغيرها)، ومنظمة رعاية الطفولة التابعة للأمم المتحدة (UNICEF)، وكذلك منظمة الصحة العالمية (WHO)، تؤكد على أهميتها وفائدتها في جميع توصياتها، ومنها التوصية الآتية التي طابقت ما أمر الله به في كتابه المحكم قبل أكثر من أربعة عشر قرناً بقولها:

(إن الاعتماد المطلق في تغذية الطفل عن طريق الرضاعة الطبيعية لمدة ٦ أشهر، وكلما رغب الطفل في ذلك، والاستمرار في هذه الرضاعة إلى أن يبلغ العام الثاني، لمن الأمور ذات الأهمية البالغة في الوقاية من الأمراض المعدية، خاصة حالات الإسهال التي تصيب الأطفال في هذه المرحلة من عمرهم. ويعد حليب الأم

(١) تفسير القرآن للسمعاني، ١/٢٣٦.

أفضل غذاء يمكن تقديمه للطفل، لما له من خواص تكسب الطفل مناعة من الأمراض المعدية).

وسنذكر أدناه وباختصار شديد أهم هذه الفوائد:

أولاً: أهم فوائد الرضاعة الأمومية بالنسبة للطفل:

١. **معقم**- خالٍ من الجراثيم .

٢. **متماثل**- دافئ بنفس حرارة الجسم (٣٧ درجة مئوية).

٣. **موَفِّر ومتوفر**- اقتصادي وجاهز!

٤. **متكامل**- يحتوي على كافة العناصر الغذائية المطلوبة، خاصة للخلايا الدماغية (المراكز الذهنية العليا كالذكاء).

٥. **متناسق** - وبالنسب التي يحتاجها الطفل الرضيع.

٦. **متغير**- يتناغم حسب عمر ووزن الطفل وحاجته.

٧. **مقاوم**- يحتوي على كافة العوامل المناعية (أجسام مضادة وخلايا دفاعية).

٨. **مطمئن**- يشعر الطفل بالاطمئنان والراحة النفسية.

٩. **مُطوِّر**- يحتوي على الخلايا الجذعية «Stem cells» التي تعمل على إصلاح وتجديد خلايا الجسم.

ثانياً: أهم فوائد الرضاعة الأمومية بالنسبة للأم:

١. **استحقاق فسلجي مع وقاية من الأمراض**: الرضاعة هي حلقة من حلقات الاستحقاق والأداء الوظيفي (الفسلجي) والحياتي (البايولوجي) للمرأة (إخصاب، حمل، ولادة، رضاعة)، وينتج عن ذلك المحافظة على

صحتها، ووقايتها من كثير من الأمراض العضوية والنفسية، ومن أهمها داء السمنة وارتفاع ضغط الدم وداء السكر والمتلازمة الأيضية، وحتى بعد وصولها إلى سن اليأس، كما أثبتت ذلك الأبحاث الطبية، والتي أظهرت أيضاً أنه كلما أرضعت المرأة أكثر تكون إصابتها بهذه الأمراض وغيرها أقل.

٢. **مانع حمل طبيعي**: تشكل الرضاعة مانع حمل طبيعي (Lactation Amenorrhea)، نتيجة لإفراز هرمون البرولاكتين (Prolactin) من الفص الأمامي للغدة النخامية، الذي يدر الحليب ويثبط المبيض عند الأم المرضع، مؤدياً غالباً إلى انقطاع الدورة الشهرية عندها طيلة مدة الإرضاع.

٣. **منع النزف بعد الولادة**: كما تقلل الرضاعة الأمومية إصابة الأم بالنزف ما بعد الولادة (Postpartum Bleeding).

٤. **وقاية من السرطان**: حيث تقلل الرضاعة من الإصابة بسرطان (أورام) الثدي والمبيض والرحم وبطانته. وكلما امتدت الرضاعة لفترات أطول ولعدة ولادات، تقل نسبة الإصابة بهذه الأورام مقارنة بالأمهات اللاتي لم يرضعن.

٥. **الحنان**: الرضاعة تحقق الحنان والمحبة والترابط بين الأم وطفلها (Mother Infant Bonding)، المؤدي إلى سعادة الأم وإشباع عاطفتها وفطرتها التي خلقها الله عليها في أداء واجبها تجاه فلذة كبدها! وقد أثبتت البحوث الطبية أنه كلما أرضعت الأم طفلها أكثر، ازدادت عنايتها به ومحبتها له! وفي نفس الوقت تحقق عند الطفل الشعور بالاطمئنان والحبور، خاصة عندما تضم الأم رضيعها على صدرها، فينشأ الطفل مستقراً نفسياً، محباً وفياً لوالدته وإخوته الذين رضعوا معه، وتكون الأسرة بذلك متحابة ومترابطة، وينعكس ذلك إيجابياً على المجتمع والأمة بكاملها.

سؤال مهم:

في حالة عدم توافر الرضاعة الأمومية (حليب الأم) لأي سبب كان،

كأن تكون الأم مريضة لا تستطيع الإرضاع، أو توفيت بعد الولادة، أو انقطع عنها الحليب. ما البديل الأول والأمثل لغذاء الطفل؟

هل هو الحليب البشري (رضاعة الثدي) من مرضعة؟ أم الحليب البقري الصناعي (رضاعة القنينة)؟ ولماذا؟!

الجواب:

الحليب البشري (حليب المرضعات) هو البديل الأول والخيار الأفضل للطفل، وليس الحليب البقري أو خلائط الرضع المصنعة منه (Cow's Milk Formulas)، محققين ذلك من الأدلة الشرعية والطبية الآتية:

الدليل الشرعي

١-القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٢/٢٣٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ [الطلاق: ٦٥/٦].

٢-السنة النبوية:

لقد كان العرب عامة والقرشيون خاصة أصحاب فطرة سليمة، يحرصون من خلالها على اختيار المرضعات السليمات، لزيادة الصفات الحميدة في أولادهم، ومثال ذلك إرضاع حليمة السعدية لرسول الله ﷺ، حيث سئل مرة عن سر فصاحته فقال: «**أنا أعربكم، أنا من قريش ولساني لسان بني سعد بن بكر**»[(١)].

الدليل الطبي

١-كونه بشرياً:

حيث يرقى إلى حاجة الطفل من جميع النواحي العضوية والنفسية. إن

(١) أورده المتقي الهندي في كنز العمال ١١/٤٠٤ برقم (٣١٨٨٤).

الحليب البقري قد خلقه الله للعجول (الحيوان) لنمو عضلاته، فيتضاعف وزنه بعد شهر (مقارنة بالطفل الذي يتضاعف وزنه بعد أربعة أشهر)، ويصبح مناسباً لغذاء الإنسان ومسخراً له! قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه: ٢٠/٥٠]، أما الحليب البشري فهو للأطفال الرضع (الإنسان)، الذي خصصه الله تعالى لنموه العضوي المتوازن، خاصة الجهاز العصبي (الدماغ) والجهاز المناعي، لاحتوائه على المقومات المطلوبه لنموهما. وقد أثبتت البحوث الطبية أن الذين رضعوا من أمهاتهم، يتفوقون بدرجات الذكاء (IQ) والقوة الجسدية، وتكون صحتهم أفضل، وإصابتهم بالأمراض أقل، مقارنة بأقرانهم الذين رضعوا رضاعة صناعية!

٢- الوقاية من الأمراض المعدية والهدر الاقتصادي:

الرضاعة وقاية من الإصابة بالتهاب المعدة والأمعاء الحاد، والتهاب المسالك التنفسية العليا عند الأطفال، حيث إن الذين يرضعون صناعياً (رضاعة القنينة)، يتوفى منهم أكثر من ثلاث ملايين سنوياً في بلدان العالم الثالث، نتيجة للإصابة بهذه الأمراض المعدية. فضلاً عن الهدر الاقتصادي الناتج عن شراء الحليب الصناعي، واستعمال الأدوية، والمراجعات الطبية للحالات المرضية التي سببتها رضاعة القنينة.

٣- الوقاية من الأمراض المناعية والحساسية:

إن البحوث الحديثة أظهرت أن الجهاز المناعي والهضمي في الإنسان، خلال العامين الأولين من عمر الرضيع، يكونان غير مكتملين، ويتعرضان للاختراق من تناول الأغذية. ففي حالة استعمال الحليب الصناعي أو البقري خلال هذه الفترة الحساسة، يؤدي ذلك إلى الإصابة بأمراض كثيرة في الطفولة وفي المستقبل (على المدى القريب والبعيد)،كمرض الربو القصبي والأكزما الجلدية والتهاب المسالك التنفسية العليا والتهاب الأمعاء التحسسي المنشأ (Allergic Diseases). وكذلك أمراض المناعة الذاتية (Autoimmune Diseases)، ومن أهمها داء السكر من النوع الأول المعتمد على الأنسولين (Type1 DM)، وداء الذئب الاحمراري المنتشر (SLE)، والتهاب القولون

المتقيح، ومرض كرونز (IBD)، ومرض تصلب الصفيحة المنتشر (Multiple Sclerosis).

ومن الجدير بالذكر أن منظمة الصحة العالمية (WHO) في تقريرها الصادر بتاريخ ٢٤-١١-٢٠٠١، أوصت باللجوء إلى الحليب البشري الطبيعي (حليب المرضعات)، بدلاً عن البقري الصناعي (خلائط الرضع)، في حالة عدم توافر الحليب من الأم أو انقطاعها عن الرضاع. مما يطابق ما ذكره القرآن الكريم وأوصى به قبل أكثر من أربعة عشر قرناً أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾. وقوله تعالى: ﴿أُخْرَىٰ﴾ إشارة إلى (امرأة ثانية تدل على المغايرة مع وجود المماثلة أي أخرى من صنفها)، كما جاء ذلك في تفسير (محاسن التأويل) لمحمد جمال الدين القاسمي.

الرضاعة من غير الأم (الرضاعة المُحرِّمة):

وقبل أن نختم هذا الموضوع المهم عن فوائد الرضاعة البشرية (الطبيعية) مقارنة بالبقرية (الصناعية)، قد يسأل سائل: ما الحكمة من تحريم الزواج من الإخوة بالرضاعة (ما يسمى فقهياً بالرضاعة المحرِّمة)، وهل بالإمكان الإفادة بالرضاعة من غير الأم لعلاج بعض الأمراض كاستنباط طبي وسبق علمي قرآني؟

والجواب عن ذلك مايأتي:

قال الله عز وجل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ [النساء: ٤/٢٣].

وقال سيدنا محمد ﷺ: "**يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب**"(١).

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ ٢١١/١ برقم (٦٢٧)، ورواه البخاري في صحيحه ١٧٠/٣ برقم (٢٦٤٥)، ورواه مسلم في صحيحه ١٠٧٠/٢ برقم (١٤٤٥)

إن هذه النصوص الشرعية تفتح مجالاً واسعاً لبحوث طبية تطبيقية جديدة، في غاية الأهمية والفائدة للبشرية، باستعمال الرضاعة البشرية من غير الأم خلال فترة الرضاعة وقبل الفطام للطفل، حيث إن الرضاعة خلال هذه الفترة لخمس رضعات تجعل الغريب قريباً، حيث نعتقد أنها تحدث تغيرات بايولوجية مناعية ونسيجية وجينية للطفل الرضيع، وبالإمكان في حالة إثبات حصول هذه التغيرات، الإفادة منها في عدة مجالات طبية، كحالة زرع الأعضاء (في اختيار الإخوة من الرضاعة كمتبرعين بدل الغرباء في حالة عدم توفر الأقرباء)، وكذلك في علاج بعض الأمراض الوراثية، وذلك بإرضاع الطفل المصاب حديث الولادة من مرضعة غريبة وسليمة، حيث نفترض أن حليبها يزيح أو يقلل من تأثير الجين المرضي عند الطفل المصاب. وهذا تطبيق لقوله عز وجل: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ [الطلاق: ٦٥/٦].

والاكتشاف المهم الذي توصل إليه الطب حديثاً، والذي يعزز فرضيتنا المذكورة أعلاه، هو: العثور على الخلايا الجذعية (Stem Cells) في الحليب البشري، حيث يعتبر ذلك اكتشافاً نوعياً مهماً في المجالات الطبية العلاجية، في حلقة الأبحاث المعنية بالخلايا الجذعية حيث بإمكان هذه الخلايا كما هو معلوم بناء وإصلاح وتجديد أنسجة الجسم وخلاياه. وتشير الدراسات إلى أن هذه الخلايا التي تتكون في الغدد الثديية للأم والمكونة للحليب، هي امتداد لعمل الخلايا الجذعية من المشيمة، المسؤولة عن الإمداد الدموي والغذائي للجنين في فترة الحمل، وهي تسلم وظيفتها بعد الولادة للغدد الثديية المكونة للحليب، لإكمال تميزه الجيني والنسيجي والمناعي. فالرضاعة البشرية تكمل ما بدأت به المشيمة، ومن تقدير اللّه عز وجل أن جعل الجهاز الهضمي للطفل الرضيع مهيأ ليسمح بمرور هذه الخلايا الجذعية وغيرها من الخلايا المناعية قبل انغلاق الحاجز المعوي الدموي (Intestinal-Blood Barrier)؛ مما يساعد على نمو وبناء وتوجيه وتطوير جسمه في نفس الوقت.

ولعل في اكتشاف تواجد هذه الخلايا وغيرها من العوامل مثل (Micro RNA) في الحليب البشري، وما يمثله دورها في نظام بناء وإصلاح وتجديد

وتطور الصفات المظهرية (Phenotype) للمولود، حتى يصل إلى مرحلة البلوغ، تلمس بعض الحكمة من التشابه الخلوي والنسجي والعضوي والنفسي، الحادث بين من يرضعون على مرضعة واحدة، مما يفسر لنا الحكمة من تحريم الزواج من الإخوة بالرضاعة، كما هو الأمر بتحريم الزواج من المحارم، لوقوع هذا التشابه وراثياً، الذي يؤدي في حالة حصوله إلى ظهور الكثير من الأمراض الوراثية، وبنسب عالية، وكما هو معروف في المجتمعات اليهودية، والذي بينته الدراسات والأبحاث الطبية.

التفسير الطبي للآية رقم (٣٦) من سورة آل عمران

﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ﴾.

للعلماء أقوال في الفرق بين الذكر والأنثى، ذكر بعضها الإمام السمرقندي في تفسيره فقال: وليس الذكر كالأنثى في الخدمة.

وقال بعضهم: هذا قول الله لمحمد ﷺ، وليس الذكر كالأنثى يا محمد.

وقال بعضهم: هي كلمة المرأة، أنها قالت: وليس الذكر كالأنثى في الخدمة.

وقال مقاتل: فيها تقديم، فكأنه يقول: قالت رب إني وضعتها أنثى، وليس الذكر كالأنثى، والله أعلم بما وضعت[١].

حتى منتصف القرن العشرين ظن بعضهم أن المرأة لا تختلف إلا شكلاً عن الرجل، ومع اكتشاف أن الشفرة الوراثية (الخارطة الجينية) في الخلايا (DNA) هي المادة التي بها تتخلق الأحياء وتتكاثر، ظهر الاختلاف

(١) بحر العلوم للسمرقندي، ١/٢٠٨.

الخفي بين الاثنين. فالخارطة الوراثية عند الذكر تتألف من ٤٤ صبغية عادية (الكرموسومات) مع صبغتين جنسيتين (XY)، وعند الأنثى تتألف كذلك من ٤٤ صبغية عادية (الكرموسومات) مع صبغتين جنسيتين (XX) أي ٢٢ زوجاً من الكروموسومات لكل منهما. ويحتوي الكرموسوم (X) أكثر من ٢٠٠٠ عامل وراثي (جين) من مجموع ٢٠-٢٥ ألف جين (عامل وراثي) في الجينوم البشري. بينما الكروموسوم (Y) الصغير الحجم، فيحتوي على ٧٨ عاملاً وراثياً فقط، ومن أهمها الموجودة في منطقة (GeneSRY)، المسؤولة عن الصفات الذكورية في الإنسان؛ ما يشرح علمياً اختلاف الذكر والأنثى من الوجهة التشريحية والوظيفية والشعورية والتصرفات السلوكية بينهما. أما الظن بأن الأنثى، وإن اختلفت عن الرجل من الوجهة الجسدية، فهي لا تختلف عنه في الاستعدادات الأخرى، وأن الرجل - بحكم العادات والتقاليد المتبعة منذ أجيال- فرض التبعية على المرأة، ولا يزال، فهذه مجرد نظريات واهية لم تقم بها حقائق. فهناك اختلاف بايولوجي بين المرأة والرجل: فمثلاً إن نسبة بعض الأمراض بين الذكور والإناث مختلفة، سواء كانت أمراضاً جسدية أو نفسية أو عقلية، وكذلك الحال بالنسبة للثوابت البايولوجية (الحيوية). غير أن ذلك لا يعني أن الرجل يفضل المرأة أو العكس، بل كلاهما متمم للآخر، ومؤهل وميسرٌ لما خلق له تكاملاً وليس تفاضلاً!

وفي دراسة أجراها علماء متخصصون في علوم التشريح والفسلجة والبايولوجيا، تبين الفرق بين دماغ الذكر ودماغ الأنثى، وتفسر الاختلافات بينهما، وبين مهارات الرجل ومهارات المرأة، حيث (بينت الدراسة ولأول مرة أن دماغ الذكر ودماغ الأنثى يختلفان من حيث ترابط أجزائهما، وهو ما يفسر الاختلافات بين سلوك الرجل وسلوك المرأة. حيث إن ترابط أجزاء دماغ الرجل يتم من الأمام إلى الخلف، أما الترابط في دماغ المرأة فيتم من الجانبين، بين اليمين واليسار).

وأوضح العلماء (أن الاختلافات بين دماغ الجنسين له دور مهم في فهم سبب أفضلية الرجال على النساء في الأعمال التي تتطلب تحكماً في العضلات. وأفضلية النساء في الأعمال التي تتطلب الذاكرة والحدس).

وقد أثبتت اختبارات فسيولوجية وجود اختلافات كبيرة بين الجنسين في القدرة على أداء مهام ذهنية عديدة، حيث تفوق الرجال في بعضها، بينما تفوقت النساء في البعض الآخر.

ومن الملاحظ أن تكرار كلمة (الرجل) وكلمة (المرأة)، وذكرهما في القرآن الكريم جاء متساوِياً لكل منهما (٢٤ مرة بالضبط)! وفي ذلك دليل على تساويهما في الحقوق والواجبات. وما هذه الاختلافات التكوينية (التشريحية والفسلجية الوظيفية وغيرها) بينهما، إلّا لتسيير الحياة وإدامتها بالإنجاب والذرية وتوزيع المسؤوليات والواجبات بينهما، ويشكلان معاً فريق عمل متكامل ومتعاون، لتكوين الأسرة الصالحة التي هي أساس المجتمعات والأمم. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ٤/١] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ٤٩/١٣].

صفحة بيضاء

رقم 102

معجزة الحمل بعيسى ابن مريم وولادته

قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: ٣/٣٧].

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ أي رضي بها في النذر وسلك بها مسلك السعداء، وقال قوم: معنى التقبل التكفل والتربية والقيام بشأنها، وليست صيغة التفعل للتكلف كما هو أصلها، بل بمعنى الفعل، كتعجب بمعنى عجب وتبرأ بمعنى برئ، والقبول مصدر مؤكد للفعل السابق، والباء زائدة أو هي على حالها.

﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ المعنى أنه سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان، قيل: إنها كانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام، وفيه بعد، وقيل: هو مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع أحوالها.

﴿وَكَفَّلَهَا﴾ أي ضمها إليه بالقرعة لا بالوحي، وقال أبو عبيدة: ضمن القيام بها، وقال الكوفيون: أي جعله الله كافلاً لها وملتزماً بمصالحها، وفي

معناه في مصحف أبي (وأكفلها) وقرأ الباقون بالتخفيف، ومعناه ما تقدم من كونه ضمها إليه، وقرأ مجاهد فتقبلها وأنبتها بإسكان اللام والتاء وكفلها على المسألة والطلب.

﴿زَكَرِيَّا﴾ وكان من ذرية سليمان بن داود، وروي عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وناس من الصحابة، أن مريم كانت ابنة سيدهم وإمامهم، فتشاح عليها أحبارهم، فاقترعوا فيها بسهامهم أيهم يكفلها، وكان زكريا زوج أختها، فكفلها أي جعلها معه في محرابه، وكانت عنده وحضنها.

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ﴾ يعني الغرفة، والمحراب في اللغة أكرم موضع في المجلس، قاله القرطبي. وسميت محراباً لأنها محل محاربة الشيطان، لأن المتعبد فيها يحاربه، وكذلك هو في المسجد، وكذلك يقال لكل من محال العبادة محراب، وقيل إن زكريا جعل لها محراباً لا ترتقي إليه إلا بسلم، وكان يغلق عليها حتى كبرت.

﴿وَجَدَ عِندَهَا﴾ أي أصاب وصادف ولقي، فيتعدى لواحد. ﴿رِزْقًا﴾ أي نوعاً من أنواع الرزق، أي كان إذا دخل عليها وجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء، قال ابن عباس عنباً في مكتل في غير حينه.

﴿قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ أي من أين يجيء لك هذا الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدنيا، ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ فليس ذلك بعجيب ولا مستنكر، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ جملة تعليلية لما قبلها وهو من تمام كلامها، ومن قال أنه من كلام زكريا فتكون الجملة مستأنفة، وهذا دليل على جواز الكرامة لأولياء الله تعالى[١].

سنتناول في هذا الباب التفسير الطبي والمعاصر للآية المذكورة أعلاه، والآيات ذات الصلة من نفس السورة (آل عمران)، ومن سورة (مريم)، والآية رقم ٥٠ من سورة (المؤمنون). ونقول وبالله التوفيق:

(١) فتح البيان للقنوجي، ٢/٢٢٦، وانظر تفسير الخازن، ١/٢٤١.

قوله تعالى: ﴿رِزۡقٗاۖ﴾ أي نوعاً من أنواع الأطعمة. وكان زكريا عليه السلام إذا دخل على السيدة مريم عليها السلام في المحراب وهي تعبد ربها، وجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء، (ومنها العنب كما جاء في بعض التفاسير). حيث كان اللّٰه عز وجل يهيئ لها طعاماً مناسباً ومفيداً ومغذياً لها، دون كسب ولا تعب منها ولا عناء، وهي معتكفة في محرابها تعبد ربها، مرتاحة النفس والبدن.

فما هو السر والتفسير الطبي لذلك في هذا الموقف (**المحراب**)؟!

بينما يذكر القرآن الكريم بالمقابل في موقف آخر لها في وقت الحمل والولادة (**المخاض**) حين كانت تتمنى الموت، وقد بلغ منها الجهد والحزن الشيء الكثير بسبب الحمل (وهي عذراء لم يمسسها بشر) وفي مكان معزول مستندة إلى جذع النخلة، قال تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾﴾ [مريم: ١٩/٢٣]. وهي في هذا الموقف العصيب،لم يصلها الرزق (الطعام) الذي كانت تحصل عليه بسهولة في الموقف الأول (**المحراب**)، وهي في أمس الحاجة إليه في الموقف الثاني (**المخاض**)!

فهل رعاها اللّٰه في الموقف الأول (**المحراب**)، وتخلى عنها في الموقف الثاني (**المخاض**)؟! حاشا للّٰه! لقد رعاها اللّٰه وحفظها في الحالتين. ولكن لكل حالة خصوصيتها وما يناسبها، فقد طلب منها اللّٰه عز وجل في الموقف الثاني تحريك جذع النخلة التي كانت تستند إليه، للحصول على الغذاء المناسب لحالتها في ذلك الوقت الحرج، وهو **الرطب والماء**. قال تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾ [مريم: ١٩/٢٥-٢٦] والرطب هو ثمرة النخيل الناضجة الطرية في أول موسمه.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ﴿٥٠﴾﴾ [المؤمنون: ٢٣/٥٠]. والربوة هي المنزل العالي من الأرض، المهيأ للاستقرار والسكنى، وفيه الماء العذب الجاري.

فما هو التعليل الطبي للحالتين والتفسير العلمي المعاصر لذلك؟

إن الحكمة من ذلك والله أعلم هي ما يأتي:

١. إن الطعام (الرزق) الذي كان يصلها في الموقف الأول (**المحراب**) كان مميزاً ومفيداً لحالتها التكوينية، وهذا الغذاء الخاص، وبتقدير من الله عز وجل سيساعدها في ناحيتين:

الناحية الأولى: في التلقيح الأولي الذاتي وحصول الحمل من دون الحاجة إلى العامل الذكري الخارجي. وهذا بحد ذاته آية ومعجزة ربانية، التي خلق الله بواسطتها سيدنا عيسى عليه السلام من أم دون أب، قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ [مريم: ٢١/١٩]. ولكن المعجزة لها أسبابها ونواميسها الخاصة بها، التي تختلف عن الحالات الاعتيادية، التي يمكن معرفتها عن طريق العلم وحقائقه. فقد يكون هذا الغذاء من النوع الذي يؤدي إلى حصول الإخصاب الذاتي دون تلقيح خارجي، كما يحصل عند بعض المخلوقات كالنحل مثلاً. فإن الله عز وجل قد جعل في بعض بيوض ملكة النحل التي تتغذى بالغذاء الخاص بها (الغذاء الملكي) إمكانية للتكاثر، لتكوين ذكور النحل بدون تلقيح لهذه البيوض، في عملية حيوية فريدة تسمى التلقيح العذري (Parthenogensis)، وذلك بإحدى هاتين الطريقتين:

أولاً: إن الملكة الواحدة (في كل خلية نحل توجد ملكة واحدة فقط كما هو معلوم) تضع حوالي ٢٠٠ - ٢٥٠ ألف بويضة في الموسم الواحد، أو ما يقارب ١٥٠٠ بويضة في اليوم معظمها ملقح، تنتج النحلات الشغالات المنتجة للعسل وغيره، وعدد قليل منها غير ملقح، والتي من المفروض كما في بقية المخلوقات أن لا تنتج شيئاً، ولكن في حالتها الخاصة فإنها بقدرة الله تعالى عز وجل تعطي ذكور النحل!!.

ثانياً: عن طريق الملكة الكاذبة أو (الأم الكاذبة)، حيث إنه في حالة موت أو فقدان الملكة لأي سبب كان، تقوم الشغالات الفتية بتغذية إحداهن

بالغذاء الملكي المميز، فتنمو مبايضها (التي هي ضامرة ومتوقفة عن العمل أصلاً وغير قابلة للتلقيح ولا تنتج بيوضاً)، وتبدأ بوضع بيوض غير ملقحة تعطي ذكوراً فقط، في تكاثر عذري غير جنسي فريد من نوعه بقدرته وأمره سبحانه وتعالى!

فكما هيأ اللّٰه عز وجل الغذاء الخاص لملكة النحل (الغذاء الملكي)، الذي ساعدها على حصول هذه الظاهره الفريدة (التلقيح الذاتي العذري)، فقد هيأ كذلك للسيدة مريم عليها السلام الطعام المناسب (الرزق) لحصول ذلك عندها مستقبلاً، وهو أدرى بحالها وما تحتاج إليه. واللّٰه أعلم.

إن إنتاج ذكور النحل من بيوض غير ملقحة (سواء من الملكة الحقيقية أو الكاذبة)، وذلك من أنثى دون تلقيح من ذكر، دلالة عظيمة على قدرته عز وجل كما ذكرنا، وهو أيضاً مثال علمي واقعي جعله اللّٰه لنا نموذجاً واضحاً مقرباً لمعجزة خلق سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام، من أم عذراء دون أب (أي من بيضة غير ملقحة)، قال تعالى على لسان السيدة مريم العذراء:

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران: ٣/٤٧].

الناحية الثانية: الاستمرار في الحمل لحين الولادة بصورة صحية مناسبة لها دون حصول مضاعفات، ومن أهم أسباب ذلك الغذاء الجيد للحامل، وهذا ما يوصي به الطب للحوامل للمحافظة على صحتهن وعلى حملهن (الجنين)، بأن يكون غذاؤهن متوازناً وجيداً كمًّا ونوعاً (مثلاً أن يكون غنياً بالحديد والكالسيوم حتى لا تصاب الحامل أو طفلها بفقر الدم أو هشاشة ولين العظام)، فيولد الطفل معافى وسليماً وبصحة جيدة.

فائدة: وقد يكون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [آل عمران: ٣/٤٢] إشارة إلى ما نقصده في المعنى أعلاه، حيث إن الاصطفاء (الاختيار) الأول تفسيره، هو أن الباري عز وجل جعلها عفيفة طاهرة، واجتباها للعبادة، فهيأ لها العناية

الإلهية التي كفلتها على كل أحايينها، قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣/٣٧]. والاصطفاء (الاختيار) الثاني تفسيره والله أعلم هو بتميزها عن قريناتها ﴿نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بإعدادها نفسياً وجسدياً استعداداً لحملٍ معجزٍ من غير زوجٍ!

٢. أما في الموقف الثاني، في ولادتها بعد حملها المعجز بسيدنا عيسى عليه السلام (المخاض على جذع النخلة)، فإن الحالة هذه تحتاج إلى نوع خاص آخر من الغذاء والسوائل، فرعاها الله عز وجل، وجعلها في المكان المناسب لوضعها، قال تعالى: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٢٣/٥٠]، وسهل لها سقوط الرطب من النخلة التي كانت تستند إليها، والرطب هو التمر الطري الطيب الناضج في أول أوانه، قال تعالى: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ [مريم: ١٩/٢٥] فضلاً عن المعين من الماء الذي كان يجري بالقرب منها، قال تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾ [مريم: ١٩/٢٤]. فأكلت من الرطب المعروف بفائدته الغذائية للحوامل في حالة الولادة، كونه سريع الامتصاص وسهل الهضم، ويحتوي على نسبة عالية من السكريات، كالكلوكوز الذي هو مصدر الطاقة الأساس للعمليات الأيضية (الحيوية) في الجسم، وهو الغذاء المفضل للعضلات، خاصة عضلة الرحم التي هي أضخم عضلات الجسم حين الحمل، وتقوم بعمل جبار أثناء الولادة!. وكذلك يحتوي الرطب على المواد الفعالة التي تسهل الولادة، وتساعد على انقباض الرحم ومنع حدوث النزف بعد الولادة، من أهمها مادة (البروستكلاندين) (Prostaglandine)، فضلاً عن احتوائه على الألياف التي تمنع الإمساك (مليّن)، وغير ذلك مما قد يكتشفه الطب لاحقاً!

وكذلك شربت عليها السلام من الماء الذي كان يجري بالقرب منها، وفي ذلك إشارة إلى أهمية السوائل بالنسبة للحامل في حالة الولادة الذي يمنع الجفاف، ويساعد على إدرار الحليب. لذلك يوصي أطباء التوليد بإعطاء الحامل في حالة المخاض الماء السكر (Glucose Water) بشكل وريدي أو فموي.

فأكلت فشبعت، وشربت فارتوت واطمأنت. قال تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ﴾ [مريم: ١٩/ ٢٤-٢٦].

وقد يكون في طلب الباري عز وجل لها (في الآية المذكورة أعلاه) بهز جذع النخلة، ومحاولة تحريكها للحصول على الرطب (وهو اللطيف بها العالم بأحوالها وضعفها)، هو لتسهيل ولادتها! حيث ينصح أطباء الولادة الحوامل قبيل الولادة، بالقيام بالتمارين الرياضية المناسبة لهن، لتسريع وتسهيل عملية الولادة.

فالخلاصة: أن الباري عز وجل أرشدنا في كلا الموقفين والحالتين إلى ما يناسبهما:

ففي الحالة الأولى: للتوصل إلى المواد الفعالة في الأغذية والأطعمة والفاكهة **كالأعناب والكروم** التي قد تشجع على الإنجاب وتعالج العقم.

وفي الحالة الثانية: للتوصل إلى المواد الفعالة في **الرطب**، لتسهيل الولادة في المخاض ومنع مضاعفاته كالنزيف، وحصول الاطمئنان النفسي وغيره.

وفي الختام: فإن حمل السيدة مريم بولدها المسيح عليهما السلام وولادتها له من دون أب، آية كبرى ومعجزة عظيمة. ولكن ذلك لا يمنع من معرفة الحكم والفوائد المستنبطة منها خاصة في المجال الطبي.

قال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٢٩/ ٤٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٣٠/ ٢١].

والله أعلم بمراده

صفحة بيضاء

رقم 110

(تبديل جلود الكافرين وسيلة لتعذيبهم)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦﴾.

المعنى: كلما احترقت جلودهم، فلم يبق فيها حياة وإحساس. بدلناهم، أي عوضناهم جلوداً غيرها، والتبديل يقتضي المغايرة، فقوله: غيرها تأكيد لما دل عليه فعل التبديل. وانتصب ناراً على أنه مفعول ثانٍ لأنه من باب أعطى.

وقوله: ﴿لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾ تعليل لقوله: بدلناهم؛ لأن الجلد هو الذي يوصل إحساس العذاب إلى النفس، بحسب عادة خلق اللّٰه تعالى، فلو لم يبدل الجلد بعد احتراقه، لما وصل عذاب النار إلى النفس. وتبديل الجلد مع بقاء نفس صاحبه، لا ينافي العدل، لأن الجلد وسيلة إبلاغ العذاب وليس هو المقصود بالتعذيب، ولأنه ناشىء عن الجلد الأول، كما أن إعادة الأجسام في الحشر بعد اضمحلالها، لا يوجب أن تكون أناساً غير الذين استحقوا الثواب والعقاب، لأنها لما أودعت النفوس التي اكتسبت الخير والشر صارت هي هي، ولا سيما إذا كانت إعادتها عن إنبات من أعجاب الأذناب، حسبما ورد

به الأثر، لأن الناشئ عن الشيء هو منه كالنخلة من النواة[١].

وقال الدكتور وهبة الزحيلي: إن الذين كفروا بآياتنا المنزلة على أنبيائنا، وبخاصة القرآن الذي هو خاتم الكتب الإلهية وأكملها وأبينها، سوف نحرقهم بالنار، ثم أخبر الله تعالى عن دوام عقوبتهم ونكالهم فقال: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾، أي كلما احترقت جلودهم، حتى لم تعد صالحة لنقل الإحساس بالألم إلى الدماغ في مركز الشعور، بدّلناهم جلوداً أخرى حيّة تشعر بالألم وتحسّ بالعذاب[٢].

توجد في الجلد خلايا عصبية خاصة بالإحساس بالألم، تسمى مستقبلات الإحساس بالحرارة والألم (Temperature and Pain Receptors).

ومن المعروف طبياً أن أشد أنواع الحروق إيلاماً هي الحروق من الدرجة الأولى والثانية، التي تصيب طبقتي الجلد الخارجية، حيث توجد هذه الخلايا العصبية الخاصة (المستقبلات)، التي تنقل الشعور بالألم إلى الدماغ. أما الحروق من الدرجة الثالثة، التي تقضي على الجلد بكافة طبقاته، وتصل إلى العضلات (حيث لا توجد هذه المستقبلات)، فإنها لا تؤلم!

ذلك ما اكتشفه علماء التشريح والفسلجة في النصف الأول من القرن العشرين مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء: ٤/٥٦].

فإنه كلما أحرقت نار جهنم جلود الكافرين وأذهبتها، حيث موطن الإيذاء بالجسم والإحساس بالألم، فإن الله عز وجل يبدل هذا الجلد بجلد آخر جديد؛ ليستمر العذاب ويبقى النكال لهؤلاء الكافرين، وذلك بتجدد خلق هذه المراكز العصبية الخاصة بالألم الموجودة في جلودهم!

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور، ٥/٩٠.
(٢) التفسير المنير للزحيلي، ٥/١١٨.

أما في الأمعاء فلا توجد مستقبلات للحرارة والألم في الطبقة الداخلية منها، بل هي موجودة في الطبقة الخارجية، وفي الغشاء الصفاقي (البريتوني) المحيط بها، لذلك لا يشعر الإنسان بالألم في حالة شربه لسوائل حارة، أو إجراء أي عملية عن طريق الناظور للجهاز الهضمي، إلا اذا انثقبت أو قطعت أمعاؤه، مصداقاً لقوله تعالى:

﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥/٤٧].

وهذا معروف في الطب أيضاً، حيث إن أشد أنواع الآلام هو الألم الناتج عن تمزق الأمعاء أو حدوث انثقاب فيها (Perforation)؛ وذلك لتسرب محتوياتها إلى التجويف البطني، حيث الغشاء الصفاقي (البريتوني)، الذي توجد فيه هذه المستقبلات، فيحدث الألم الشديد في البطن، وتسمى هذه الحالة بالبطن الحاد (Acute abdomen)، والتي تتطلب العلاج بالتدخل الجراحي السريع، وفي خلافه تحدث الوفاة عادة.

فسبحان من قال في حالة الجلد ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ حيث تجديد خلق مستقبلات الألم، وفي حالة الأمعاء قال: ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ حيث وصول محتوياتها إلى هذه المستقبلات الموجوده خارجها، ولا يحصل الألم إلا بتقطيعها وانثقابها! والله أعلم بمراده.

صفحة بيضاء
رقم 114

التفسير الطبي للآية رقم (٦) من سورة المائدة

(الوضوء والصحة)

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾ [المائدة: ٥/٦].

هذه آية عظيمة قد اشتملت على أحكام كثيرة، نذكر منها ما يسره الله وسهله.

أحدها: أن هذه المذكورات فيها، امتثالها والعمل بها من لوازم الإيمان الذي لا يتم إلا بها، لأنه صدرها بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ إلى آخرها. أي: يا أيها الذين آمنوا، اعملوا بمقتضى إيمانكم بما شرعناه لكم.

الثاني: الأمر بالقيام بالصلاة لقوله: ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾.

الثالث: الأمر بالنية للصلاة، لقوله: ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: بقصدها ونيتها.

الرابع: اشتراط الطهارة لصحة الصلاة، لأن الله أمر بها عند القيام إليها، والأصل في الأمر الوجوب.

الخامس: أن الطهارة لا تجب بدخول الوقت، وإنما تجب عند إرادة الصلاة.

السادس: أن كل ما يطلق عليه اسم الصلاة، من الفرض والنفل، وفرض الكفاية، وصلاة الجنازة، تشترط له الطهارة، حتى السجود المجرد عند كثير من العلماء، كسجود التلاوة والشكر.

السابع: الأمر بغسل الوجه، وهو: ما تحصل به المواجهة من منابت شعر الرأس المعتاد، إلى ما انحدر من اللحيين والذقن طولاً. ومن الأذن إلى الأذن عرضاً.

ويدخل فيه المضمضة والاستنشاق، بالسنة، ويدخل فيه الشعور التي فيه. لكن إن كانت خفيفة فلا بد من إيصال الماء إلى البشرة، وإن كانت كثيفة اكتفي بظاهرها.

الثامن: الأمر بغسل اليدين، وأن حدهما إلى المرفقين. و"إلى" كما قال جمهور المفسرين بمعنى "مع" كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْۚ﴾ ولأن الواجب لا يتم إلا بغسل جميع المرفق.

التاسع: الأمر بمسح الرأس.

العاشر: أنه يجب مسح جميعه، لأن الباء ليست للتبعيض، وإنما هي للملاصقة، وأنه يعم المسح بجميع الرأس.

الحادي عشر: أنه يكفي المسح كيفما كان، بيديه أو إحداهما، أو خرقة أو خشبة أو نحوهما، لأن الله أطلق المسح ولم يقيده بصفة، فدل ذلك على إطلاقه.

الثاني عشر: أن الواجب المسح. فلو غسل رأسه ولم يمر يده عليه لم يكف، لأنه لم يأت بما أمر الله به.

الثالث عشر: الأمر بغسل الرجلين إلى الكعبين، ويقال فيهما ما يقال في اليدين.

الرابع عشر: فيها الرد على الرافضة، على قراءة الجمهور بالنصب، وأنه لا يجوز مسحهما ما دامتا مكشوفتين.

الخامس عشر: فيه الإشارة إلى مسح الخفين، على قراءة الجر في ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ .

وتكون كل من القراءتين، محمولة على معنى، فعلى قراءة النصب فيها، غسلهما إن كانتا مكشوفتين، وعلى قراءة الجر فيها، مسحهما إذا كانتا مستورتين بالخف.

السادس عشر: الأمر بالترتيب في الوضوء، لأن الله تعالى ذكرها مرتبة.

ولأنه أدخل ممسوحاً -وهو الرأس- بين مغسولين، ولا يعلم لذلك فائدة غير الترتيب.

السابع عشر: أن الترتيب مخصوص بالأعضاء الأربعة المسميات في هذه الآية.

وأما الترتيب بين المضمضة والاستنشاق والوجه، أو بين اليمنى واليسرى من اليدين والرجلين، فإن ذلك غير واجب، بل يستحب تقديم المضمضة والاستنشاق على غسل الوجه، وتقديم اليمنى على اليسرى من اليدين والرجلين، وتقديم مسح الرأس على مسح الأذنين.

الثامن عشر: الأمر بتجديد الوضوء عند كل صلاة، لتوجد صورة المأمور به.

التاسع عشر: الأمر بالغسل من الجنابة.

العشرون: أنه يجب تعميم الغسل للبدن، لأن اللّه أضاف التطهر للبدن، ولم يخصصه بشيءٍ دون شيء.

الحادي والعشرون: الأمر بغسل ظاهر الشعر وباطنه في الجنابة.

الثاني والعشرون: أنه يندرج الحدث الأصغر في الحدث الأكبر، ويكفي من هما عليه أن ينوي، ثم يعمم بدنه، لأن الله لم يذكر إلا التطهر، ولم يذكر أنه يعيد الوضوء.

الثالث والعشرون: أن الجنب يصدق على من أنزل المني يقظة أو مناماً، أو جامع ولو لم ينزل.

الرابع والعشرون: أن من ذكر أنه احتلم ولم يجد بللاً فإنه لا غسل عليه، لأنه لم تتحقق منه الجنابة.

الخامس والعشرون: ذكر مِنَّة الله تعالى على العباد، بمشروعية التيمم.

السادس والعشرون: أن من أسباب جواز التيمم وجود المرض الذي يضره غسله بالماء، فيجوز له التيمم.

السابع والعشرون: أن من جملة أسباب جوازه، السفر والإتيان من البول والغائط إذا عدم الماء، فالمرض يجوِّز التيمم مع وجود الماء لحصول التضرر به، وباقيها يجوِّزه العدم للماء ولو كان في الحضر.

الثامن والعشرون: أن الخارج من السبيلين من بول وغائط، ينقض الوضوء.

التاسع والعشرون: استدل بها من قال: لا ينقض الوضوء إلا هذان الأمران، فلا ينتقض بلمس الفرج ولا بغيره.

الثلاثون: استحباب التكنية عما يستقذر التلفظ به، لقوله تعالى: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾.

الحادي والثلاثون: أن لمس المرأة بلذة وشهوة ناقض للوضوء.

الثاني والثلاثون: اشتراط عدم الماء لصحة التيمم.

الثالث والثلاثون: أن مع وجود الماء ولو في الصلاة، يبطل التيمم؛ لأن الله إنما أباحه مع عدم الماء.

الرابع والثلاثون: أنه إذا دخل الوقت وليس معه ماء، فإنه يلزمه طلبه في رحله وفيما قرب منه، لأنه لا يقال "لم يجد" لمن لم يطلب.

الخامس والثلاثون: أن من وجد ماء لا يكفي بعض طهارته، فإنه يلزمه استعماله، ثم يتيمم بعد ذلك.

السادس والثلاثون: أن الماء المتغير بالطاهرات، مقدم على التيمم، أي: يكون طهوراً، لأن الماء المتغير ماء، فيدخل في قوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً﴾.

السابع والثلاثون: أنه لا بد من نية التيمم لقوله: ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ أي: اقصدوا.

الثامن والثلاثون: أنه يكفي التيمم بكل ما تصاعد على وجه الأرض من تراب وغيره. فيكون على هذا، قوله: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ إما من باب التغليب، وأن الغالب أن يكون له غبار يمسح منه ويعلق بالوجه واليدين، وإما أن يكون إرشاداً للأفضل، وأنه إذا أمكن التراب الذي فيه غبار فهو أولى.

التاسع والثلاثون: أنه لا يصح التيمم بالتراب النجس، لأنه لا يكون طيباً بل خبيثاً.

الأربعون: أنه يمسح في التيمم الوجه واليدان فقط، دون بقية الأعضاء.

الحادي والأربعون: أن قوله: ﴿بِوُجُوهِكُمْ﴾ شامل لجميع الوجه وأنه يعممه بالمسح، إلا أنه معفو عن إدخال التراب في الفم والأنف، وفيما تحت الشعور، ولو كانت خفيفة.

الثاني والأربعون: أن اليدين تمسحان إلى الكوعين فقط، لأن اليدين عند الإطلاق كذلك.

فلو كان يشترط إيصال المسح إلى الذراعين لقيده الله بذلك، كما قيده في الوضوء.

الثالث والأربعون: أن الآية عامة في جواز التيمم، لجميع الأحداث كلها، الحدث الأكبر والأصغر، بل ولنجاسة البدن، لأن الله جعلها بدلاً عن طهارة

الماء، وأطلق في الآية فلم يقيد، وقد يقال أن نجاسة البدن لا تدخل في حكم التيمم؛ لأن السياق في الأحداث، وهو قول جمهور العلماء.

الرابع والأربعون: أن محل التيمم في الحدث الأصغر والأكبر واحد، وهو الوجه واليدان.

الخامس والأربعون: أنه لو نوى مَنْ عليه حدثان التيمم عنهما، فإنه يجزئ، أخذاً من عموم الآية وإطلاقها.

السادس والأربعون: أنه يكفي المسح بأي شيء كان، بيده أو غيرها، لأن الله قال: ﴿فَٱمۡسَحُواْ﴾ ولم يذكر الممسوح به، فدل على جوازه بكل شيء.

السابع والأربعون: اشتراط الترتيب في طهارة التيمم، كما يشترط ذلك في الوضوء، ولأن الله بدأ بمسح الوجه قبل مسح اليدين.

الثامن والأربعون: أن الله تعالى -فيما شرعه لنا من الأحكام- لم يجعل علينا في ذلك من حرج ولا مشقة ولا عسر، وإنما هو رحمة منه بعباده ليطهرهم، وليتم نعمته عليهم.

وهذا هو التاسع والأربعون: أن طهارة الظاهر بالماء والتراب، تكميل لطهارة الباطن بالتوحيد، والتوبة النصوح.

الخمسون: أن طهارة التيمم، وإن لم يكن فيها نظافة وطهارة تدرك بالحس والمشاهدة، فإن فيها طهارة معنوية ناشئة عن امتثال أمر الله تعالى.

الحادي والخمسون: أنه ينبغي للعبد أن يتدبر الحِكَم والأسرار في شرائع الله، في الطهارة وغيرها ليزداد معرفة وعلماً، ويزداد شكراً لله ومحبة له، على ما شرع من الأحكام التي توصل العبد إلى المنازل العالية الرفيعة[١].

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾.

(١) انظر: تفسير السعدي، ١/٢٢٢.

لقد أكدت الشريعة الإسلامية على نظافة الإنسان وطهارته بصورة عامة، وعلى نظافة يديه بصورة خاصة، منها قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾
[المائدة: ٥/٦].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده**»[١] الوضوء هنا: غسل اليدين.

وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً: «**إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاث مرات، فإنه لا يدري أين باتت يده**»[٢].

وقد أوصى عليه الصلاة والسلام بغسل اليدين أيضاً بعد الخروج من قضاء الحاجة، أو ملامسة الأعضاء التناسلية، أو جسد الميت، أو أي شيء نجس أو يشتبه بنجاسته.

إن النظافة منظومة تبدأ بغسل الأيدي، وتشمل نظافة الجسد والروح والملابس، وتنتهي بنظافة السلوك ونظافة اللسان وطهارة اليدين، وهناك يوم عالمي أقرته الأمم المتحدة، يحتفل العالم فيه بثقافة النظافة عامة وبغسل الأيدي خاصة، حيث تحتفل بهذا اليوم في إطار جهودها لحشد وتحفيز الملايين من سكان العالم لغسل أيديهم، وتعليم الناس ومنذ الطفولة ثقافة غسل اليدين لسلامة صحتهم.

إن غسل اليدين ينقذ حياة مليون طفل سنوياً عالمياً، فهناك ما يقرب من ٥ آلاف طفل دون سن الخامسة يموتون يومياً نتيجة أمراض يسببها أساساً عدم غسل الأيدي، حيث إن غسل الأيدي فقط من أهم الإجراءات لتجنب الإصابة بالأمراض المعدية والانتقالية، وتقللها بنسبة ٨٠٪!

---

(١) رواه أحمد في مسنده ٣٩/١٣٥ برقم (٢٣٧٣٣) والترمذي ٣/٣٤٥ برقم (١٨٤٦).
(٢) رواه مسلم في صحيحه ١/٢٣٣ برقم (٢٧٨).

وفي عام ١٨٤٠م تم اكتشاف أن أيدي الأطباء والكادر التمريضي الملوثة تنقل العدوى للمرضى، ومن ثم بدأ الاهتمام بغسل أيديهم بالماء والصابون، وارتداء القفازات قبل إجراء العمليات أو الولادات أو فحص المرضى.

وحالياً هناك نحو ١٠٠ ألف حالة عدوى سنوياً في المستشفيات البريطانية، ترجع لتلوث الأيدي خاصة بالجراثيم المقاومة للمضادات الحيوية خاصة، من أهمها (MRSA and Clostridium difficile)، حيث سببت أكثر من ألف حالة وفاة بسبب الجرثوم الأول، و٤٠٠٠ آلاف بسبب الثاني عام ٢٠٠٠م. وقد انخفض هذا العدد إلى النصف بمجرد المحافظة على ثقافة غسل الأيدي! التي اعتبرت معجزة طبية وقائية للتقليل من الإصابات والوفيات بالأمراض المعدية والانتقالية (Hand Hygiene drive leads to health miracle)، فضلاً عن توفير أكثر من مليار جنيه استرليني لخزينة الدولة!

وفي الإسلام يغسل المسلم يديه - في الوضوء وغيره - نحو ٣٠ مرة يومياً. والماء أفضل مطهر ومزيل للأوساخ والجراثيم الضارة، وبذلك تنخفض العدوى من الأمراض المعدية والإصابة بها عند المحافظين على الفرائض والسنن في الوضوء والاغتسال!!.

وبذلك تكون تعليمات الشريعة الإسلامية في مجال النظافة، قد سبقت النظم الغربية في التوصل إلى هذه الحقائق العلمية، خاصة في الطب الوقائي وصحة الفرد والأسرة والمجتمع.

وختاماً: فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**تنظفوا بكل ما استطعتم فإن الله تعالى بنى الإسلام على النظافة. ولن يدخل الجنة إلا كل نظيف**»[(١)].

(١) كنز العمال ٢٢٧/٩ برقم (٢٥٩٩٩)، أخرجه ابن حبان في الضعفاء ٥٧/٢، وذكره الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم (٢٤٨٤).

التفسير الطبي للآيتين (١١٨) و (١٢١) من سورة الأنعام

التسمية على الذبيحة وتحريم أكل ما لم يُذكر اسم الله عليه

قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [الأنعام: ٦/١١٨]

﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ٦/١٢١].

لقد نهى اللّه تعالى عن اتباع المشركين، وقد أشار سبحانه وتعالى إلى الضلال الذي كانوا يتبعونه، فكانوا يأكلون ما ذبح باسم أصنامهم، وما ذبح على نصبها، وكانوا يحرمون على أنفسهم بعض الأنعام، ويزعمون أن تحريم ذلك من اللّه، لذلك أباح اللّه تعالى للمؤمنين أن يأكلوا مما ذكر عليه اسم اللّه، وألا يأكلوا مما لم يذكر عليه اسم اللّه، وألا يحرموا على أنفسهم إلا ما حرم اللّه، ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾. (الفاء) هنا لترتب ما بعدها على ما قبلها، إن كنتم قد نهيتم عن اتباع

المشركين في تحريمهم وتحليلهم، وتحريمهم بعض ما أحل الله - فكلوا مما ذكر اسم الله تعالى عليه. السامية على أمرين:

أولهما - إباحة ما ذكر اسم الله عليه تعالى عند ذبحه، فإن الذبح بإنهار الدم يكون تطهيراً له من الخبث الحسي، وذكر الله تعالى يكون تطهيراً معنوياً من خبث الوثنية.

ثانيهما - أن كل الأنعام مباح أكله بعد تذكيته مع ذكر اسم الله تعالى عليه، فلا يحرم المؤمن شيئاً مما حرمه المشركون، وإنه رد على بعض المشركين الذين استباحوا الميتة.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾. (ما) هنا للاستفهام الإنكاري، وهو بمعنى التوبيخ للمشركين إذ حرموا على أنفسهم ما لم يحرم الله، من بعض الأنعام كالسائبة والبحيرة والحام؛ وذلك لأنه إنكار للواقع، وإنكار الواقع توبيخ، والمعنى أي حجة لكم في ألا تأكلوا ما ذكر اسم الله تعالى عليه، لَا دليل، فانتم تحرمون على أنفسكم ما أحل الله لكم، وتنسبون التحريم لله سبحانه وتعالى، وذلك افتراء على الله تعالى، وكذب عليه، ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ أي تحرمون على أنفسكم ما أباحه الله تعالى وقد فصل لكم ما حرم عليكم، أي بينه، فإنه حرام، وقد ذكر تفصيل ما حرم الله تعالى.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ المعنى: إن كثيراً من الناسِ تسيطر عليهم الأوهام، حتى تزين لهم الضلال، فيتوهمون أنه حق، وما هو إلا الباطل، والهوى هو الذي يخرج الوهم، ويحكمون من غير علم.

وهذا فيه تنبيه للمؤمنين، بأن يجتهدوا في عدم اتباع المشركين الذين ضلوا وأضلوا: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾.

وإن هؤلاء اعتدوا على الله فكذبوا عليه، واعتدوا على الناس فأضلوهم، واعتدوا بتحريم ما لم يحرم عليهم، فكما أن الاعتداء يكون بتحليل ما حرم الله تعالى، فالاعتداء أيضاً يكون بتحريم ما أحل الله. وأفعل

التفضيل على غير بابه، والمراد أن الله تعالى يعلم علماً، ليس فوقه علم بمن يعتدون، وعبَّر سبحانه وتعالى بالوصف ﴿بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾ على أن الاعتداء صار وصفاً لهم، إذ اعتدوا فأشركوا، واعتدوا فحرموا على أنفسهم ما لم يحرم الله تعالى من الطيبات[(١)].

والفسق هو الخروج عن طاعة الله وأمره مما يؤدي إلى الضرر ومنه المرض.

وقد سبق أن ذكرنا التفسير الطبي لتحريم أكل الميتة والدم ولحم الخنزير في معرض تفسيرنا للآية (١٧٣) من سورة البقرة، والآية الثالثة من سورة المائدة، وبيّنا أن العامل المشترك بينها جميعاً في علة التحريم والله أعلم هو (الدم) - فضلاً عن مضار الخنزير الخاصة به المذكورة سابقاً - حيث إن أكل الدم المسفوح (كما يحصل في البلاد غير الإسلامية) أو تناوله في الميتة لانحباسه في أحشائها، في الحالات المذكورة في الآية الثالثة من سورة المائدة ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ حيث يشكل موطناً خصباً لنمو وتكاثر الجراثيم بكافة أنواعها، فيكون وسيلة فعالة لانتقال العدوى بالأمراض الفتاكة في حالة تناولها. وهذا من الأمور الثابتة طبياً.

ولكن ما هو التفسير الطبي في النهي عن أكل ما لم يذكر اسم الله عليه؟! (ويدخل تحت هذا المنهي عنه ما ذكر عليه اسم غير الله أيضاً)، ولماذا الأمر بالتسمية قبل الذبح؟! كما جاء الأمر في الآيات موضوعة البحث أعلاه. ولماذا الذبح للحيوانات على وفق الشريعة الإسلامية (الذبح الحلال)؟! ولماذا لا يوجد ذبح في الأسماك والحيوانات المائية وتؤكل ميتة؟!

وقبل الجواب على ذلك علينا أن نقرر:

نحن كمسلمين نلتزم بما أمرنا الله تعالى به، ونعتقد جازمين أن في ذلك الصالح لنا، وفيه فائدتنا، مع عدم قدرتنا أحياناً على معرفة الحكمة أو

(١) زهرة التفاسير، ٥/٢٦٤٨.

إدراك المغزى من وراء ذلك الأمر الإلهي أو التفسير الطبي له. وكما ذكرنا سابقاً فإننا عباد لله عز وجل، وليس للحكمة الطبية سواءً عرفت أم لم تعرف! ولكن بمعرفتها نكون عباداً لله أكثر وإيماننا به أعمق والتزامنا بأوامره ونواهيه أقوى! وهذا ما بدأت تظهره العلوم الحديثة والأبحاث والدراسات الطبية في كافة تخصصاتها، وأكدت لنا ما نحن بصدده في موضوع الحكمة في (الذبح الحلال)، ومن التسمية على الذبيحة والنهي عن أكل مالم يسمَّ عليه! حيث أثبتت الدراسات الطبية والمخبرية أن لحوم الأنعام والطيور التي ذبحت بالطريقة الشرعية الإسلامية، تكون لحومها نظيفة وصحية، بخلاف التي لم يذكر اسم الله عليها، حيث تكون ملوثة وممرضة كما سنذكره أدناه:

أولاً: ذبح الحيوانات على وفق الشريعة الاسلامية (الذبح الحلال)

ويمكن تلخيصه بما يأتي:

١- توجيه رأس الذبيح باتجاه القبلة (مكة المكرمة).

٢- النطق بالبسملة والتكبير قبل الذبح (بسم الله والله أكبر).

٣- الذبح بسكين حادة، وقطع الحلقوم والمريء والودجين في عنق الحيوان من الجهة الأمامية (كما أوصى بذلك وفعله الرسول عليه الصلاة والسلام).

ونكتفي هنا بشهادة الطبيب الجراح اللورد هوردر (Lord Horder)، حيث يقرر أن الذبح الحلال للحيوانات هو الطريقة المثلى بقوله: (يفقد الحيوان الوعي بالحال بعد ذبحه، ومن الصعب تصور أن هناك وسيلة يمكن أن تحقق موتاً أكثر سرعة وبدون ألم كهذه الطريقة. حيث مباشرة من القطع، فإن الحيوان يدخل في غيبوبة تامة، ولا يشعر بألم نتيجة القطع بسكين حادة وبيد ماهرة، وحدوث نزف حاد يؤدي إلى انخفاض شديد بضغط الدم وإصابة الحيوان بصدمة نزفية فلا يصل الأوكسجين إلى دماغه. ثم بعد

ذلك بثوانٍ من القطع، تحدث حركات تشنجية انعكاسية من المخ نتيجة انقطاع الدم ونقص الأوكسجين تستمر لأكثر من دقيقة، يتخلص جسم الحيوان خلالها من معظم الدم الموجود في أحشائه الذي يطرح خارجاً عن طريق الأوعية الدموية المقطوعة في العنق.

إن التمحيص الحاسم والدقيق في طريقة الذبح هذه، تتركني وبدون أدنى شك أنها الأقل خطراً وألماً، والأكثر إنسانية ورأفة بالحيوان من أية طريقة ذبح أخرى يتم ممارستها حالياً أو تستحدث لهذا الغرض.

ثانياً: التسمية عند الذبح

الدراسة الطبية المختبرية التي قام بها فريق طبي يتألف من ثلاثين أستاذاً من اختصاصات مختلفة، في مجال الطب المخبري وعلم الجراثيم والعلوم الغذائية وعلم الأمراض (الباثولوجيا التشريحية) وصحة الحيوان والأمراض الهضمية وغيرها، حيث قاموا ببحوث ميدانية تشريحية وجرثومية ومظهرية على مدى ثلاث سنوات، لدراسة الفرق بين الذبائح التي يذكر اسم الله عليها، مع الذبائح التي تذبح بنفس الطريقة ولكن دون ذكر اسم الله عليها.

ولقد أكدت الدراسة أهمية ذكر اسم الله (بسم الله والله أكبر) على ذبائح الأنعام والطيور عند ذبحها، حيث أظهرت نتائج صاعقة ومفاجئة، وحسب النتائج المخبرية والمظهرية في بيان أن نسيج اللحم المذبوح بدون تسمية وتكبير مليئ بمستعمرات الجراثيم، ومحتقن بالدماء، فضلاً عن مظهره الخارجي غير الصحي (أحمر قاتم يميل إلى الزرقة)، ولا يصلح للاستهلاك البشري! بينما كان اللحم المسمى والمكبر عليه، خالياً من الجراثيم، ولا يحتوي نسيجه على الدماء، ومظهره الخارجي طبيعي (زهري فاتح) وصحي! (كما ذكرنا في تفسير الآية رقم ١٧٣ من سورة البقرة ص٥٤-٥٦).

ثالثاً: التفسير الطبي للدراسة أعلاه

وإننا نعتقد أن التفسير الطبي لذلك والله أعلم هو (الدم) أيضاً! حيث إن الأنعام والطيور التي تذبح بالطريقة الإسلامية الشرعية المذكورة أعلاه (الذبح الحلال)، تكون مستسلمة ومطمئنة لذكر الله وللجزار المسلم الذي يقوم بالذبح، فتكون أوعيتها الدموية منفتحة وطبيعية، فتتخلص من دمائها بعد ذبحها سريعاً وبكمية كبيرة ولا تحتقن أحشاؤها بالدم، لذلك تكون لحومها طاهرة وصحية! أما الأخرى فتكون متشنجة خائفة، فتتقلص أوعيتها الدموية في أحشائها، نظراً لإفراز هرمونات التوتر والخوف كالأدرينالين والنورادرينالين والكورتيزون وغيرها، من التي تؤدي إلى انحباس الدماء فيها، ولا تتخلص منها فتكون لحومها ملوثة وغير صحية! كذلك عبور المواد السامة والجراثيم الموجودة بكثرة في أمعاء الحيوان، وغزوها للدماء المنحبسة في أحشائه نتيجة تعطل عمل الحاجز المعوي - الدموي في الجهاز الهضمي (Intestinal- Blood Barrier)، الذي يمنع دخولها أثناء الحياة ويفقد وظيفته بعد الموت، لذلك تكون لحومها ملوثه وغير صحية! بينما لا تحدث هذه الظاهرة في الحيوانات المذبوحة شرعياً لخلوها من الدماء. وقد يكتشف العلم مستقبلاً حقائق أخرى تثبت صحة وفائدة طريقة (الذبح الحلال)، والتسمية على الذبيحة مقارنة مع عدمها. والله أعلم بمراده!

رابعاً: الأسماك وغيرها من الحيوانات المائية تؤكل ميتة (دون ذبح لماذا؟!

قال الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ [المائدة: ٥/٩٦].

وعندما سئل المصطفى ﷺ عن إمكانية الوضوء بماء البحر قال عليه الصلاة والسلام: «**هو الطهور ماؤه الحل ميتته**»[١].

(١) أحمد في المسند ١٢/١٧١ برقم (٧٢٣٣) ومالك في الموطأ ٢/٤٩٥ برقم (١٢) =

وفي ذلك إشارة إلى جواز أكل جميع أنواع السمك ميتة، وأن لا ذبح فيه. والحكمة الطبية والسبب في ذلك والله أعلم هو (**الدم**) أيضاً؛ حيث إن نسبة الدم في الأسماك والحيوانات البحرية أو المائية لا تتعدى ٣٪ من وزنها (وهذه النسبة القليلة هي نفسها تقريباً التي تبقى في الأنعام والطيور بعد ذبحها)، بينما نسبة الدم في الأنعام والطيور تزيد عن ٨٪ من وزنها؛ لذلك لا تحتاج الأسماك وغيرها من الحيوانات المائية إلى الذبح لأنها حلال أصلاً؛ فلحومها طاهرة وصحية وطرية. قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [النحل: ١٦/١٤].

= وابن ماجة في السنن ١/١٣٦ برقم (٣٨٦) والترمذي في السنن ١/١٢٥ برقم (٦٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

صفحة بيضاء

رقم 130

التفسير الطبي للآية (١٢٥) من سورة الانعام

ضيق الصدر في السماء

قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾.

المعنى: فمن يرد الله أن يهديه للحق ويعينه عليه، يشرح صدره ويهيىء نفسه لقبول الإسلام، لما علمه من حسن استعداده له، وسعيه في قبوله. ومن يرد أن يضله ويبعده عن الحق، يجعلْ صدره ضيقاً شديد الضيق؛ لتمسكه بضلاله: لا يبغي به بديلاً.

وقد وَصف الله تَبَرُّمَ الضالِّ عن الحق وضيقه به، أَبلغ وصف، حيث قال تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾.

ولا شك أَن تكلُّفَ الصعود في المراقي الصعبة، يُثْقِل على القلب، ويُجْهِد الصدر أَيما إجهاد. فكان شأْن الكافر المصرِّ - في صعوبة تقبله للإسلام - كشأْن هذا الذي يتكلف الصعود في المراقي الصعبة في ضيق صدره وحرجه[1].

---

(١) من المسلَّم به علمياً: أن الإنسان، كلما ارتفع في طبقات الجو، أحسَّ بضيق شديد. والطيارون يعرفون ذلك. ولا ريب أن هذا كان غير معروف وقت نزول القرآن. فحديثه عن ذلك، يعتبر من آيات إعجازه. انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ٣/١٣٢٤.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾.

من المعلوم طبياً أن الإنسان يصاب بضيق الصدر والحرج في التنفس (الاختناق) في طبقات الجو العليا، وذلك لقلة الأوكسجين وانخفاض الضغط الجوي فيها. وكلما زاد ارتفاعه في السماء زاد هذا الشعور. فعند الارتفاع لمسافة ٢٥٠٠ متر عن سطح البحر، ينخفض تشبع الدم الشرياني بالأوكسجين إلى ٩٣٪. وعند الارتفاع إلى مسافة ٣٥٠٠ متر، يعاني الإنسان مزيداً من صعوبة التنفس، وتتلاحق أنفاسه، مؤدياً إلى زيادة مرات التنفس من ١٢ - ١٦ مرة بالدقيقة بالظروف الاعتيادية، إلى نحو ٦٠ مرة في الدقيقة كحد أقصى، وكذلك تتسارع ضربات قلبه، وتصبح حالته حرجة ما لم يتوافر الأوكسجين الكافي. وفي الارتفاع بمقدار ٧٥٠٠ متر تبدأ المنطقة القاتلة، حيث تنخفض نسبة تشبع الدم الشرياني بالأوكسجين إلى ٥٠٪ (O2Desaturation)، حتى إن متسلقي الجبال لا يستطيعون البقاء في ذلك الارتفاع من دون استعمال أنابيب الأوكسجين.

لذلك، فقد شبه الله عز وجل هذه الحقيقة العلمية الطبية، بالحال النفسية التي تصيب الكافرين، من كربٍ وضيق في صدورهم وكآبةٍ في نفسياتهم، نتيجة كفرهم وضلالهم بقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥/٦].

ومن الملاحظ أن القرآن الكريم استعمل كلمة (**يصَّعَّدُ**) بتشديد الصاد والعين معاً، ولم يقل (**يصعد**) دون تشديدهما، حيث وضع هذه الكلمة في سياقها الإعجازي البياني الرائع الذي يفيد:

١- أن كل معاني الصعوبة والعناء في التنفس التي يسببها الصعود في السماء، حيث كما يقول علماء اللغة: (كل زيادة في المبنى تقتضي زيادة في المعنى).

٢- الاستمرار في الصعود في السماء، فكلما زاد الصعود زادت معه

المعاناة. حيث لو قال: (يصعد) بدون التشديد، لأفاد الصعود إلى ارتفاع معين الذي قد يحدث فيه هذا الضيق أو لا يحدث!

٣- أن اختيار القرآن الكريم لهذه الكلمة (**يصَّعَّدُ**) في سياق هذه الآية المباركة، للتعبير عن حالة نفسية تُجَسَّم في حالة حسيّة أثبتها العلم التجريبي، هو مثال حي يوضح اشتمال الظاهرة القرآنية بالجمع في بيان الحقائق الكونية (ومنها الطبية) مع التعبير القرآني البلاغي والبياني الرائعين، وبأسلوب غاية في التصوير الفني، فيتلاءم المشهد في القرآن مع الحالة الواقعة بأبهى صوره وأدق معانيه، وهذا أمر اختص به كلام الله تعالى في القرآن دون كلام البشر، وهو أهم مظهر من مظاهر الإعجاز البياني للآيات الكونية في القرآن الكريم.

صفحة بيضاء
رقم 134

عدم الإسراف في الطعام والشراب

قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

إن هذه الآية الكريمة تعتبر من أهم الآيات التي جاءت في الطب وحفظ الصحة والوقاية من الأمراض خاصة في الطبين الوقائي والغذائي، حتى إن العلماء قالوا إن نصف الطب مذكور في هذه الآية! وقد ورد في كتاب (تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان) للشيخ عبد الرحمن السعدي، ص ٣١١، في تفسيره لهذه الآية قوله: (والإسراف **إما**: أن يكون بالزيادة على القدر الكافي، والشره في المأكولات التي تضر بالجسم، **وإما**: أن يكون بالزيادة في الترفه، والتنوع في المآكل والمشارب واللباس، **وإما**: بتجاوز الحلال إلى الحرام. فإن السرف يبغضه الله ويضر بدن الإنسان ومعيشته. ففي هذه الآية الكريمة الأمر بتناول الأكل والشرب والنهي عن تركهما وعن الإسراف فيهما)، حيث إن الإسراف في الأكل والشرب يؤدي إلى ما يأتي:

أولاً: إنهاك الجهاز الهضمي وإرهاقه، بكثرة إدخال الطعام والشراب إليه. ولذلك شرع الباري عز وجل الصوم شهراً في العام (رمضان)، لإعطاء فرصة للجهاز الهضمي وملحقاته للراحة والصيانة.!

ثانياً: إن الإسراف في المطعم والمشرب يؤدي إلى السمنة (Obesity)، التي تعتبر من أمراض العصر الشائعة والمكلفة، والتي بدورها تسبب الأمراض الآتية:

١. داء السكر (Diabetes Mellitus).

٢. ارتفاع ضغط الدم (Hypertension).

٣. زيادة الدهونات والكوليسترول الضار في الدم (Dyslipidemia)، مما يؤدي إلى أمراض تصلب الشرايين (Atherosclerosis)، الذي بدوره يسبب الجلطات القلبية والدماغية الوعائية (Ischemic Heart Diseases and Cerebrovascular Accidents)، وغيرها من أمراض تضيق أو انسداد الشرايين في الجسم.

٤. الإصابة بمرض المتلازمة الأيضية (Metabolic Syndome).

٥. أمراض المرارة وحصواتها (Gall Bladder Diseases &stones).

٦. زيادة احتمال الإصابة بالأمراض السرطانية (Cancers)، خاصة عند النساء.

٧. التهاب المفاصل العظمي (Osteoarthrosis)، خاصة مفاصل الفقرات القطنية والحوض والركبتين.

٨. صعوبة التنفس خاصة عند النوم، مع نوبات توقف التنفس الانسدادي (Obstructive Sleep Apnea).

٩. زيادة التعرض والإصابة بالحوادث (Accidents) لقلة حركتهم.

ثالثاً: نظراً لتقدم الطب في المجال الدوائي والجراحي، فقد استحدثت أدوية وعمليات جراحية (Bariatric Surgery) لمعالجة السمنة (أدوية وعمليات النحافة)، ومعظمها يحمل مخاطر وآثاراً جانبية على المدى القريب والبعيد، فضلاً عن الإسراف في تكلفتها الاقتصادية قال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

وختاماً: فقدوتنا العملية في هذا الموضوع، ما أوصى به ﷺ بقوله: «**ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه. بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه. فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنَفَسه**»[١].

(١) المستدرك على الصحيحين ٤/٣٦٧ برقم (٧٩٤٥)، الطب النبوي لأبي نعيم ١/ ٢٤٢ برقم (١٢٥)، الآداب للبيهقي ١/١٨٩ برقم (٤٦٣)

صفحة بيضاء

رقم 138

القلب في القرآن والطب

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾.

والآية ٤٦ من سورة الحج، قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ وغيرها من الآيات ذات الصلة.

في هاتين الآيتين الكريمتين، ثلاثة محاور طبية مستقلة موضوعياً (القلب، العين، الأذن)، ولكنها متداخلة ومترابطة فيما بينها ويفسر بعضها بعضاً، ذكرها القرآن بأسلوب بلاغي رائع، وصولاً للحقائق الطبية التى اكتشف العلم حديثاً قسماً منها، ولا يزال القسم الآخر في دور التحري والبحث، خاصة فيما يتعلق بموضوع القلب، والذي نعتقد جازمين أن القرآن الكريم حقق - في حال تدبر آياته وفهمها جيداً - السبق العلمي فيها!

وحتى نفهم المحور الأول (القلب) الذي هو من أهم الموضوعات في التفسير الطبي المعاصر، علينا أن نفهم طبياً تفسير المحورين الآخرين (العين والأذن)، والذي يمكن توضيحه وتلخيصه بالجدول الآتي:

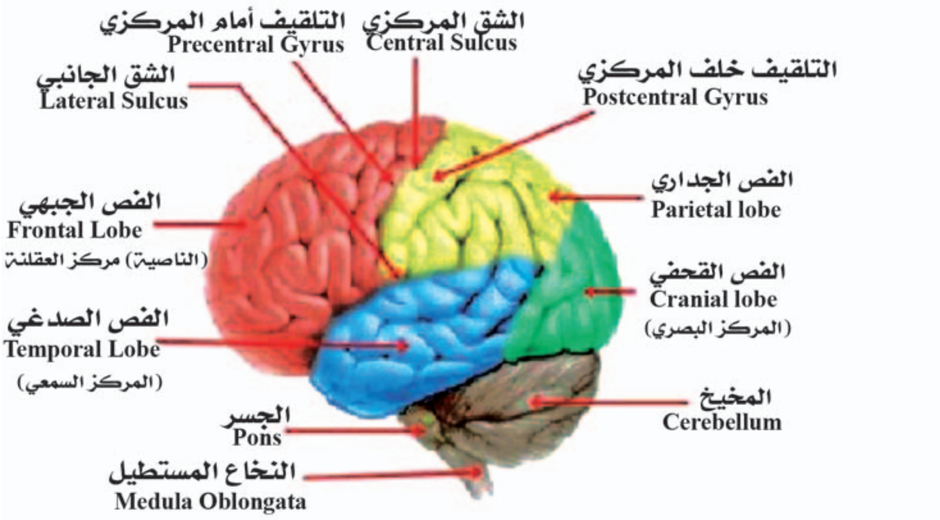
العضو (المنظومة الحسية)	من الآية ١٧٩ (سورة الأعراف)	من الآية ٤٦ (سورة الحج)
القلب (المنظومة الإدراكية)	﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾	﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾
الأذن (المنظومة السمعية)	﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾	﴿أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾
العين (المنظومة البصرية)	﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾	﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾

أولاً: التفسير الطبي لقوله تعالى ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾

تتألف المنظومة البصرية في الإنسان من العينين (الجهاز الأمامي أو الآلة الخارجية للنظر)، وعصبي العينين وامتداداتهما إلى المراكز البصرية الدماغية الموجودة في الفص القفوي (الخلفي) في المخ (Occipital Lobe)، حيث تتحول الموجات الضوئية للأجسام المنظورة إلى صور مرئية، يتم نقلها إلى مقدمة الفص الأمامي للدماغ (الناصية) (Prefrontal Lobe)، حيث يتم فهمها وعقلنتها واتخاذ القرار بشأنها، لأن هذا الجزء من الدماغ والموجود عند الإنسان فقط، هو أحد المراكز المسؤولة عن الإدراك والمنطق واتخاذ القرار، حيث تتوفر فيه الوظائف الذهنية العليا، كما مبين بالشكل رقم (١).

علماً أن هذه المنطقة لم تكتشف إلا في النصف الثاني من القرن العشرين، حيث كانت قبل ذلك تعرف بالمنطقة المجهولة أو الصامتة (The Silent Area).

وفي حال تلف المراكز البصرية الدماغية بسبب حصول شدة خارجية أو جلطة دماغية، فإن ذلك يؤدي إلى حصول ما يسمى بالعمى الدماغي (المركزي) (Central Blindness). بالرغم من سلامة الجهاز الأمامي للمنظومة البصرية (العينان وأعصابهما) ونقلها للأشياء المشاهدة في المحيط البصري، ولكن لا يمكن رؤيتها أو فهمها لتعطل المناطق الداخلية المركزية المسؤولة عن ترجمتها وفهمها أو تلفها، لذلك فإن القرآن الكريم



صور جانبية للدماغ تبين أهم أقسامه مع مساحات المركز السمعي (الفص الصدغي) والمركز البصري (الفص القحفي) ومركز العقلنة في مقدمة الفص الجبهي (الناصية)

الشكل رقم (١)

يُشبّه الكافرين وبأسلوب بياني رائع أنهم مصابون بالعمى المركزي (عمى البصيرة) بقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾، حيث إن عيونهم أصبحت عديمة الفائدة على الرغم من سلامتها، لتعطيلهم عن قصد وسبق إصرار وبإرادتهم لمراكز البصيرة الخاصة بهم (المراكز الدماغية المتخصصة بالبصر والموجودة في مؤخرة الدماغ وكذلك ارتباطاتها في مقدمته)، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يونس: ١٠/٤٣].

ثانياً: التفسير الطبي لقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾

تتألف المنظومة السمعية في الإنسان من آلة السمع الخارجية الأذنين وأقسامهما الثلاثة (الخارجية والوسطى والداخلية)، وعصبي السمع المتصلين بالمراكز الدماغية السمعية، الموجودة على جانبي المخ في الفص الصدغي (Temporal Lobe)، حيث تتحول الموجات الصوتية الملتقطة من الأذنين إلى مدلولات عقلية في هذه المراكز، حيث يتم فهمها وإدراكها

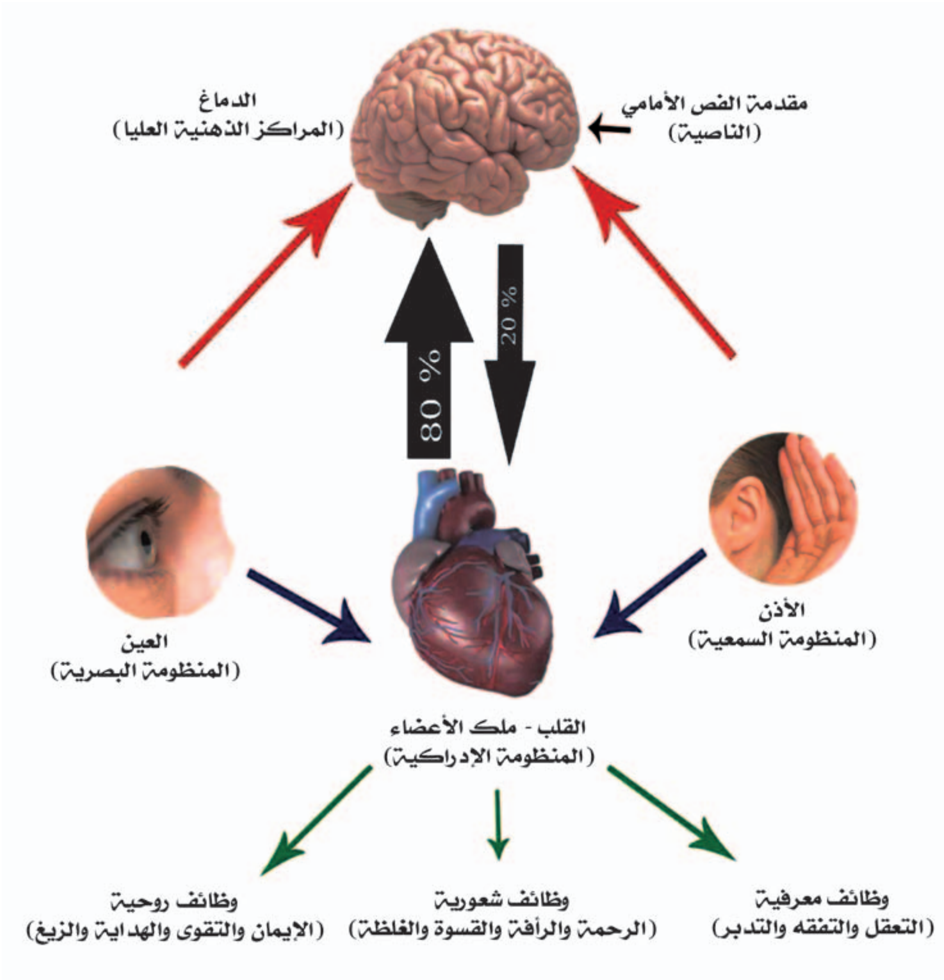
(عقلنتها) واتخاذ القرار المناسب بشأنها، عن طريق مقدمة الفص الأمامي (الناصية)، بعد إيصالها إليه كما هو الحال في المنظومة البصرية والشكل رقم (١).

وإن حدوث أي إصابة في الأذنين أو عصبي السمع ينتج عنه ما يسمى بالصمم الخارجي. وكل إصابة في المراكز الدماغية المتخصصة لتسجيل الصوت وعقلنته (أي فهمه وإدراكه) ينتج عنها ما يسمى بالصمم الدماغي المركزي «Central Deafness»، وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم بخصوص الكافرين بقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [يونس: ١٠/٤٢].

ثالثاً: التفسير الطبي لقوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ٧/١٧٩] وقوله تعالى: ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج: ٢٢/٤٦]

والآن بعد أن عرفنا آلية السمع والبصر وكيفية حدوثهما، والفرق بين العمى والصمم الخارجي والعمى والصمم الداخلي أو المركزي (الدماغي)، فإننا نستطيع القول بأن القلب (العضو الصنوبري في الصدر) يشكل الجهاز الخارجي في المنظومة الإدراكية (المرآة الخارجية)، المستلمة للمعلومات كما هو الحال في العين والأذن، ولكن يختلف عنهما بأنه يعقل ويفهم ويدرك ما يرد إليه من معلومات ويعالجها، ويتبادل مع الدماغ هذه المعلومات قبل اتخاذ القرار بشأنها. لذلك، فهو يعمل كنافذة خارجية مستلمة (كالعين والأذن)، وكذلك كعضو مركزي (مرآة داخلية) كالدماغ! حيث لديه منظومة عصبية إدراكية خاصة به تسمى - مخ القلب - (كما سنفصله لاحقاً)، بخلاف العين والأذن اللتين تعملان كجهاز خارجي للتوصيل فقط. ومما يؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [النحل: ١٦/١٠٨]. فقد جمع الله في هذه الآية القلوب مع المنظومة السمعية والبصرية، كما جمعها أيضاً مع العين والأذن في الآية (١٧٩) من سورة الأعراف موضوعة البحث. ومن ذلك

يظهر لنا أن القلب يعمل كمستلم وكمتدبر يعقل في آن واحد، وكذلك كمرسل إلى الدماغ وموجه له، في منظومة متكاملة مسؤولة عن الفهم والإدراك (العقل) واتخاذ القرار. ويكون القلب هو العضو الأساس في هذه المنظومة، التي يمكن الاصطلاح عليها وتسميتها بـ: (**المنظومة الإدراكية-السمعية - البصرية**)كما مبين بالشكل رقم (٢) أدناه:



الشكل رقم (٢)

ولمعرفة هذه الحقيقة علينا معرفة: **ما هو المقصود بالقلب في القرآن الكريم؟**

هل هو العضو الصنوبري في القفص الصدري، أم هو مركز الإدراك والعقلنة في الدماغ (الناصية)؟ أم كلاهما؟

وما هو الفؤاد؟

هل هو القلب أم هو شيء آخر؟ فإن كان كذلك، فأين موقعه؟ وما هي وظيفته؟

وما هو المقصود بالعقل وأين موقعه؟ وما هي أحدث المكتشفات الطبية التى توصل إليها العلم حديثاً بهذا الخصوص؟

فنقول وبالله التوفيق :

أولاً: القلب

١-**القلب لغةً**: هو خالص كل شيء، وسمي القلب قلباً لتقلبه الذي يقلب الأمور عن علم بها. ولقد وردت كلمة (القلب) في القرآن الكريم (١٣١) مرة، كما أنه أول الأعضاء وروداً فيه، وسنرى أن ذلك ليس من قبيل المصادفة! بل إنّ كل الآيات التي ذكر فيها القلب جاءت بوصفه عضواً تناط به الوظائف الآتية:

٢- وظائف معرفية (مثل التدبر والتفقه والتعقل)

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤/٤٧].

وكذلك في الآيتين أعلاه موضوعتي البحث قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩/٧].

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج: ٤٦/٢٢].

٣- وظائف شعورية (مثل الرأفة والرحمة والخير والقسوة والغيظ)

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد: ٥٧/٢٧].

و قوله تعالى: ﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ [الأنفال: ٨/٧٠].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٢/٧٤].

وقوله تعالى: ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التوبة: ٩/١٥].

٤- وظائف روحية (مثل الإيمان والتقوى والهداية والزيغ)

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٤٩/٧].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٢٢/٣٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ٦٤/١١]..

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٣/٨].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٦١/٥].

فالقلب ليس هو فقط المضخة العضلية الموجودة في القفص الصدري، والتي تعمل من الحياة حتى الممات بتوزيع الدم النقي المشبع بغاز الأوكسجين إلى مختلف أعضاء الجسم من خلال الدورة الدموية الكبرى، كما ترسل الدم المشبع بغاز ثاني أوكسيد الكاربون، الناتج من التفاعلات الكيميائية في الأنسجة، إلى الرئتين لتنقيته بواسطة الدورة الدموية الصغرى، حيث يزود جميع أعضاء الجسد بالطاقة، ومن أهمها الدماغ حيث يستهلك وحده خُمْسَ (٢٠٪) طاقة الجسم من الوقود، بالرغم من أن وزنه لا يزيد عن ٢٪ من وزن الجسم في الإنسان!

وإنه بالرغم من الأهمية القصوى للقلب لهذه الوظيفة والآلية الدموية، فإن له وظائف معرفية وشعورية وروحية وعصبية وهرمونية وكهرومغناطيسية ذكرنا قسماً منها أعلاه. وسنذكر القسم الآخر لاحقاً. وإننا نعتقد ومن منظور قرآني أن القلب هو العضو الرئيس والأساس في الجسم، يمكن الاصطلاح عليه بـ(ملك الأعضاء) (King of Organs)، وقد جاء في الحديث الشريف ما يؤيد أن القلب ملك الأعضاء، في قوله ﷺ: «...والقلب ملك. فإذا صلح الملك صلحت رعيته وإذا فسد الملك فسدت رعيته»(١).

وأنه والله أعلم هو أحد المستقبلات الرئيسة للوحي الإلهي، الذي نزل على الرسل والأنبياء ومنهم سيدنا محمد (ﷺ) لقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: ٢٦/١٩٣-١٩٤].

وكذلك يشكل القلب مصدر الإلهام والهداية إلى الصراط المستقيم، والثبات على الإيمان للمؤمنين والأولياء الصالحين. فبالنسبة للأولياء الصالحين كما ذكر القرآن بخصوص فتية أهل الكهف في قوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الكهف: ١٨/١٤]، وكذلك بالنسبة للمؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ٦٤/١١].

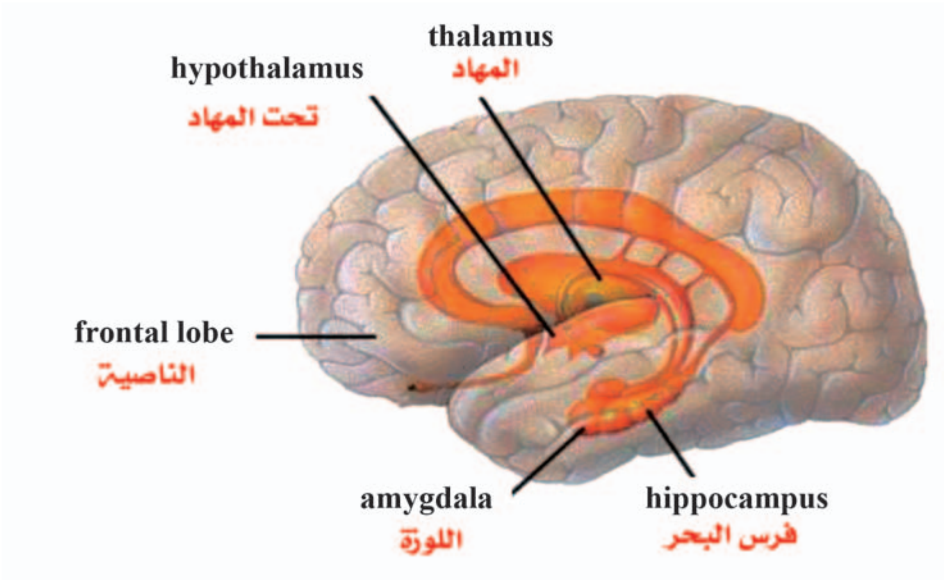
ثانياً: الفؤاد

لقد ورد ذكر (الفؤاد) في القرآن الكريم مع تصريفاته (١٦) مرة. وعند أهل اللغة هو الحمى وشدة الحرارة، حيث إن الفؤاد من التفؤد أي التّوقد، وتفأدَ أي توقّدَ وتفأدت النار أي توقدت. فهو والله أعلم إشارة إلى الجهاز الحوفي في الدماغ (Limbic System)، والموجود في جهة الفصين الصدغيين للمخ داخلياً وتحت قشرته مباشرة وفوق جذع الدماغ. وهو جهاز معقد جداً، يتألف من مجموعة من التراكيب الدماغية المتداخلة، أهمها:

---

(١) رواه الأصبهاني في كتاب العظمة (١/٢٢)، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٩/٧١ برقم (٤٠٧٤) وقال: ضعيف.

منطقة اللوزة «Amygdal»، ومنطقة فرس البحر (Hippocampus)، وجزء من المهاد وتحت المهاد تسمى الأنوية المهادية الأمامية «Anterior Thalamic Nuclei»، كما في الشكل رقم (٣) أدناه:



الشكل رقم (٣)
الجهاز الحوفي (الفؤاد حسب رأينا) Limbic System في دماغ الإنسان

وإن الجهاز الحوفي أعلاه (الذي نعتقد أنه الفؤاد) هو المسؤول عن العواطف والأحاسيس والانفعالات النفسية (كالغضب والخوف والبهجة والسرور)، والغرائز والأهواء والشهوات (كالجنس والبطن)، وكذلك هو مسؤول عن الذاكرة بأنواعها وتخزينها في منطقة القشرة المخية المتخصصة بحفظها واسترجاعها عند الطلب. ولهذا الجهاز ارتباط وثيق بالوارد الحسي (Sensory Input) خاصة حاستي السمع والبصر، لذلك ورد ذكره في معظم الآيات القرآنية مقترناً معهما، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ١٧/٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: ١٦/٧٨].

ونلاحظ أن القرآن الكريم قد ذكر (الفؤاد) كطاقة أو ملكة، له وظيفة معرفية إدراكية كوظيفة السمع والبصر، وليس مع أدواتها وآلاتها (كالأذن التي هي آلة السمع والعين التي هي آلة البصر)، مما يدل على أنه جزء من المنظومة الإدراكية في الدماغ، وأن القلب هو نافذته وموجه له، ومن مقدمة الفص الأمامي للدماغ (الناصية)، حيث يرتبط بها أيضاً ارتباطاً وثيقاً كما سنبين ذلك لاحقاً، حيث تقوم مع القلب بتوجيهه والسيطرة عليه. ومما يؤيد هذا المعنى: ما ذكره القرآن الكريم بخصوص أم موسى في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ [القصص: ٢٨/١٠]. وهذه هي الآية الوحيدة في القرآن التي جمعت ذكرهما معاً- الفؤاد والقلب-وذلك في إشارة إلى اختلاف وظيفتهما، حيث إن كل لفظ في القرآن له خصوصيته ومعناه، وليس تكراراً لنفس المعنى كما هو معلوم في الأسلوب البلاغي القرآني، خاصة إذا ورد في آية واحدة. فبالنسبة لأم موسى عليه الصلاة السلام، فإن مركز عاطفتها الأمومية (الفؤاد) كاد أن يفلت زمامه، وتتصرف بعاطفتها وليس بعقلها وتكشف عن هويتها وعن ولدها، ويتعرضان للخطر الفرعوني. ولكن الله جعلها تفكر بعقلها (قلبها)، الذي ربطه وجعله يفكر بحكمة ويسيطر على عاطفتها (فؤادها)!!. مما يؤيد هذا المعنى الذي توصلنا إليه ما قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف لهذه الآية (١٥٨/٣): (أصبح فؤادها فارغاً من العقل أي طار من فرط الجزع والخوف).

فإذن: الفؤاد يختلف عن القلب، ولكل منهما وظيفته الخاصة به، ولكنهما يعملان معاً ضمن المنظومة الإدراكية العقلية، أي أن الفؤاد جزء من العقل، ولكنه يعمل تحت سيطرة القلب والناصية معاً، مما يشير إلى أن الأفئدة هي مركز العواطف والأحاسيس والمشاعر النفسية كالمحبة مثلاً، قوله تعالى: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ١٤/٣٧] أي تنزع وتميل إليهم وتحبهم كما يفهم من سياق هذه الآية الكريمة.

أما عن قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم: ٥٣/١١]، فإننا

نرى في ذلك (والله أعلم) بياناً بلاغياً وطبياً رائعين في ورود كلمة (الفؤاد) في هذا السياق بالذات، نلخصه بما يأتي:-

وكما جاء في تفسير ابن كثير وغيره مختصراً - أي ما كذب فؤاد محمد ﷺ ما رأى بعينه في تلك الليلة (الإسراء والمعراج)- وحفظه في ذاكرته. وفي قول ابن عباس رضي الله عنهما: (أنه رأى بفؤاده فجعل بصره في فؤاده)[(١)]!

ولما كان الفؤاد مركز الذاكرة وتخزين المعلومات، كما ذكرنا أعلاه، فقد خصه الله تعالى بالذكر هنا، وروى للناس كل شيءٍ رآه بدقة متناهية، بعد عودته من رحلته السماوية الفريدة التي أكرمه الله وخصه بها، والتي كانت مليئة بالبهجة والسرور. وهذه من العواطف التي مركزها الجهاز الحوفي في الدماغ (الفؤاد)، كما ذكرنا. وكذلك، فإنها حدثت في عام الحزن (عام وفاة عمه أبي طالب وزوجه خديجة رضي الله عنها، اللذين كانا من أهم الناس وأحبهم إليه)، فكانت هذه الرحلة تخفيفاً عن الحزن الشديد الذي ألمّ به وأصابه في فؤاده! والحزن أيضاً من الأحاسيس والعواطف التي مركزها الجهاز الحوفي (الفؤاد)، لذلك جاء ذكره تحديداً في هذه الآية الكريمة دون غيره متناسقاً مع الحدث، ومع وظيفته الفسلجية المعلومة طبياً، فأبدل الله تعالى حزنه وغمه بهجة وسروراً، فعاد ﷺ بنفسية مختلفة تماماً عن التي كان قبلها، والله أعلم بمراده. وهو الحكيم العليم !

ثالثاً: العقل

العقل هو طاقة ربانية لطيفة، مسؤولة عن الفهم والإدراك، وهو الغريزة المدركة التي ميز الله بها الإنسان عن سائر الحيوانات، وهي التي يسقط بفقدها التكليف الشرعي. والعقل لغة هو الحبس والمنع، وسمي عقل الإنسان عقلاً لأنه يعقله أي: يحجزه عن الوقوع في الهلكة. وقد ورد ذكر العقل في

(١) ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، ٣/ ٣٩٨.

القرآن الكريم كثيراً، وبصيغ وتصريفات عديدة ناهزت ٥٩ مرة لأهميته، منها (يعقلون) ٣٢ مرة، و(تعقلون) ٢٤ مرة و(نعقل)، (عقلوه)، (يعقلها) مرة واحدة لكل منها.

لقد اختلف العلماء في موطن العقل ومكانه، فمنهم من قال إنه في القلب، ومنهم من قال إنه في الدماغ. وكما قال ابن منظور: (وقد يعبر بالقلب عن العقل. قال الفراء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٥٠/٣٧] أي عقل. وقال الفراء: وجائز في العربية أن تقول: ما لك قلب وما قلبك معك. تقول ما عقلك معك وأين ذهب قلبك. أي أين ذهب عقلك)[١].

ويقول الطاهر بن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [البقرة: ٢/٧] (والمراد بالقلوب هنا: الألباب والعقول، والعرب تطلق القلب على اللحمة الصنوبرية، وتطلقه على الإدراك والعقل، ولا يكاد يطلقونه على غير ذلك، وهو المراد هنا، ومقره الدماغ لا محالة. ولكن القلب هو الذي يمده بالقوة التي بها عامل الإدراك)[٢].

وبناءً على ذلك، فإننا نستطيع أن نجمع بين التفسيرين والمفهومين أعلاه، ونعتقد والله أعلم (وحسب المفهوم الطبي الحديث لوظائف الأعضاء) وحسب استنباطنا، أن هناك منظومة متكاملة مترابطة فيما بينها (القلب والدماغ)، يمكن الاصطلاح عليها (المنظومة الإدراكية) حيث يكون القلب (الذي هو في الصدر) العضو الرئيس والجهاز الأمامي- المرآة الخارجية - ويكون الدماغ فيها كمركز داخلي-المرآة الداخلية - لتفسير الحوادث والأفكار والمعلومات، واتخاذ القرار المناسب الذي ينعكس على الأعضاء الأخرى في الجسم، والعقل مكانه في هذه المنظومة. أي أن ما نسميه "العقل" موجود فيهما! غير أن القلب، وهو الذي يقوم بتوجيه

(١) ابن منظور (لسان العرب)، ٣/١٤٥.
(٢) الطاهر بن عاشور (التحرير والتنوير)، ١/١٤٩.

الدماغ لأداء مهامه، ولذلك فإن الله تعالى جعل القلب وسيلة نعقل به، يقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٢٢/٤٦]. وهذه الآية حدّدت لنا مكان القلب، لكي لا يظن أحد أن القلب موجود في الرأس وهو الدماغ، كما استنبط بعضهم، أو أن هناك قلباً غير القلب الذي ينبض في صدرنا! فضلاً عن حديث المصطفى ﷺ بهذا الخصوص حيث أوضح ذلك بقوله: «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، **ألا وهي القلب**»[1].

ومما يؤيد ما ذهبنا إليه، أن في حالة الكافرين والمنافقين الذين يعطلون مراكزهم المعرفية والإيمانية (العقلنة) بإرادتهم وإصرارهم على ذلك، فإن الله عز وجل - وهم قد وصلوا إلى هذه المرحلة التي لا رجعة ولا توبة فيها - يقوم بالختم والطبع على المناطق المتخصصة بالهداية والإيمان (عقيدة التوحيد) الموجودة في قلوبهم، وصولاً إلى فقدان الفهم والإدراك (العقل) عندهم، بقوله عز وجل: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٢/١٧١].

وقوله تعالى: ﴿وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ٧/١٠٠].

وقوله تعالى: ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٩/٨٧].

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ [المنافقون: ٦٣/٣].

والآن سنذكر أحدث المكتشفات التي توصل إليها الطب بخصوص القلب ووظائفه ومن أهمها ما يأتي:

١. يتحدث العلماء اليوم عن اكتشاف شبكة عصبية معقدة موجودة في القلب، أطلق عليها اسم (مخ القلب) (Heart Brain)، توجد داخل منظومة

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ٢٠/١ برقم (٥٢)، ورواه مسلم في الصحيح ٣/ ١٢١٩ برقم (١٥٩٩).

من العقد العصبية القلبية (Cardiaic ganglia)، توجد أساساً في الطبقة السطحية للقلب، خاصة في منطقة الأذينين، كما في الشكل رقم (٤) أدناه:

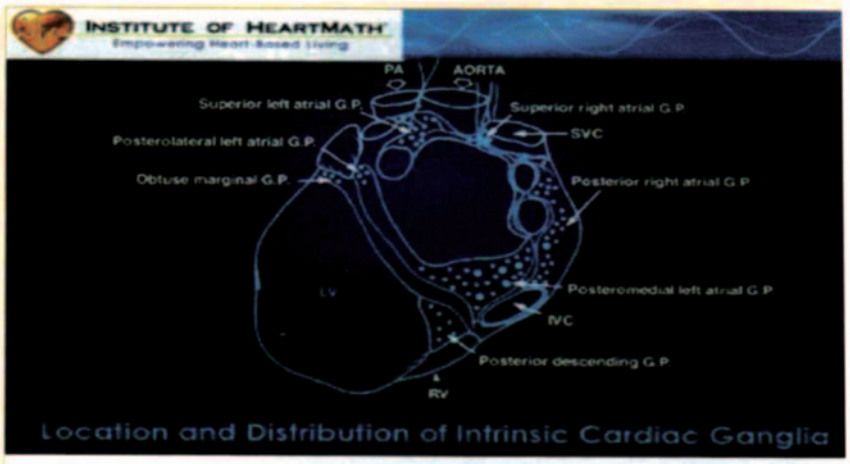


Fig (1): The Ganglia of the Cardiac plexus are shown as small white dots, mainly in the region of the atria.
العقد العصبية القلبية

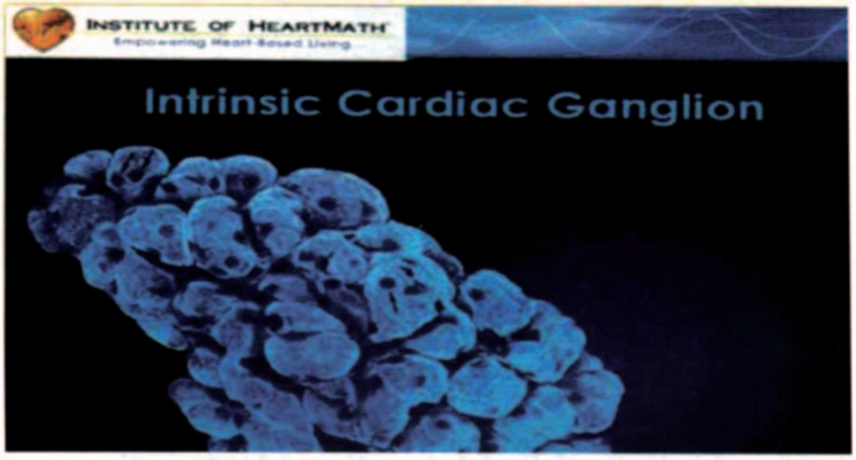


Fig (2): Cone focal microscopy of Cardiac Ganglion, magnified from the white dots as per Fig (1).
العقد العصبية القلبية

الشكل رقم (٤)
مجاميع شبكة العقد العصبية القلبية (Cardiaic ganglia)
والتي تظهر بشكل نقاط بيضاء خاصة في منطقة الأذينين ٨٠٪ منها

ويقدر عدد هذه العقد في هذه الشبكة بحوالي ٦٠٠ عقدة، تحتوي على أكثر من ٤٠٠,٠٠٠ خلية عصبية متنوعة الأشكال والحجوم، وتختلف من

إنسان إلى آخر، متصلة فيما بينها بألياف متشابكة (Synapses)، مكونة عدداً من الدوائر العصبية المعقدة (Circuits)، وقد لوحظ أن غالبية خلايا هذه العقد العصبية تشبه خلايا الجهاز العصبي اللاإرادي (الودي والجار ودي)، حيث توجد بها نواة طرفية وعدد كبير من العضيات (Organelles) داخل السايتوبلازم، مما يدل على أنها خلايا نشطة، وتقوم بوظائف عصبية كثيرة ومعقدة! وتعمل هذه الشبكة بصورة مستقلة عن الدماغ، ولكنها تتواصل معه من خلال اتصالات عصبية وهرمونية، حيث ترسل هذه المنظومة العصبية القلبية (مخ القلب) إلى (مخ الدماغ) إشارات كهربائية صادرة (Afferent) أكثر من ٨٠٪، بينما يرسل الدماغ إلى القلب إشارات واردة (Efferent) بمقدار ٢٠٪، وذلك من خلال الجهاز العصبي الإرادي، كالعصب القحفي العاشر -الحائر- (Vagus nerve) وغيره، حيث يتم التحاور بينهما. ومن أهم هذه المناطق الموجوده في الدماغ التي يتواصل معها القلب هي:

أ- **الجهاز الحوفي** (Limbic System): ومن أهم مناطقه (كما ذكرنا سابقاً) **منطقة فرس البحر** (Hippocampus)، والمرتبط بالفص الصدغي بالمخ، وهي جزء من القشرة المخية المنوطة بعملية الذاكرة والتعلم والوعي. فعليه يمكن القول بأن الحوار بين (مخ القلب) وبين هذا الجزء، يدعم ويقوي الوظائف المعرفية ودرجة اليقظة في المخ. وكذلك **منطقة اللوزة** (Amygdala)، المسؤولة عن المشاعر والأحاسيس والعواطف والشهوات. ومن هنا يمكن القول إنَّ الرسائل الإيمانية الصاعدة من القلب إلى هذا الجزء، تلعب دوراً مهماً في وسطية واعتدال هذه الشهوات التي شرعها الله بالنسبة للمؤمنين. ولكنها بالنسبة للكافرين والمنافقين (كما ذكرنا)، فإنهم يعطلونها بإرادتهم ويتبعون شهواتهم ويطلقون العنان لها! فيتصرفون كالبهائم كما وصفهم الله تعالى في كتابه العزيز بقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ٧/١٧٩].

ب- **منطقة الناصية** (Prefrontal Area): وهي مقدمة الفص الأمامي في المخ، المسؤولة عن تجميع المعلومات وفهمها واتخاذ القرار بشأنها (الأخذ بناصية الأمور)! كما ذكرنا أعلاه وبيّنّا في الشكل رقم (١). وهذه

المنطقة موجودة عند الإنسان فقط، ويتميز بها عن بقية المخلوقات وبها مع المنظومة الإدراكية في القلب فضله الله تعالى على كافة المخلوقات، حيث يتم التشاور (العقلنة) في هذه المنطقة من القلب إلى المخ، صعوداً وهبوطاً (صادراً وارداً) للتوصل إلى اتخاذ القرارات الصائبة. ويؤكد العلماء في معهد رياضيات القلب في كاليفورنيا (IHM) أن المعلومات تتدفق من القلب إلى الدماغ عبر قنوات مشتركة، تقوم بتوجيه خلايا الدماغ، لتتمكن من الفهم والاستيعاب.

وهذا يفسر قوله ﷺ: «**استفت قلبك**»![1]، فالقلب هو الذي يعقل أولاً، ثم يتشاور مع المخ لاتخاذ القرار!

وإننا نعتقد (والله أعلم - وربما سيكشف العلم عن ذلك مستقبلاً)، أن مجاميع شبكة العقد العصبية القلبية المذكورة أعلاه، والمنتشرة على سطح القلب (مخ القلب)، تؤدي وظائف مختلفة، بحيث تكون كل مجموعة متخصصة بوظيفة معينة، تتناغم وتتعامل مع مثيلاتها من الخلايا العصبية المسؤولة عن نفس الوظيفة، الموجودة في مناطق القشرة المخية على سطح الدماغ (Cerebral Cortex)، كما هو مبين في الشكل رقم (١).

٢. وفي القلب أيضاً منظومة عصبية أخرى معروفة سابقاً، تسمى (الشبكة القلبية العصبية) (Cardiac Plexus) بقسميها السطحي والعميق، تستمد اتصالاتها من الجهاز العصبي اللاإرادي - السمبثاوي (الودي) والبارا سمبثاوي (الجار ودي)- عن طريق سلسلة العقد العصبية السمبثاوية (الودية)، الموجودة في منطقة الرقبة والمنطقة الصدرية، وكذلك من العصب العاشر (الحائر) في الصدر، الذي يرسل الإيعازات الباراسمبثاوية (الجار ودية). وتتصل هذه الشبكة القلبية العصبية (Cardiac Plexus) بمنظومة العقد العصبية القلبية المكتشفة حديثاً، والتي ذكرناها في الفقرة السابقة، وتتصل بها. وتقوم هذه الشبكة أيضاً بتنظيم عمل القلب (الانقباض

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٢/٢٥٩ برقم (٧٥٣)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف، ورواه الدارمي في السنن ٣/١٦٤٩ برقم (٢٥٧٥).

والانبساط) ونبضاته وانتظامها، من خلال اتصالها مع منظومة التوصيل الكهربائي في القلب (Conductive System)، التي هي منظومة عصبية أخرى مستقلة عن المنظومتين المذكورتين أعلاه، وتختلف عنهما ولكنها تتواصل معهما.

٣. ويعمل القلب كذلك كغدة صماء كبرى (Major Endocrine Organ)، حيث يفرز من الخلايا العضلية للأذينين (خاصة الأيمن) مجموعة من الهرمونات، اكتشف منها لحد الآن حوالي ستة هورمونات، تفرز مباشرة إلى مجرى الدم في داخل القلب، ومن أهمها هرمون «ANH»، الذي يعتقد أنه يقوم بضبط وظائف الجسم كلها!؟ ويعتبر القلب حالياً من أهم الغدد الصماء في الجسم، حيث إنه الغدة الموجهة (المايسترو) لمعظم الغدد الصماء الأخرى في الإنسان، خاصة الغدة النخامية في الدماغ والغدة الفوق كلوية. ومن المهم الإشارة إلى أن أربعة من هذه الهرمونات تفرز أيضاً من المخ مثل هرمون (ANH) المذكور أعلاه، وهرمون الأوكسي توسين (Oxytocin)، والذي يسمى بهرمون الحنان والمحبة، وهرمون الدوبامين (Dopamine)والمسؤول عن التعلم والتذكر، وهرمون السيروتينين (Serotenin) والذي يسمى بهرمون السعادة. وهذا دليل آخر على التناغم وتبادل المعلومات بين القلب والدماغ عن طريق هذه المنظومة الهورمونية أيضاً، ويكون القلب هو الموجه الأول فيها، عن طريقها مباشرة أو عن طريق المنظومة العصبية القلبية والعصب العاشر (الحائر)، كما في حالة هرمون (السيروتينين).

٤. وفي القلب أيضاً منظومة كهرومغناطيسية، حيث أثبتت الدراسات العلمية الحديثة بمعهد رياضيات القلب في كاليفورنيا (IHM)، أن قوة المجال الكهرومغناطيسي المنبعث من القلب، تبلغ ٥٠٠٠ ضعف المجال المنبعث من المخ، ويمتد إلى مسافة ١٠ أقدام على شكل دائرة حول الجسم! وبناءً على علم قواعد الفيزياء، يكون القلب هو العضو الذي له اليد العليا في السيطرة كهرومغناطيسياً على باقي أعضاء الجسم وليس المخ، كما كان يعتقد سابقاً! وفي تجربة مثيرة أجريت بمعهد (IHM)، لوحظ عند تعريض

شخص متوتر الأعصاب لأجواء الاسترخاء، مثل سماع الموسيقى والتأمل والصلوات، فإن موجات القلب تبدأ أولاً بالهدوء والانتظام، تليها موجات المخ بعد بضعة دقائق. وأثبت ذلك باستعمال الأجهزة الكهربائية للقلب والمخ (ECG & EEG)، أي إن القلب هو الذي يقود، والمخ يتبعه. ومن هنا يظهر الإعجاز العلمي في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ١٣/٢٨].

٥. إن معظم الذين زرعوا قلباً صناعياً، يشعرون بأن قلبهم الجديد قد تحجَّر، ويحسون بقسوة غريبة في صدورهم، ويلاحظون بعد الجراحة أن هناك تغيراً ملحوظاً في مشاعرهم وعواطفهم، عن التي كانوا يحسون بها سابقاً! وهذا ما أشار إليه القرآن في خطاب اليهود: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٢/٧٤]. فقد حدّد لنا القرآن صفة من صفات القلب وهي القسوة واللين، ولذلك قال عن الكافرين: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٣٩/٢٢]. ثم قال في المقابل عن المؤمنين: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٣٩/٢٣].

وفي الختام: فإنه يمكننا القول بأنه كلما تقدمت العلوم والمعارف، فإنها ستُظهر وتؤكد لنا (في موضوع القلب وغيره من الموضوعات الطبية والكونية) صدق وعظمة كتاب الله العزيز، وأنه هو السابق، والعلم هو اللاحق! وكما قال الإمام بدر الدين الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن) (٢/٢٥): (**ومن هذا الوجه، فإن كل من كان حظه من العلوم أوفر، كان نصيبه من علوم القرآن أكثر**)، وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ [النمل: ٢٧/٩٣]. وبناءً على ذلك فإن القرآن الكريم يكون موجهاً وهادياً للأبحاث الطبية وغيرها، وعلى علماء المسلمين (قبل غيرهم) أن يكونوا المبادرين لذلك! قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ١٧/٩].

غيض الأرحام

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ۝٨﴾.

قال المفسرون: غيض الأرحام الحيض على الحمل، فإذا حاضت الحامل كان نقصاناً في غذاء الولد وزيادة في مدة الحمل، فإنها بكل يوم حاضت على حملها، يوم تزداد في طهرها، حتى يستكمل ستة أشهر ظاهراً. فإن رأت الدم خمسة أيام ومضت الأشهر التسعة وخمسة أيام، وهو قوله: وَما تَزْدادُ.

روى ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ﴾ خروج الدم حتى تحيض، يعني حين المولد، وَما تَزْدادُ استمساك الدم إذا لم تهرق المرأة تم الولد وعظم، وفي هذه الآية دليل على أنّ الحامل تحيض، وإليه ذهب الشافعي.

وقال الحسن: غيضها ما تنقص من التسعة الأشهر، وزيادتها ما تزداد على التسعة الأشهر[١].

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ۝٨﴾.

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، ٥/٢٧٢.

وشاهِدُنا في هذا التفسير هو قوله تعالى: ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ أي ما تنقص أو تبلع، حيث إنه في الأسابيع الأولى من الحمل تحصل نسبة كبيرة من الإجهاض التلقائي؛ إما ظاهراً خارج الرحم، وإما في داخل الرحم ويسمى بالإجهاض الخفي، حيث يغور الجنين ويتلاشى داخل الرحم، ويسمى أيضاً (الجنين المضمحل) .Blighted or Ablated ovum حيث تشعر الأم بأعراض الحمل، وتنقطع عندها الدورة الشهرية، ويكون الفحص المختبري للحمل إيجابياً، ويُظهر فحص الموجات فوق الصوتية وجود حمل على شكل كيس فارغ (Empty Sac)، مع بداية تكوين المشيمة والأغشية، ولكن عند المتابعة يختفي هذا النوع من الحمل، وبدون حدوث إجهاض أحياناً! ولم يُعرف هذا النوع من الحمل والإجهاض إلا في النصف الثاني من القرن العشرين، مع اكتشاف آلة تصوير الجنين بالموجات فوق الصوتية.

وفي الآية الكريمة أعلاه، إعجاز طبي، حيث تشير إلى هذين النوعين من الإجهاض التلقائي المبكر الظاهر والخفي، ففي المعنى الأول، لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾، أي **ما تنقص** كما جاء في تفسير (زبدة التفسير من فتح القدير) ص٣٢٢: (المراد ازدياد حجم الرحم بنمو الحمل فيه يوماً بعد يوم، **ونقصه بخروج الولد-الجنين**- ففي كل من الأمرين معجزة)، وهذا يشير إلى النوع الأول من الإجهاض التلقائي الخارجي (الظاهر)، والمعنى الثاني لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ أي **ما تبلع** كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ أي (فابتلعت الأرض ماءها، فنضب الماء من الأرض حتى جف)! وكذلك في هذا النوع من الإجهاض، فإن بطانة الرحم تبلع هذا الجنين، في إشارة إلى النوع الثاني من الإجهاض (الخفي أوالمضمحل)!

ومن العجيب أن هذا المعنى قد أشار إليه المرحوم الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي المتوفى عام ١٣٧٦هـ في تفسيره الموسوم (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ص ٤٦٩ بقوله: «**أي تنقص مما فيها إما أن يهلك الحمل أو يتضاءل أو يضمحل**»! والله أعلم بمراده.

التفسير الطبي للآية رقم (٦٧) من سورة النحل والآيات ذات الصلة بالموضوع

فوائد التمر الصحية

قوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٦٧﴾

لقد ورد ذكر النخيل في القرآن الكريم كناية عن ثمرته (التمر-الرطب) في عشرين موضعاً بلفظ (النخل، النخيل، النخلة، نخلاً) كالآتي:

١- **النخل**: الأنعام/٩٩ و١٤١، الكهف/٣٢، طه/٧١، الشعراء/١٤٨، ق/١٠، القمر/٢٠، الرحمن/١١و٦٢، الحاقة/٧.

٢- **النخيل**: البقرة/٢٦٦، الرعد/٤، النحل/١١ و٦٧، الإسراء/٩١، المؤمنون/١٩، يس/٣٤.

٣- **النخلة**: مريم/٢٣ و٢٥.

٤- **نخلاً**: عبس/٢٩.

وقد ورد ذكر ثمرته بلفظ (رطباً) في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ۝٢٥﴾ [مريم: ١٩/٢٥].

وكذلك ورد وصف ثمرته بالطلع الهضيم (بمعنى النضيج واللين اللطيف) في قوله تعالى: ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾﴾ [الشعراء: ١٤٨/٢٦].

وبالطلع النضيد (بمعنى المتراكب الذي نُضّد بعضه على بعض) في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾﴾ [ق: ١٠/٥٠].

من ذلك نستدل أن التمر هو الغذاء المثالي للإنسان، حيث إنه من أهم وأنفع الثمار التي خلقها الله له، وأنه من نعم الله الكثيرة على عباده، لاحتوائه على طيف واسع من العناصر الغذائية الأساسية، والفيتامينات والأملاح والألياف الضرورية للجسم وذات الفوائد الصحية المختلفة، فهو غذاء ودواء في آن واحد، وسنذكر أدناه أهم هذه الفوائد وباختصار شديد:

١- **منشط ومنعش للجسم**: يحتوي التمر على نسبة عالية من السكريات (٧٠-٧٥٪ من وزنه) سريعة الامتصاص وسهلة الهضم كالكلوكوز والفركتوز والسكروز، ونحو ٢٠٪ من الماء، أما الرطب فيحتوي على ٢٤-٥٨٪ من السكريات، وعلى نحو ٦٥٪ من الماء، لذلك قال تعالى: ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ [الشعراء: ١٤٨/٢٦]، والهضيم كما جاء في التفسير (بمعنى النضيج واللين اللطيف)، فهو ينفع للإنعاش السريع من الإرهاق والجهد البدني، ومن أعراض هبوط السكر والجفاف في الدم. لذلك كان من سنته ﷺ الإفطار على التمر أو الرطب في رمضان وغيره عند الصيام، حيث تمتص هذه السكريات والمياه سريعاً، وتصل إلى الدماغ في خلال دقائق قليلة، فتنعشه وتزيل الإرهاق والشعور بالجوع والعطش الدماغي (المركزي) وأعراضهما، فيقل عند الصائم الجائع والظمآن النهم في تناول الطعام، والإسراف في شرب الماء الذي يسببه الجوع والعطش المعوي الناتجان عن الصيام.

٢- **مقوي للجسم**: يوصف التمر بأنه منجم من الفيتامينات والمعادن، لاحتوائه على مجموعة متكاملة ومميزة منهما، وقسم منها لا توجد في غيره من الثمار والفواكه! ومن أهم هذه الفيتامينات، فيتامين (أ) وفيتامين (ب١، ب٢، ب٦، ب١٢) وفيتامين (د) وحامض النيكوتينك والفوليت.

أما المعادن، فمن أهمها البوتاسيوم والكالسيوم والحديد والمغنيسيوم والفسفور والصوديوم والزنك والنحاس والمنغنيز والفلور والسيلينيوم.

وهذه الفيتامينات والمعادن تدخل في معظم العمليات الحياتية البيولوجية في الجسم (الأيضية)، لذلك فهي مصدر قوة ودعم لكافة أجهزته، خاصة الجهاز المناعي والعضلي.

ويحتوي التمر على البروتين (٣٪ من وزنه) التي فيها ٢٣ نوعاً من الأحماض الأمينية، وبعضها من الأحماض الأمينية الأساسية، وهي غير موجودة في معظم الفواكه الشائعة الأخرى والضرورية لفعاليات الجسم.

٣- **مضاد للأكسدة** (Antioxidants): يحتوي التمر على مواد مضادة للأكسدة من أهمها البولي فينولات (polyphenolic Flavonoids)، التي تقي الجسم من أضرار الجذور الحرة، المسببة لكثير من الأمراض، كالسرطانات (سرطان القولون والبروستات والرئة والثدي وغيرها)، وأمراض تصلب الشرايين (Atherosclerosis)، والساد العيني وضمور مركز شبكية العين (Cataract and Macular Degeneration).

٤- **مضاد للسموم ومقوٍّ للكبد** (Detoxification): يحتوي التمر على مواد مضادة للسمية، ويقوي وظائف الكبد، حيث يساعده في عملية تنقية الجسم من السموم، سواءً أكانت خارجية كالكحول، أم داخلية ناتجة عن العمليات الأيضية، كما أكدت ذلك الأبحاث الطبية حديثاً في الحيوانات التجريبية والإنسان، والتي يمكن الرجوع إليها من مصادرها. لذلك ينفع للمرضى المكبودين (المصابون بأمراض الكبد)، خاصة الناتجة عن الكحول (Alcoholic Liver Diseases).

ومن هنا نفهم مغزى حديث المصطفى ﷺ الإعجازي الذي لا ينطق عن الهوى في قوله: «**مَن تَصَبَّحَ بِسَبعِ تَمراتٍ عَجوَةٍ لم يضرَّهُ في ذلك اليومِ سَمٌّ ولا سِحرٌ!**» رواه البخاري ومسلم وأحمد في مسنده ٣/ ٨٥.

٥- **مضاد للإمساك واضطراب الأمعاء**: يحتوي التمر على نسبة جيدة من الألياف (٨,٥٪من وزنه)، لذلك له مفعول مضاد للإمساك

(مليّن) ومهضم خاصة عند كبار السن. وتعمل هذه الألياف للوقاية من أمراض القولون وأورامه، حيث تحمي الغشاء المخاطي للقولون من المواد التي تسبب هذه الأمراض. وكذلك يعمل كوقاية من أمراض تصلب الشرايين (Atherosclerosis) في آلية أخرى، غير آلية مضادات الأكسدة المذكورة أعلاه، وكذلك لخلوه من الكوليسترول والدهونات!

٦- **حفظ توازن الأملاح في الجسم**: يحتوي التمر على نسبة جيدة من البوتاسيوم (٦٩٦ملغم/١٠٠غم) الذي ينفع في حفظ توازن الأملاح في الجسم، ويقي من أمراض القلب وارتفاع ضغط الدم.

٧- **الوقاية من فقر الدم وهشاشة العظام**: يحتوي التمر على نسبة من الحديد والكالسيوم والنحاس والمغنيسيوم والمنغنيز والفلور، التي تقي من أمراض فقر الدم وهشاشة العظام وتسوس الاسنان.

٨- **التمر وداء السكر**: أما بالنسبة للمرضى المصابين بداء السكر، فقد وجد الباحثون (البروفيسور ميلر وزملاؤه) أن التمور تعتبر مصدراً مناسباً من مصادر الكاربوهيدرات لمرضى السكر، شريطة عدم الإفراط في تناولها، حيث إن ذلك لا يؤدي إلى تأرجح شديد في مستوى السكر عندهم، خاصة أن لها شعاراً سكرياً (Glycemic Index) منخفضاً نسبياً، مع وجود اختلاف بين أنواع التمور المدروسة في البحث المذكور، والذي أظهر أيضاً أن تناول التمر مع اللبن الزبادي (Yoghurt) قد أدى إلى فائدة إضافية في السيطرة على مستوى السكر.

هذا غيض من فيض في فوائد التمر، ونحن متأكدون أن العلم مستقبلاً سيكتشف المزيد من أسرار فوائده الغذائية والطبية، وقاية وعلاجاً. وصدق رسول الله ﷺ في قوله: «**يا عائشة: بيتٌ لاتمرَ فيه جياعٌ أهله!**»[١].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ١٦١٨/٣ برقم (٢٤٦) وابن ماجه في السنن ١١٠٤/٢ برقم (٣٣٢٧) والترمذي في السنن ٢٦٤/٤ برقم (١٨١٥) وقال الألباني: صحيح.

التفسير الطبي للآية رقم (٤) من سورة الرعد والآيات ذات الصلة بالموضوع

فوائد العنب الصحية

قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾

لقد ذكر القرآن الكريم العنب في (١١) موضعاً وذلك في صيغة الجمع (أعناب وأعناباً) في تسع آيات هي: ٢٦٧/البقرة، ٩٩/الأنعام، ٤ /الرعد، ١١ و٦٧/النحل، ٣٢/ الكهف، ١٩/ المؤمنون، ٣٤/يس، ٣٢/ النبأ. وبصيغة المفرد (عنب وعنباً) في آيتين هما: ٩١/ الإسراء و٢٨/ عبس.

وقد ارتبط ذكر العنب في القرآن الكريم مرة واحدة في معرض نعيم الآخرة، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۝٣٢﴾ [النبأ: ٧٨/٣١-٣٢]. أما البقية، فجاءت في سياق النعم التي اختص اللّٰه بها بني آدم في الحياة الدنيا، كما في الآية موضوعة البحث أعلاه، وفي ذلك إشارة إلى فوائد العنب الغذائية والطبية ومنافعه الكثيرة (فضلاً عن مذاقه وشكله المميزين)، والتي سنذكر بعضاً منها وباختصار شديد كما يأتي:

١- **منشط لطاقة الجسم**: يحتوي العنب على نسبة عالية من السكريات سريعة الامتصاص (١٥٪) كالكلوكوز والفركتوز والسكروز، التي

تمد الجسم بطاقة فورية وتنعشه بسرعة، لذلك يستعمل عصيره في حالات الإنهاك والإرهاق الجسدي.

٢- **مقوٍّ للجسم**: يحتوي العنب على مجموعة جيدة من الفيتامينات (خاصة فيتامين أ، ب، جوالفوليك أسيد)، والمعادن (كالبوتاسيوم والكالسيوم والحديد والفسفور والسيلينيوم)، لذلك ينفع في تقوية الجسم ورفع مناعته ضد كثير من الأمراض، كفقر الدم وهشاشة العظام وتصلب الشرايين وأمراض القلب والربو وأمراض الشيخوخة.

٣- **مضاد للأكسدة** (Antioxidants): يحتوي العنب على مادة الفلوفيناد (Flavonoids) المضاد للأكسدة، التي تقاوم الجذور الحرة المسببة لكثير من الأمراض، من أهمها أمراض القلب والشرايين والسرطانات والساد العيني وضمور مركز شبكية العين (Catract & Macaular Degeneration).

٤- **وقاية من أمراض الشيخوخة ومرض الزهايمر** (Alzheimers): يحتوي العنب على مادة البوليفينولات (Polyphenols) التي تنشط خلايا الدماغ وتمنع تدهور وظائفه. لذلك فهو يقي من مرض خرف الزهايمر (Alzheimers' Dementia) ومن أمراض الشيخوخة، وكما جاء أعلاه.

٥- **مضاد للسرطان**: يحتوي العنب على مادة ريزفراتول (Resveratrol) المضادة للسرطان، التي كان يعتقد أنها مادة مضادة لفطريات العنب والنباتات، ولكن أكد الباحثون في جامعة (ليستر) في إنكلترا أن لها مفعولاً مضاداً للسرطان أيضاً.

٦- **مضاد للإمساك**: لاحتوائه على نسبة من الألياف تبلغ ٤,٥٪، لذلك فإنه يساعد على منع الإمساك (مليّن)، وكذلك على إنقاص مستوى الكوليسترول الضار (LDL) في آلية أخرى، فضلاً عن المذكورة أعلاه.

٧- **علاج لسوء الهضم**: العنب لذيذ الطعم سهل الهضم سريع الامتصاص، لذلك له دور فعال في علاج سوء الهضم وحموضة المعدة وانتفاخ البطن والقولون العصبي.

٨- **مساعد للإنجاب**: يحتوي العنب خاصة البذور منه على مادة البروفلانول (Proflavanol) المنشطة للإنجاب عند النساء والرجال.

ونظراً لأهميته وفائدته هذه ولغيرها، فقد رزق الله به السيدة مريم عليها السلام في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾، حيث خص العنب بالذكر من دون الفاكهة التي رزقها بها، كما جاء في تفسير الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: (كان عنباً في مكتل في غير حينه)[١]، وكذلك في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور قوله: (كان عنباً في فصل الشتاء)! راجع ص١٠٤-١٠٥.

هذا غيض من فيض في فوائد العنب الغذائية والطبية وقاية وعلاجاً، ونحن متأكدون أن الطب سيكتشف مستقبلاً فوائد أخرى له، وصدق الله العظيم في قوله: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [النحل: ١٦/٦٧].

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٢/١٨٥ -١٨٦.

صفحة بيضاء

رقم 166

فوائد العسل الصحية

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

الإيحاء إلى النحل: إلهامها والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو أعلم به، لا سبيل لأحد إلى الوقوف عليه، ولطفها في تدبير أمرها، وإصابتها فيما يصلحها، دلائل بينة شاهدة على أنّ الله أودعها علماً بذلك وفطنها، كما أولى أولي العقول عقولهم... ثم كلي من كل ثمرة تشتهينها، فإذا أكلتها ﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ﴾، أي الطرق التي ألهمك وأفهمك في عمل العسل. أو فاسلكي ما أكلت في سبل ربك، أي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المرّ عسلاً من أجوافك ومنافذ مآكلك. أو إذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك، فاسلكي إلى بيوتك - راجعة - سبل ربك، لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها... ﴿شَرَابٌ﴾ يريد العسل، لأنه مما يشرب، ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ منه أبيض وأسود وأصفر وأحمر ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ لأنه من جملة الأشفية والأدوية المشهورة النافعة، وقلّ معجون من المعاجين لم يذكر الأطباء فيه العسل، وليس الغرض أنه شفاء لكل مريض، كما أن كل دواء كذلك.

وتنكيره إمّا لتعظيم الشفاء الذي فيه، أو لأن فيه بعض الشفاء، وكلاهما محتمل، وعن النبي ﷺ أن رجلاً جاء إليه فقال: إن أخي يشتكي بطنه، فقال: «اذهب واسقه العسل»، فذهب ثم رجع، فقال: قد سقيته فما نفع، فقال: «اذهب واسقه عسلاً»، فقد صدق الله وكذب بطن أخيك، فسقاه فشفاه الله فبرأ، كأنما أنشط من عقال[١]، وعن عبد الله بن مسعود قال: «العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور، فعليكم بالشفاءين: القرآن والعسل»[٢].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًاۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٦/٦٩].

إن هذه الآية الكريمة من الآيات ذات المعاني الطبية المتعددة كونها تذكر الدواء والغذاء ﴿شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۚ﴾، وتحث على إعمال الفكر والعقل من خلال البحث الطبي في منتجات النحل ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وصولاً إلى الوقاية والعلاج من الأمراض. والشراب هنا يشمل العسل بأنواعه وغيره مما يخرج من بطون النحل: كالغذاء الملكي والشمع والعكبر (صمغ النحل) وحتى سم النحل وغيرها، فجميعها فيه شفاء إذا ما أحسن اختياره واستعماله.

إن العسل مثبت في كثير من الدساتير العالمية للأدوية قديماً وحديثاً كعلاج لكثير من الأمراض. وسنذكر أدناه وباختصار شديد أهم فوائده حسب الأبحاث العلمية المنشورة في المجلات الطبية المتخصصة، ومنها:

١- **العسل مضاد للجراثيم**: لقد أكدت الدراسات المخبرية والسريرية أن العسل فعال تجاه طيف واسع من الجراثيم، حيث يمنع نموها أولاً، ويقضي عليها ثانياً (Bactriostatic and Bactriocidal).

٢- **العسل كعلاج للجروح والقروح**: لكون العسل مضاداً للجراثيم، فهو يحقق تنظيفاً سريعاً للجروح ويزيل الرائحة منها، ويحفز نمو الأنسجة

(١) رواه البخاري في صحيحه ٧/١٢٣ برقم (٥٦٨٤).
(٢) انظر: الكشاف للزمخشري، ٢/٦١٩.

الصحية مما يؤدي إلى التئامها، ويقلل من ظهور الندبات بعد شفائها، فهو يقاوم الإنتان الجرثومي ويحفز لالتئام الجروح والقروح. وحتى في الجروح والتقرحات المزمنة والعميقة المقاومة للعلاج بالمضاد الحيوي، كالجروح الناتجة عن الأورام السرطانية وتقرحات القدم السكري، فإن العسل يحقق نتائج مشجعة وإيجابية، والدراسات في هذا الخصوص كثيرة يمكن الرجوع إلى مصادرها.

٣- **العسل في علاج الحروق**: كما أن العسل ينفع في علاج الجروح والقروح فهو مفيد كذلك في علاج الحروق؛ فقد نشرت مجلة (Burns) عام ١٩٩٦م دراسة في استعماله في علاج الحروق، وكانت النتائج أن ٩٠٪ من الحروق أصبحت خالية من الجراثيم خلال ٧ أيام، وتم شفاؤها خلال ١٥ يوماً بنسبة ١٠٠٪.

٤- **العسل والجهاز الهضمي**: إن العسل مادة ذات قيمة غذائية عالية وحلو المذاق، سهل الهضم وسريع الامتصاص، لاحتوائه على نسبة عالية من السكريات (٨٢,٥٪) خاصة الأحادية، كالفركتوز (٣٨,٥٪) والكلوكوز (٣١٪) والماء (١٧٪)، والبقية مجموعة من الأحماض الأمينية والبروتين والمعادن والفيتامينات والأنزيمات وغيرها. فهو صيدلية متكاملة نافعة للجسم، حيث يعزز جهاز المقاومة فيه ويكون وقاية له من الإصابة من الأمراض بأنواعها. وقد وجد أن العسل يثبط نمو البكتريا المسببة لتقرحات الجهاز الهضمي وسرطان المعدة (هيليكو باكتر بايلوري H.Pylori)، وعدد آخر من البكتريا السالبة والموجبة لصبغة جرام، خاصة إذا أعطي بنسبة تركيز ٢٠٪ كما جاء في بعض الدراسات المنشورة. لذلك فهو ينفع في علاج الإسهال الناتج عن التهاب المعدة والأمعاء عند الأطفال والبالغين.

٥- **العسل غني بمضادات الأكسدة**: لقد حبا الله تعالى العسل بكميات وافرة من مضادات الأكسدة (Antioxidants)، التي تحمي الجسم من أخطار الجذور الحرة للأوكسجين، الناتجة عن التمثيل الغذائي داخل خلايا الجسم، والتي تسبب تدمير هذه الخلايا، مؤدية إلى كثير من الأمراض المزمنة،

كأمراض القلب والسكري والسرطان وغيرها. وقد أشارت الدراسات الطبية إلى أن مضادات الأكسدة الفينولية الموجودة في عسل النحل فعالة، وتزيد من مقاومة الجسم ضد الإجهاد التأكسدي (Oxidative Stress).

٦- **العسل علاج لأمراض العيون**: تم تحضير العسل على شكل مراهم وقطرات لعلاج التهاب الجفون والملتحمة والتهاب وتقرح القرنية. وفي روسيا استعمل العسل لعلاج التهاب وعتمات القرنية، الناتجة عن الإصابة بفيروس التهاب وجفاف الملتحمة.

٧- **العسل ومرض السكر**: تحتوي ملعقة الطعام من العسل على ١٧غم من السكريات ينتج عنها ٦٤ سعرة حرارية. وكما ذكرنا أعلاه فإن سكر الفركتوز يشكل نحو نصفها، وامتصاصه وعمليته الأيضية تختلف عن بقية السكريات (يحتاج إلى كمية أقل من الأنسولين للتمثيل)، لذلك من الممكن لمريض السكر تناوله ولكن بكميات مناسبة للسعرات الحرارية التي يحتاجها جسمه، بشرط أن يكون ذلك العسل غير مغشوش (دون أن يكون السكر مضافاً إليه أو أن يكون ناتجاً عن تغذية النحل على السكر).

هذا غيض من فيض عن فوائد عسل النحل، وربما سيكتشف الطب مستقبلاً فوائد كثيرة أخرى له ولبقية منتجات ومخرجات النحل!

والخلاصة:

أن العسل مضاد للجراثيم وللأكسدة، ويتمتع بقيمة غذائية ومناعية عاليتين، لذلك يستفيد منه الناس وقاية وعلاجاً فضلاً عن كونه غذاء ذا مذاق متميز وغنياً بالفوائد، وصدق رسول الله ﷺ بقوله: «**عليكم بالشفاءين العسل والقرآن**»[١].

---

(١) ابن ماجة في السنن ٢/١١٤٢ برقم (٣٤٥٢) والمستدرك للحاكم ٤/٢٢٢ برقم (٧٤٣٥) وقال الحاكم: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وفي السنن الكبرى للبيهقي ٩/٥٧٩ برقم (١٩٥٦٥).

التفسير الطبي للآية (٣٠) من سورة الأنبياء
والآيات ذات الصلة بالموضوع

(الماء في القرآن والطب)

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾

لقد تكرر ذكر الماء في القرآن الكريم عشرات المرات، لأهميته الكبرى للإنسان والحيوان والنبات والطبيعة، حيث ورد ذكره بلفظ (ماء) ٣٣ مرة، وبلفظ (الماء) ١٦مرة، ولكن القرآن الكريم ذكره تحديداً في معرض علاقته بحفظ الحياة وديمومتها في ٢٥ آية كريمة وكما يأتي:

البقرة/١٦٤، الأعراف/٥٧، ٥٠، هود/٧، يوسف /٤٩، الرعد/٤، النحل/٦٥، الأنبياء/٣٠، الحج/٥، النور /٤٥، الفرقان/٥٤، ٤٩، العنكبوت/٦٣، الروم/٥٠، ٢٤، السجدة/٨، فاطر/٩، يس/٣٣، فصلت/٣٩، الزخرف/١١، الجاثية/٥، ق/١١، الواقعة/٦٨، المرسلات/٢٠، الطارق/٦.

قال الإمام القرطبي في تفسير الآية الكريمة: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ ثلاث تأويلات:

أحدها: أنه خلق كل شيء من الماء، قاله قتادة.

الثاني- حفظ حياة كل شيء بالماء.

الثالث- وجعلنا من ماء الصلب كل شيء حي، قاله قطرب. ﴿وَجَعَلْنَا﴾ بمعنى خلقنا. وروى أبو حاتم البستي في المسند الصحيح له من حديث أبي هريرة قال: قلت يا رسول الله! إذا رأيتك طابت نفسي، وقرت عيني، أنبئني عن كل شيء، قال: «كل شيء خلق من الماء»[١]، الحديث، قال أبو حاتم قول أبي هريرة: "أنبئني عن كل شيء": "أراد به عن كل شيء خلق من الماء". والدليل على صحة هذا جواب المصطفى إياه، حيث قال: «كل شيء خلق من الماء» وإن لم يكن مخلوقاً[٢].

ويقول المفسر الراحل عبد الكريم الخطيب: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ - إشارة إلى هذا العنصر العظيم من عناصر الحياة، وهو الماء.. فهو أصل كل حيٍّ، وبذرة كل حياة في عالمنا هذا الذي نعيش فيه.. فالإنسان، والحيوان، والنبات، قوامها جميعاً الماء، الذي به لبست ثوب الحياة، ومنه تستمد بقاءها، ووجودها.. فإذا افتقدت الماء عادت إلى عالم الموات... وهذه الحقيقة قد أصبحت من مقررات العلم الحديث، الذي أثبت أن نشأة الحياة على هذه الأرض قد ظهرت أول ما ظهرت على شواطئ الأنهار[٣].

إن الماء هو النعمة الكبرى والمنّة العظمى التي أنعم الله بها على الإنسان، وكذلك على كافة المخلوقات. فلا يوجد كائن حي إلّا ويشكل الماء جزءاً من تكوينه، قَلّت نسبته منه أم كثرت، لأنه من ضروريات الحياة، فحيثما وجد الماء وجدت الحياة!

ومن العجيب أن الباري عز وجل قال في محكم كتابه في الآية موضوعة البحث أعلاه ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ ولم يقل (وجعلنا من الهواء كل شيء حي)! بالرغم من أهمية الهواء للكائنات الحية لاحتوائه على الأوكسجين الضروري لإدامة حياتها وفعالياتها، حيث وجد أن نوعاً من

(١) المسند ٢/ ٢٩٥.
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١١/ ٢٨٤.
(٣) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، ٨٦٨/٩.

الكائنات الحية الدقيقة (البكتريا) تموت عند تعرضها للهواء، وتعيش بدونه! وتسمى (البكتريا اللاهوائية) (Anireboic Bacteria)، فسبحان الله الخالق العظيم على دقة تعبيره وبديع صنعه وخلقه!.

الماء مركب كيمياوي يتكون من ذرتي هايدروجين وذرة واحدة أوكسجين (H2O)، وهو أكثر المواد وفرة في الطبيعة وفي جسم الإنسان، حيث يشكل نحو ٧٠٪ من وزنه (٤٥ لتراً تقريباً). وفقدان ٥-١٠٪ من الماء في جسم الإنسان يؤدي إلى جفاف شديد (Dehydration)، وإذا ما وصل النقصان إلى ١٥-٢٠٪، فإن ذلك يؤدي غالباً إلى الوفاة!

ويتوزع الماء في جسم الإنسان بنسبة الثلثين (٣٠ لتراً) داخل الخلايا يسمى الضمنخلوي (Intracellular)، والثلث الآخر (١٥ لتراً) خارجها ويسمى الخرجخلوي (Extracellular)، الذي منه (٣ لترات) في بلازما الدم، والبقية (١٢ لتراً) تنتشر بين الأنسجة (Interstitial). لذلك نجد أن خلايا الجسم وأنسجته تسبح بالماء داخلاً وخارجاً، حيث يصل إلى كل خلية ونقطة في جسم الإنسان، ويتم بواسطته التبادل المستمر للمواد عبر الأغشية الخلوية. لذلك، فإن الماء ضروري جداً لكل وظائف الجسم، والتي من أهمها ما يأتي:

١- عملية الهضم والامتصاص في الجهاز الهضمي.

٢- عملية نقل المواد الغذائية العضوية وغير العضوية داخل الخلية وخارجها.

٣- وسيط ووسط جيد للعمليات الكيميائية الحياتية (البايولوجية-الأيضية) (Metabolisim)، والضرورية لجميع فعاليات ووظائف الجسم.

٤- مذيباً وناقلاً جيداً لفضلات ومخلفات التفاعلات الأيضية المذكورة أعلاه، ويعمل على طرحها والتخلص منها خارجاً عن طريق الكلى (البول) والجلد (العرق) والرئة (النفس).

٥- منظم لحرارة الجسم ودرجة الحموضة (pH)، ومحافظ على ثباتهما بالمعدلات الطبيعية الضروريتان للإنسان وتفاعلاته البايولوجية.

٦- الماء ضروري لبناء جميع أنسجة الجسم، والمادة الأساس لتكوين الدم والإفرازات السائلة منه، كاللعاب والدموع وعصائر المعدة والجهاز الهضمي والسائل الذي تفرزه أغشية المفاصل (السائل المنزلق) (Synovial Fluid)، بالإضافة لمحافظته على نعومة الجلد وصحته.

هذا غيض من فيض، وباختصار شديد عن أهم وظائف الماء في جسم الإنسان. ومن الجدير بالذكر أن نؤكد على نوعين من السوائل في جسم الإنسان لأهميتهما القصوى له وهما:

١- **سائل النخاع الشوكي** (C.S.F): والذي يبلغ حجمه نحو (٣٠٠) ملم^{٣}، ويحيط بالجملة العصبية (الدماغ والنخاع الشوكي)، وهو من أنقى السوائل المعروفة، ويتكون (ينبع!) من الظفيرة الشبكية (Choroid Plexus) الواقعة في بطين الدماغ، ويحيط بها داخلاً وخارجاً، ويتجدد باليوم خمس مرات، ويجعل الدماغ يطوف! كما في الشكل أدناه:



مخطط توضيحي يبين سائل النخاع الشوكي (C.S.F) باللون الأزرق الفاتح وهو يدور ويحيط بالدماغ ويجعله يطوف فاقداً لوزنه

لذلك من رحمة الله بالإنسان أنه لا يشعر بثقل دماغه الذي يبلغ ٢٪ من وزنه (حسب قاعدة أرخميدس)، فضلاً عن وظائفه الحيوية الأخرى للجملة العصبية، وحمايته لها مع الأغشية المحيطة بها.

٢- **السائل السّلي** (Amnoitic Fluid): الذي يحيط بالجنين داخل الرحم كما في الصورة أدناه:



وحجم هذا السائل نحو (٤٠٠) ملم٣ في وسط الحمل، ويصل إلى حوالي اللتر قبل نهايته بأسبوعين، حيث يقيه من المؤثرات الخارجية (حماية)، ويجعله يطوف أيضاً ويقلل من وزنه، فلا تشعر الأم الحامل بثقله الحقيقي كما هو الحال في الدماغ أعلاه! فضلاً عن وظائفه الحيوية الأخرى، كالمحافظة على درجة حرارة الجنين ومصدر غذائي له، كما يتيح للجنين الحركة، ويساعد على نمو جهازه التنفسي، فسبحان الله من خلق فسوى وقدر فهدى!

وحتى يكون الماء سبباً في حياة جميع الكائنات، فقد خصه الله عز وجل بمميزات فيزيائية وكيميائية فريدة، لا تتوفر في غيره من السوائل، لتحقيق هذه الوظائف الحياتية الضرورية، ومنها:

١- **الحالات الثلاث**: الماء السائل الوحيد الذي يوجد في الطبيعة في الحالات الثلاث (السائلة، والصلبة - الجليد، والغازية - بخار الماء) وبذلك يكون فعلاً مخلوقاً من أجل الحياة التي تتطلب أن يتوفر الماء فيها في هذه الحالات الثلاث المختلفة.

٢- **الوسط والمذيب المناسب**: الماء أفضل مذيب للعناصر وناقل لها، والوسط المناسب لكافة الأنشطة الحياتية والتفاعلات الكيميائية (الأيضية).

٣- **الخاصية الشعرية (التوتر السطحي)**: الماء بفضل هذه الخاصية الفريدة الناتجة عن التماسك القوي لآصرة الهيدروجين، فتوتره

السطحي يتغلب على الضغط الجوي، فيصعد من أعماق الأرض في جذور الأشجار الشاهقة الارتفاع، ويصل إلى كل ورقة منها ويغذيها! وكذلك في جسم الإنسان، فإنه من خلال الأوعية الشعرية الدقيقة جداً في جهاز الدوران يغذي كل منطقة فيها وحتى قرنية العين (Cornea)، في آلية فريدة من نوعها.

٤- **تقل كثافته عند التجمد**: يشذ الماء عن بقية السوائل التي تزداد كثافتها (وزنها) عند تحولها من الحالة السائلة إلى الحالة الصلبة، حيث إنه في درجة (٤ْ) يبدأ حجمه بالازدياد وتقل كثافته. فيكون الجليد (الماء في الحالة الصلبة) أخف وزناً من الحالة السائلة، وهذه الخاصية الفريدة تجعله يتميز بصفة (الحياة) التي منحها الله له في الآية الكريمة موضوعة البحث قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾، حيث يطفو الجليد على سطح المحيطات والبحيرات المتجمدة، ويحافظ على البيئة المائية تحته (حيوانات ونباتات)، فلو ذهبنا إلى المحيطات المتجمدة في القطبين لرأينا التجمد في الطبقات السطحية. وأما الأعماق فالمياه سائلة تسبح فيها الكائنات الحية، وتعيش فيها النباتات البحرية، كما لو أنها في أماكن أخرى اعتيادية! ولو كان غير ذلك لتجمدت جميع المحيطات وانعدمت الحياة داخلها، وكذلك لتوقفت عملية التبخير وتكوّن الأمطار، والتي تسمى دورة الماء في الطبيعة (الدورة الهايدرولوجية)، وانعكس ذلك في انعدام الحياة على اليابسة أيضاً.

٥- **العذوبة**: عندما يشرب الإنسان الماء، خاصة إذا كان عطشاناً أو مصاباً بالجفاف الشديد، فإنه يشعر بالارتياح والارتواء لعذوبته، وتعود للجسم الحيوية والنشاط الذهني والبدني، لذلك وصف القرآن الكريم هذه النعمة العظيمة والتي وهبها للإنسان في قوله تعالى:

﴿أَفَرَءَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الواقعة: ٥٦/٦٨-٧٠]، وأجاجاً أي مالحاً لا يمكن شربه، لذلك وجب الشكر الكبير لله عز وجل أن جعل الماء لذيذاً باعثاً

للارتواء، ولم يكن مالحاً غير مستساغ لايصلح للاستعمال البشري! بل جعله يحقق الارتواء والتغلب على الظمأ لعذوبته.

٦- **عديم اللون والطعم والرائحة**: إن الماء قد خلقه الله فاقداً للصفات الفيزيائية الثلاث (اللون والطعم والرائحة)، وفي ذلك فائدة عظيمة تخفى على الكثير من الناس، حيث إن الماء كما ذكرنا يدخل في تركيب جميع الأحياء والمخلوقات وبنسب متفاوتة، فلو كان له طعم أو لون أو رائحة خاصة به لاصطبغت وأخذت هذا اللون والطعم والرائحة وتأثرت به، فكانت جميعاً لها نفس لون وطعم ورائحة الماء !

وختاماً: فإن الله جلَّت قدرته كما جعل الماء من أهم وأعظم النعم للإنسان في الحياة الدنيا، فقد جعله كذلك من أول وأهم النعم الكثيرة لعباده المتقين في جنات الخلد والنعيم، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد: ١٥/٤٧]. أي ماءً غير متغير بخلاف ماء الدنيا الذي قد يتغير بعارض!

صفحة بيضاء
رقم 178

التفسير الطبي للآية رقم (٢٠) من سورة المؤمنون والآيات ذات الصلة بالموضوع

فوائد زيت الزيتون الصحية

قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْأٓكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المؤمنون: ٢٣/٢٠]

يقول القرطبي في تفسيره (مجلد ١٢ ص ١١٤): (﴿وَشَجَرَةً﴾ يريد بها شجرة الزيتون، وأفردها بالذكر لعظيم منافعها... ﴿وَصِبْغٍ لِّلْأٓكِلِينَ﴾ يراد به زيتها الذي يصبغ به الأكل. وأصل الصبغ ما يلون به الثوب. وشبه الإدام به لأن الخبز يلون بالصبغ إذا غمس فيه).

لقد ورد ذكر -الزيتون- في القرآن الكريم فضلاً عن الآية موضوعة البحث أعلاه ست مرات. أربع مرات بلفظ -الزيتون - في الآيتين ٩٩ و١٤١ من سورة الأنعام والآية ١١ من سورة النحل والآية ١ من سورة التين، ومرة واحدة بلفظ -زيتوناً - في الآية ٢٩ من سورة عبس، ومرة واحدة بلفظ -زيتونة- في الآية ٣٥ من سورة النور.

وقال رسول الله ﷺ: «كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة» رواه الترمذي وغيره وهو حديث صحيح. وكيف لا تكون شجرة الزيتون مباركة، وقد أقسم الله تعالى بها أو بأرضها (على اختلاف بين المفسرين) في قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾﴾ [التين: ٩٥/١]. وكذلك شبه الله تعالى نوره

بالنور الصادر عن زيتها بقوله تعالى: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور: ٢٤/٣٥].

إن زيت الزيتون هبة الله سبحانه وتعالى للبشرية، عرف القدماء بعضاً من فوائده، وتوصل الطب الحديث إلى البعض الآخر، وسنذكر أدناه وباختصار شديد قسماً منها:

١- **مؤتمر روما الطبي**: لأول مرة في تاريخ الطب عُقِدَ في روما مؤتمرٌ عالميٌّ تحت شعار (زيت الزيتون وغذاء البحر المتوسط)، بتاريخ ٢١-٤-١٩٩٧م، ضم أشهر الأطباء الذين استعرضوا أحدث الأبحاث العلمية في فوائد زيت الزيتون، خاصة في بلدان حوض البحر المتوسط، وأكدوا في توصياتهم أن زيت الزيتون يسهم في الوقاية من أمراض الشرايين القلبية والدماغية وارتفاع ضغط الدم وداء السكر والبدانة، وكذلك من الإصابة ببعض السرطانات، وذلك من خلال غناه بالأحماض الدهنية غير المشبعة والوحيدة (Monoploy unsaturated Fatty Acids)، ومضادات الأكسدة (Antioxidants). وهذه المركبات تعمل على التقليل من الدهونات غير الحميدة كالكولستيرول الضار (LDL)، وزيادة الدهون الحميدة كالكولستيرول النافع (HDL) وبالتالي تمنع حدوث تصلب الشرايين (Atherosclerosis). وقد أشارت الدراسات العلمية إلى أن الإصابة بهذه الأمراض في بلدان حوض البحر المتوسط أقل كثيراً منها في بلدان أوربا الشمالية وأمريكا. وتوصل الباحثون في المؤتمر المذكور إلى أن السبب في ذلك يعود إلى كثرة استهلاك زيت الزيتون عند سكان البحر المتوسط، بدلاً من المارجرين والزبدة وأمثالهما.

٢- **أمراض القلب**: يوفر زيت الزيتون وقاية جيدة من تصلب الشرايين للأسباب المذكورة أعلاه. لذلك تقل الإصابة بأمراض القلب عند الذين يتناولونه في غذائهم. ويقول الدكتور (أهرنس) من جامعة كوفلر في نيويورك: (إننا ندرك تماماً أن استعمال سكان حوض البحر المتوسط لزيت الزيتون كمصدر أساس في غذائهم، هو السبب وراء ندرة إصابتهم بمرض الشرايين القلبية).

٣- **أمراض الجهاز الهضمي**: إن زيت الزيتون مادة مغذية ذات تأثير ملين (مضاد للإمساك)، ويمكن استعماله كذلك كحقنة شرجية لمعالجة الإمساك الناتج عن الكتل البرازية أو انفتال الأمعاء. وكذلك يقي من الإصابة بتقرحات المعدة والإثني عشر عن طريق حمايته للغشاء المخاطي لهما، ويقضي على الجرثومة المسببة لهذه التقرحات (هايلوباكتر بايلوري) (H.pylori)، والتي لها علاقة أيضاً بالإصابة بسرطان المعدة.

٤- **أمراض الكبد والمرارة**: يزيد زيت الزيتون من نشاط وظائف الكبد، ويساعد على قدرته في إزالة السمية (Detoxification)، ويمنع تشحم خلاياه، لذلك ينفع في علاج الكبد الدهني (Fatty Liver).

٥- **ويعتبر زيت الزيتون مفرغاً ومنشطاً لصفراء الكبد** الذي يخزن في كيس المرارة، وينفع المصابين بالرمال الصفراوية المرارية ويمنع تكوينها، وكذلك يفيد في إفراغ الرمال البولية، ويمنع تكوينها أيضاً بنفس الطريقة.

٦- **أمراض السرطان**: يحافظ زيت الزيتون على الخلية العادية، ويمنعها من التحول إلى سرطانية.! فقد أكدت العديد من الدراسات أنه يقي من سرطان الجلد والقولون والمعدة والرحم والمبيض، وكذلك سرطان الثدي، حيث وجد أن النساء اللواتي يتناولونه يومياً تقل عندهن الإصابة بسرطان الثدي بنسبة ٤٥٪ مقارنة باللواتي لا يتناولنه بانتظام!

٧- **أمراض المفاصل والعضلات**: يعتبر زيت الزيتون علاجاً مناسباً لالتهاب المفاصل الروماتزمي والعظمي، والالتواءات والتورمات الجلدية، والتشنجات العضلية، عن طريق استعماله كدهان موضعي، كما يستخدم من قبل الرياضيين لتليين العضلات والمفاصل.

٨- **أمراض الجلد**: يحافظ زيت الزيتون على ليونة الجلد ويمنع سقوط الشعر، وهو علاج فعال لقشرة الرأس، ويقتل القمل الموجود فيه إذا وضع على فروة الرأس لعدة ساعات، وله تأثير عجيب على البشرة وصحة الجلد بشكل عام.

هذا غيض من فيض عن فوائد زيت الزيتون، ونحن متأكدون أن الطب الحديث سيكتشف فوائد أخرى مستقبلاً، كلما تقدمت العلوم والمعارف!

وصدق رسول الله ﷺ بقوله: «كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة»[١].

(١) الترمذي في السنن ٣/٢٥٠ برقم (١٨٥٢)، ومسند أحمد ٢٥/٤٥٢ برقم (١٦٠٥٦)، وقال الألباني: صحيح.

مراحل خلق الإنسان والجنين

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ۝١٤﴾

لقد ذكر القرآن الكريم مراحل خلق الإنسان، سواء بالنسبة لخلقه الأول متمثلاً بسيدنا آدم عليه السلام، أو خلق ذريته من بعده، وذلك في آيات كثيرة، أوجز في قسم منها وفصل في القسم الآخر، في أسلوب بليغ غاية في الإعجاز. ونحن إذا جمعنا هذه الآيات ودرسناها مع بعضها، اكتملت الصورة ووضحت المراحل، حيث جاءت البحوث العلمية في أصل الإنسان ومراحل خلقه في بطن أمه متطابقة مع ما ذكره اللّه تعالى في كتابه الكريم. سنتطرق في تفسيرنا أولاً إلى أوليات خلق الإنسان (علم أصل الإنسان)، وثانياً إلى مراحل نموه في رحم أمه (علم الجنين).

مراحل وأوليات خلق الإنسان (سيدنا آدم عليه السلام)

١. الماء: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ۝٥٤﴾ [الفرقان: ٢٥/٥٤].

٢. التراب: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ۝٢٠﴾ [الروم: ٣٠/٢٠].

٣. الطين: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢﴾ [المؤمنون: ٢٣/١٢].

٤. الطين اللازب: ﴿إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: ٣٧/١١].

٥. الصلصال الحمأ المسنون: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٦﴾ [الحجر: ١٥/٢٦].

٦. الصلصال كالفخار: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤﴾ [الرحمن: ٥٥/١٤].

ففي الآية الأولى يشير القرآن إلى خلق الإنسان من الماء، ويشير في الثانية إلى التراب، ثم في الثالثة إلى سلالة من طين (الطين هو مزيج من الماء والتراب)، وفي الرابعة إلى الطين اللازب (أي اللزج وهو مزيج التراب والماء حديثاً)، وفي الخامسة من صلصال من حمأ مسنون (وهو الطين اليابس المتعفن المتغير الذي مضت عليه سنون عدة)، والسادسة من صلصال كالفخار (وهو الطين المحروق المتحجر).

يقول الإمام الرازي: اعلم أنه سبحانه لما أمر بالعبادات في الآية المتقدمة، والاشتغال بعبادة الله لا يصح إلا بعد معرفة الإله الخالق، لا جرم عقبها بذكر ما يدل على وجوده، واتصافه بصفات الجلال والوحدانية، فذكر من الدلائل أنواعاً:

النوع الأول: الاستدلال بتقلب الإنسان في أدوار الخلقة وأكوان الفطرة وهي تسعة:

المرتبة الأولى: قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ والسلالة الخلاصة لأنها تسل من بين الكدر، واختلف أهل التفسير في الإنسان، فقال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومقاتل: المراد منه آدم عليه السلام فآدم سل من الطين، وخلقت ذريته من ماء مهين، ثم جعلنا الكناية راجعة إلى الإنسان الذي هو ولد آدم، والإنسان شامل لآدم عليه السلام ولولده، وقال آخرون: الإنسان إنما يتولد من النطفة، وهي إنما تتولد من فضل الهضم الرابع، وذلك إنما يتولد من الأغذية، وهي إما حيوانية وإما نباتية، والحيوانية تنتهي إلى النباتية، والنبات إنما يتولد من صفو الأرض والماء، فالإنسان بالحقيقة يكون متولداً من سلالة من طين، ثم إن تلك السلالة بعد أن تواردت على أطوار الخلقة وأدوار الفطرة صارت منياً، وهذا التأويل مطابق للفظ ولا يحتاج فيه إلى التكلفات.

المرتبة الثانية: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾ ومعنى جعل الإنسان نطفة، أنه خلق جوهر الإنسان أولاً طيناً، ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة في أصلاب الآباء، فقذفه الصلب بالجماع إلى رحم المرأة، فصار الرحم قراراً مكيناً لهذه النطفة، والمراد بالقرار موضع القرار وهو المستقر، فسماه بالمصدر ثم وصف الرحم بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها، كقولك طريق سائر. أو لمكانتها في نفسها، لأنها تمكنت من حيث هي وأحرزت.

المرتبة الثالثة: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ أي حولنا النطفة عن صفاتها إلى صفات العلقة، وهي الدم الجامد.

المرتبة الرابعة: قوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ أي جعلنا ذلك الدم الجامد مضغة أي قطعة لحم، كأنها مقدار ما يمضغ، كالغرفة وهي مقدار ما يغترف، وسمي التحويل خلقاً لأنه سبحانه يُفني بعض أعراضها ويخلق أعراضاً غيرها، فسمى خلق الأعراض خلقاً لها، وكأنه سبحانه وتعالى يخلق فيها أجزاء زائدة.

المرتبة الخامسة: قوله: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ أي صيّرناها كذلك.

المرتبة السادسة: قوله تعالى: ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا﴾ وذلك لأن اللحم يستر العظم فجعله كالكسوة لها.

المرتبة السابعة: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ أي خلقاً مبايناً للخلق الأول مباينة ما بعدها، حيث جعله حيواناً وكان جماداً، وناطقاً وكان أبكم، وسميعاً وكان أصم، وبصيراً وكان أكمه، وأودع باطنه وظاهره، بل كل عضو من أعضائه، وكل جزء من أجزائه عجائب فطرة، وغرائب حكمة، لا يحيط بها وصف الواصفين، ولا شرح الشارحين، وروى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هو تصريف الله إياه بعد الولادة في أطواره في زمن الطفولية وما بعدها إلى استواء الشباب، وخلق الفهم والعقل وما بعده إلى أن يموت، ودليل هذا القول أنه عقبه بقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾﴾ وهذا المعنى مروي أيضاً عن ابن عباس وابن عمر، وإنما قال: ﴿أَنشَأْنَـٰهُ﴾ لأنه جعل إنشاء الروح فيه، وإتمام خلقه إنشاء له.

المرتبة الثامنة: الموت، وهي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾.

المرتبة التاسعة: قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ فالله سبحانه جعل الإماتة التي هي إعدام الحياة، والبعث الذي هو إعادة ما يفنيه ويعدمه، دليلين أيضاً على اقتدار عظيم بعد الإنشاء(١).

والآن ماذا يقول العلم الحديث عن ذلك!؟

يقول إنه لو أرجعنا الإنسان إلى عناصره الأولية لوجدنا في تركيبته نحو ٢٢ عنصراً، تتوزع على الشكل الآتي:

١. الأوكسجين والهيدروجين على شكل الماء وبنسبة ٦٥-٧٠٪ من وزن الجسم.

٢. الكاربون والأوكسجين والهيدروجين التي تشكل أساس المركبات العضوية مثل السكريات والدهنيات والبروتينات والهرمونات والفيتامينات وغيرها.

(١) التفسير الكبير، محمد فخر الدين الرازي، ١٢/٨٧.

٣. العناصر الجافة والتي يمكن تقسيمها إلى:

أ) سبع عناصر أساسية والتي تشكل ٦٠-٨٠٪ منها وهي (الكلور والكبريت والفوسفور والكالسيوم والمغنيسيوم والصوديوم والبوتاسيوم).

ب) سبع عناصر أخرى بنسبة أقل وهي (الحديد والنحاس واليود والمنغنيز والكوبلت والتوتياء والمولبيديوم).

ج) ستة عناصر بشكل زهيد وهي (الفلور والألمنيوم والبورينيوم والسلينيوم والكادميوم والكروم).

وجميع هذه العناصر موجودة في تراب الأرض، ولا يشترط أن تكون كل مكونات التراب داخلة في تركيبة جسم الإنسان، فهناك أكثر من ١٠٠ عنصر في الأرض، بينما لم يكتشف سوى ٢٢ عنصراً في تركيب جسم الإنسان، وقد أشار القرآن إلى ذلك حيث يقول تعالى ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ **أي من خلاصة من طين وليس من كل مكونات الطين**، وفي ذلك إعجاز علمي بليغ قال تعالى: ﴿ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾.

كذلك فإن تركيب الحمض النووي DNA (الذي هو أساس تكوين الإنسان) يحتوي على الشيفرة الوراثية للإنسان، والذي من خلال اكتشافه في منتصف القرن العشرين تم التعرف على الكثير من المعلومات حول كيفية تخزين وحفظ المعلومات الوراثية، وكيفية نقلها من جيل لآخر، والموجود في نواة كل خلية من جسم الإنسان على شكل سلاسل تسمى الكروموسومات (الصبغيات)، وتكون ما يسمى بالإنسان المصغر (الإنسان الجيني)!.

ويتكون الحمض النووي (DNA) من سلسلة من وحدات كيميائية تسمى بـ النيكلوتيدات، ويتكون كل نيوكلوتيد من ثلاث مكونات رئيسية:

١- جزيء سكر خماسي (رايبوز).

٢- فوسفات.

٣- قاعدة نيتروجينية (بيورينات وبيرمدينات).

وهذه الكيماويات موجودة في الطبيعة، ويمكن استخراج مكوناتها الأساسية من الطين.

فالتراب والماء يحتوي على العديد من المعادن والمكونات التي نجدها في الحمض النووي للإنسان:

١ - السكر يتركب من الكربون (C) الموجود في التراب، ومن هيدروجين (H) وأكسجين (O) من الماء.

٢- معدن الفوسفات (P) من المواد الوفيرة في التراب، ويوجد عادة في صخور الأباتايت والتي ترسبت بدورها من حمم بركانية.

٣- النيتروجين (N) مصدر المواد القلوية التي تشكل العمود الفقري للحمض النووي.

فإذن: إن المكونات الأساسية للحمض النووي (DNA) الذي هو أساس تكوين الإنسان، موجودة في التراب والماء (الطين)، الذي خلق منه الإنسان أصلاً، والذي أشار إليه القرآن من خلال ذكر مراحل الخلق مختصراً. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩﴾ [السجدة: ٣٢/٧-٩].

لقد ذكر القرآن الكريم مراحل خلق الإنسان سواء بالنسبة لخلقه الأول متمثلاً بسيدنا آدم عليه السلام (علم أصل الإنسان)، أو خلق ذريته من بعده (علم الأجنة)، وذلك في آيات كثيرة.

سنتطرق في تفسيرنا إلى:

أولاً: مراحل وأوليات خلق الإنسان: (سيدنا آدم عليه السلام) (علم أصل الإنسان)

الذي ذكرناه في معرض تفسيرنا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢﴾ [المؤمنون: ٢٣/١٢] (أعلاه).

ثانياً: مراحل خلق الإنسان ونموه في رحم أمه (علم الأجنة)

حيث ذكر القرآن الكريم هذه المراحل في العديد من آياته المباركات التي ناهزت نحو ٤٠ آية، كما هو موضح في الجدول أدناه:

اسم السورة	رقم الآيات	اسم السورة	رقم الآيات	اسم السورة	رقم الآيات
البقرة	٢٥٩	المؤمنون	١٣، ١٤	الحجرات	١٣
آل عمران	٦	الفرقان	٥٤	النجم	٤٥، ٤٦
النساء	١	لقمان	٣٤	الواقعة	٥٨
الأنعام	٢، ٩٨	السجدة	٨ ، ٩	القيامة	٣٧،٣٨،٣٩
الأعراف	١١، ١٧٢	فاطر	١١	الإنسان	٢
الرعد	٨	يس	٧٧	المرسلات	٢٠،٢١،٢٢
النحل	٤،٧٢،٧٨	الزمر	٦	عبس	١٨، ١٩
الكهف	٣٧	غافر	٦٧	الطارق	٥، ٦
الحج	٥	الشورى	٤٩	العلق	٢

وسنذكر في تفسيرنا أدناه وبصورة مختصرة أهم هذه المراحل التي جاء علم الأجنة الحديث (Embryology) وأقرها، وشهد بصحتها كثير من علماء التشريح وعلم الأجنة، من أشهرهم الدكتور (كيث مور Keith Moore) رئيس هذا القسم في جامعة تورنتو في كندا، فقد ألف كتاباً يعتبر من أهم المراجع الطبية في هذا الاختصاص بعنوان (علم الأجنة السريري وتخليق الإنسان)، وضمنه في طبعته الثالثة (١٩٨٣م) هذه المراحل المذكورة في القرآن، وربط كل فصل من فصول الكتاب بالآيات والأحاديث المتعلقة بعلم الجنين قائلاً:

(إنني أشهد بإعجاز الله في خلق الجنين الذي ذكره الله في القرآن الكريم في كل طور من أطواره، والتي لم تكتشف إلا في الجزء الأخير في القرن العشرين، وأؤكد على أن كل شيء قرأته في القرآن الكريم عن نشأة الجنين وتطوره في داخل الرحم ينطبق على كل ما أعرفه في علم الأجنة).

تنقسم مراحل خلق الجنين إلى قسمين رئيسين هما:

مرحلة (التخليق) وتستغرق ٧-٨ أسابيع (المرحلة الجنينية).

ومرحلة (النشأة) وتستغرق عدة أشهر(المرحلة الحميلية).

وتنقسم مرحلة التخليق كما جاء ذكرها في القرآن الكريم إلى المراحل الآتية:

١. النطفة

٢. العلقة

٣. المضغة

٤. العظام

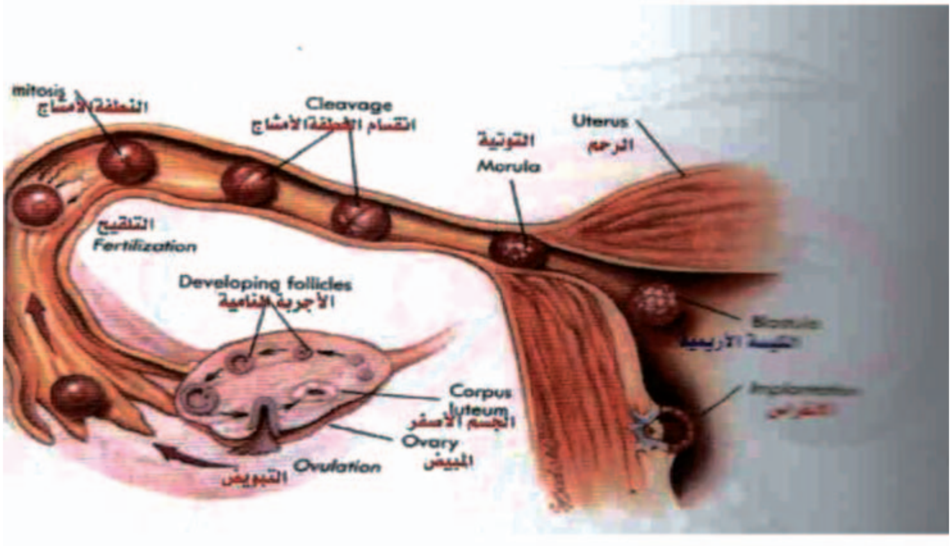
٥. إكساء العظام باللحم

وسنبين أدناه وباختصار شديد هذه المراحل ومدة كل منها:

١- **مرحلة النطفة**: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ١٣﴾ وهي من التلقيح إلى الانغراس في بطانة الرحم، وتستغرق نحو ٧ أيام (الأسبوع الأول)، بعد التقاء نطفة الرجل (الحيوان المنوي) مع نطفة المرأة (البويضة). وتتكون البويضة المخصبة (الزايكوت)، وأطلق عليها القرآن الكريم (النطفة الأمشاج) أي خليط من ماء الرجل وماء المرأة، وذلك في قوله تعالى:

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ٢﴾ [الإنسان: ٧٦/٢]، وقوله ﷺ عندما سأله اليهودي من أي شيء يخلق الإنسان فأجابه: «**من كل يخلق، من نطفة الرجل ونطفة المرأة**» رواه الإمام أحمد في مسنده. وهذا بحد ذاته إعجاز علمي وسبق قرآني ونبوي. حيث كان الاعتقاد حتى القرن الثامن عشر بأن الجنين موجود بصورة مصغرة وكاملة في البويضة أو في الحيوان المنوي للرجل!!

وتتم عملية التلقيح عادة في قناة الرحم (قناة فالوب)، حيث تزحف الزايكوت متدحرجة وتقع في بطانة الرحم وتنغرس فيه كما في الشكل أدناه:



ويكون الانغراس عادة في القسم العلوي الخلفي من بطانته ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾، وهو وصف دقيق جداً ومعجز لهذا المكان، وذكره القرآن الكريم للأسباب الآتية:

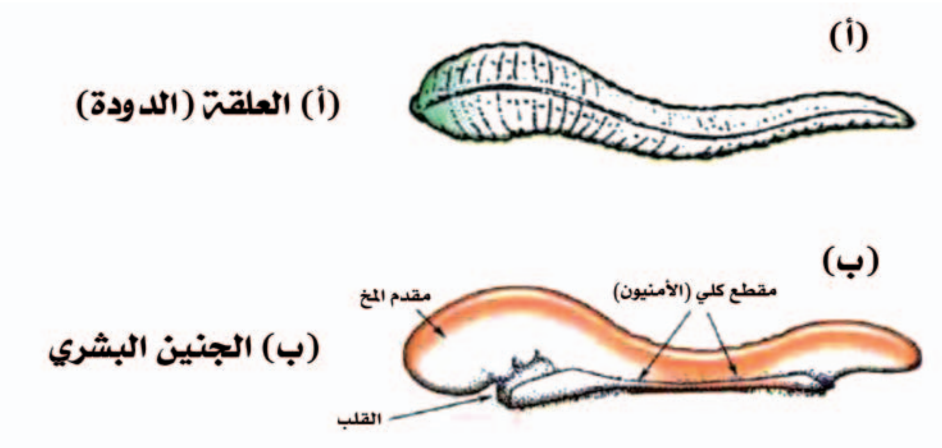
أ) أن هذه المنطقة هي أفضل وآمن المناطق في الرحم محافظة على الزايكوت.

ب) يكون الجدار الرحمي قد تهيأ لاستقبال الزايكوت، بتحوله من الدور الإنمائي إلى الدور الإفرازي، ليكون أرضية صالحة لنموها.

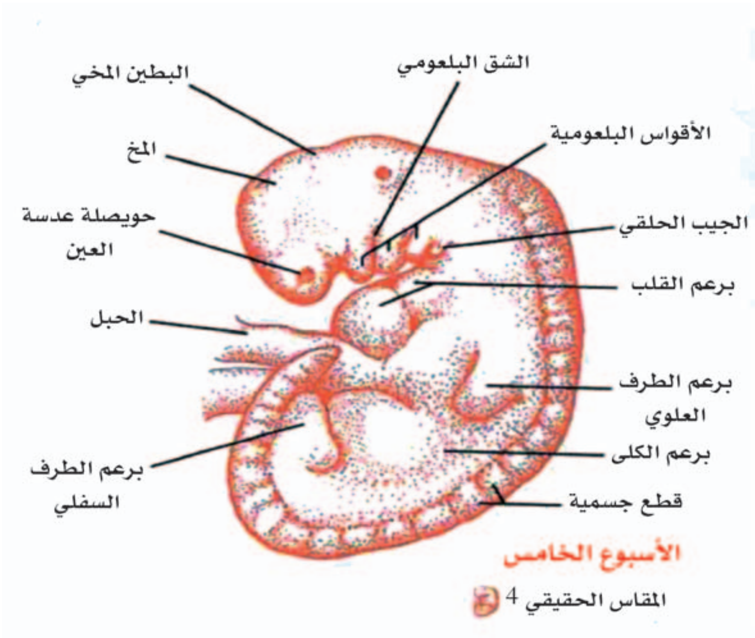
ج) يكون الرحم محاطاً بصندوق عظمي قوي (الحوض)، ومبطناً بالعضلات والأوتار من كل الجوانب، لحماية هذا المكان (المصنع) الذي سيتخلق فيه الجنين من التأثيرات الخارجية والداخلية المؤذية.

٢- **مرحلة العلقة**: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ حيث بعد استقرار النطفة في جدار الرحم بفترة، يدخل الجنين في مرحلة العلقة لتعلقه به وتغذيته من دمائه. ويُشَبَّه الجنين في هذه المرحلة شكلاً بدودة

(العلق)، وهي دودة تعيش في المياه الآسنة وتمتص الدم إذا شربتها الدابة، حيث تتعلق بحلقها وتتغذى على الدم الممتص منها. وهذا تشبيه قرآني دقيق لهذه المرحلة التي يتراوح عمر الجنين فيها ما بين بداية الأسبوع الأول وحتى نهاية الأسبوع الثالث، ويبلغ طوله (٠,٦ملم) مليمتر كما في الشكل أدناه:



٣- **مرحلة المضغة**: في قوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ حيث إن الجنين في هذه المرحلة يشبه المضغة، إذ بعد يومين أو ثلاثة أيام من المرحلة السابقة (العلقة) تظهر فيه انتفاخات وتجاعيد غير منتظمة، وتشكل بدايات الكتل البدنية وبراعم أعضائه الداخلية. ولا يمكن أن يوصف الشكل الخارجي إلا بالمضغة، التي تعني اللقمة الممضوغة وعليها آثار الأسنان. وفي هذه المرحلة تكون بعض خلاياه قد تخصصت وتحولت إلى خلايا عصبية وعضلية وعظمية وغيرها، وبعضها لم يتخصص في إشارة إعجازية إلى الخلايا الجذعية Stem Cells في قوله تعالى: ﴿مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: ٢٢/٥]. ويبلغ طول الجنين في هذه المرحلة ما بين ٣-٥ ملم، وذلك في الأسبوع الرابع من عمره، وتنتهي هذه المرحلة قبيل نهاية الأسبوع السادس حيث تبدأ المرحلة الآتية وهي مرحلة العظام، كما في الشكل التالي:



٤- **مرحلة العظام**: في قوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ أي إن العظام تخلق بعد هذه المرحلة، فتختفي الانتفاخات وتتحول إلى أعضاء جسمية، كالأطراف العليا والسفلى والعمود الفقري وغيرها، حيث يتخلق هيكله العظمي الغضروفي بداية الأسبوع السابع.

٥- **مرحلة الإكساء باللحم**: في قوله تعالى: ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ حيث إن كلمة اللحم معناها العضلات، التي تبدأ مباشرة بعد المرحلة السابقة في إكسائها للعظام، وفي ذلك إعجاز قرآني آخر في أن خلق العظام يكون قبل خلق العضلات كما قرره علم الأجنة.

وبعد إكساء العظام باللحم تنتهي مرحلة التخليق، وذلك في نهاية الأسبوع السابع من تلقيح البويضة، وطوله ١١ملم، وقد اكتمل خلق الجنين وتكونت وخلقت جميع أعضائه، وتبدأ بعدها مرحلة النشأة بالمصطلح القرآني، ويسميها علماء الأجنة بالمرحلة الحميلية. وهذا مصداقاً لقوله ﷺ: «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون يوماً- وفي رواية خمسة وأربعون يوماً- بعث الله ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يارب أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء

ويكتب الملك»[١]. وهذا ما أثبته أيضاً الجديد في علم الأجنة والجينات، حيث إن جنس الجنين يتحدد نهائياً في هذه المدة، فوق ظهور شكله الآدمي، مقارنة بغيره من المخلوقات التي تتشابه فيما بينها، ولا يمكن تميزها جنينياً قبل هذه المرحلة كما في الصورة الآتية:



الصورتان الحقيقيتان مأخوذتان من كتاب From Concepion to Brith

تطابق علم الأجنة مع الحديث النبوي الشريف[٢]

٦-مرحلة النشأة: وهي مرحلة النمو(المرحلة الحميلية)، وتستغرق عدة أشهر: وإن ما يحدث بعد اليوم الثاني والأربعين من عمر الجنين، هو تصوير وتعديل ونمو مطرد وسريع، وتنسيق لأجهزة الجسم بصورة أكمل، فيتغير الخلق خلقاً بعد خلق بتنسيق خالق مصور قدير، وهذا هو دور النشأة الذي يأتي بعد دور إكساء العظام باللحم (العضلات)، الذي يعتبر الحد الفاصل بين المرحلة الجنينية والحميلية! حيث يقول تعالى: ﴿ثُمَّ

(١) رواه مسلم في صحيحه ٢٠٣٧/٤ برقم (٢٦٤٥).
(٢) كتاب (بينات الرسول ﷺ ومعجزاته، تأليف: الشيخ عبد المجيد الزنداني، طباعة مركز البحوث بجامعة الإيمان صنعاء (٢٠٠٤م).

أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾. وتستغرق هذه المرحلة عدة أشهر، من نهاية الأسبوع الثامن حيث ينمو الجنين (الحميل) ببطء، إلى الأسبوع الثاني عشر، ثم ينمو بسرعة كبيرة حتى نهاية الحمل وحصول الولادة.

فسبحان اللّه تعالى المصور أحسن الخالقين، الذي سبر أغوار الجنين الذي هو الشيء الخفي (من الجن الذي لايرى!!)، وحصل التطابق الدقيق بين مراحل التخليق على وفق أحدث ما توصل إليه علم الأجنة، وبين كلام الخالق عز وجل! أليس هذا دليلاً علمياً واضحاً على أن القرآن الكريم هو كلام الخالق العظيم!؟

صفحة بيضاء

رقم 196

الفطرة البشرية

قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

يقول ابن كثير في تفسيره للآية أعلاه: "فسدد وجهك واستمر على شرعة اللّه لك من الحنيفية ملة إبراهيم، التي هداك اللّه إليها، وكملها لك غاية الكمال، **وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره كما تقدم عند قوله تعالى:** ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۛ﴾ [الأعراف: ٧/١٧٢]. وفي الحديث قوله ﷺ: «**إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم**» رواه مسلم.

لقد تبين للباحثين في وظائف الدماغ بأنه مخلوق من الوجهة التشريحية والكيميائية الحياتية والمعرفية على الإيمان باللّه والاستعداد للشعور الديني! وكما تبين أيضاً وجود مناطق في الدماغ منوط فيها هذا الشعور، ويمكن تسجيلها ومراقبة نشاطها في أجهزة حديثة، مثل الرنين المغناطيسي الوظيفي (fMRI)، حيث أطلق عليها مصطلح مراكز الإيمان (Faith Centers)!

وكذلك توصل باحثون آخرون منهم الدكتور جاستون باريت (Dr. Justin Barrett)، من مركز علم الإنسان والعقل في جامعة أكسفورد في بريطانيا، إلى أن الأطفال يولدون مؤمنين بالله، ولديهم القابلية المسبقة للإيمان بالخالق، ويعتبرون أن كل ما في هذا العالم مخلوق بسبب، حتى إذا لم يتم تلقيهم ذلك عبر الأهل أو المدرسة، وحتى إذا نشؤوا بمفردهم على جزيرة صحراوية! فإنهم سيتوصلون للإيمان بالله ذاتياً، حيث إن العقول الناشئة للأطفال وبشكل طبيعي تجعلهم يميلون للإيمان بالله، وقد نشرت صحيفة التلغراف البريطانية نتائج بحثه بتاريخ نوفمبر ٢٠٠٨م تحت عنوان: **الأطفال يولدون مؤمنين بالله !!**

Children are born believers in God!!

وهكذا بدأت العلوم الطبية في كافة تخصصاتها في إثبات ما ذكره القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، بخصوص الفطرة البشرية التي خلقها الله على الحنيفية (عقيدة التوحيد)، كما في الآية موضوعة البحث أعلاه وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢/٧].

وكذلك قوله ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة. فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[(١)].

وقوله ﷺ أيضاً: «**إني خلقت عبادي حنفاء - أي على التوحيد وأنه لا إله الا الله- وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم -أي أضلتهم**»[(٢)].

---

(١) وروله البخاري في صحيحه ١٠٠/٢ برقم (١٣٨٥) ومسلم في صحيحه ٢٠٤٧/٤ برقم (٢٦٥٨)

(٢) رواه مسلم في صحيحه٢١٩٧/٤ برقم (٢٨٦٥) ورواه الإمام أحمد في المسند ٢٩/ ٣٢ برقم (١٧٤٨٤)

التفسير الطبي للآية رقم (٦) من سورة الزمر

الظلمات الثلاث

قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾

فقوله تعالى: ﴿خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾، أي يخلقكم في أرحام أمهاتكم طوراً من بعد طور، كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [نوح: ٧١/١٤].

وقد فصلنا ذلك في موضوع مراحل وأطوار خلق الجنين من خلال التفسير الطبي للآيات ١٢ -١٤ من سورة المؤمنون (النطفة-العلقة-المضغة-العظام-الإكساء باللحم-النشأة) (راجع ص١٨٩-١٩٥).

وللمفسرين أقوال عديدة في تفسير الظلمات الثلاث، منها: ظلمة البطن وظلمة الرحم؛ وظلمة المشيمة؛ قاله مجاهد وقتادة والضحاك.

وقال سعيد بن جبير: ظلمة المشيمة، وظلمة الرحم وظلمة الليل.

وقال أبو عبيدة: ظلمة صلب الرجل، وظلمة بطن المرأة؛ وظلمة الرحم، والرحم داخل البدن والمشيمة داخل الرحم.

قال ابن الأعرابي: يقال لما يكون فيه الولد المشيمة والكيس والغلاف؛ والجمع مشيم بحذف الهاء، ومشايم، ويقال لها من غيره السلى[1].

(١) انظر: فتحُ البيان في مقاصد القرآن للقنوجي، ١٢/٨٣.

أما التفسير الطبي لقوله تعالى: ﴿فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ فقد وجد أن للظلمة دوراً كبيراً في نمو الجنين داخل الرحم، خاصةً جهازه العصبي، فالضوء يعيق نموه، وقد يسبب إتلاف شبكية العين. لذلك تكون أجفان الجنين مغلقة أيضاً ولا تفتح إلا قبيل الولادة! ثم إن من المعروف فسلجياً أن عمليات البناء (Anabolism) في الإنسان تتم في الليل أثناء النوم (عادة في الظلام)، وعمليات الهدم (Catabolism) تكون في النهار أثناء اليقظة (عادة في الضوء)، والجنين في الرحم يكون في نوم مستمر تقريباً، لأنه في حالة نمو سريع ومطرد، لذلك فإنه يحتاج للظلمة لإكمال ذلك!

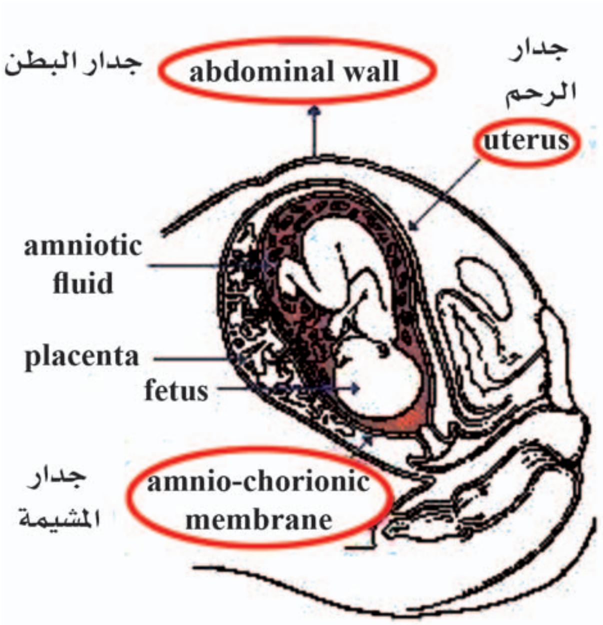
أما الظلمات الثلاث فهيَ والله أعلم:

١- جدار البطن

٢- جدار الرحم

٣- جدار الأغشية المتعلقة بالمشيمة

كما في الشكل أدناه:



وتتألف كل من هذه الجُدُر تشريحياً من ثلاث طبقات أيضاً!

فجدار الأغشية المتعلقة بالمشيمة يتألف من: الغشاء الأمينوسي والكوريوني والساقط.

وجدار الرحم يتألف من: الطبقة الداخلية المبطنة والطبقة العضلية والطبقة الخارجية (الغشاء السيروزي).

وجدار البطن (من الداخل والخارج) يتألف إجمالاً من: الطبقة العضلية والطبقة الدهنية والجلد.

وهناك رأي آخر في كون الظلمات الثلاث هي: المبيض وقناة فالوب (التي تربط المبيض بالرحم) والرحم، وهي ثلاث متفرقات في أماكن مختلفة! أما الرأي الأول، فإنه يشير إلى ظلمة واحدة متراكبة في مكان واحد تحيط به طبقات متعددة! وهذا الرأي الذي نرجحه لأن معظم المفسرين قالوا به. فقد ذكر إمام المفسرين ابن جرير الطبري في تفسير الظلمات الثلاث (يعني في ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة). وهو قول ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك. وورد ذلك أيضاً عن ابن كثير والقرطبي والآلوسي في تفاسيرهم.

فالخلاصة: إن جدار البطن يحتوي على الرحم، وجدار الرحم يحتوي على المشيمة التي تحيط الجنين بأغشيتها الثلاث التي هي جزء منها، ولم يتوصل الطب إلى اكتشافها إلا مؤخراً خاصة بواسطة آلات التنظير الداخلي. والحمد لله رب العالمين على بديع صنعه ودقة تعبيره!

صفحة بيضاء
رقم 202

التفسير الطبي للآية رقم (١٥) من سورة الأحقاف

الحمل والفصال ثلاثون شهراً والكمال في الأربعين سنة

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾

تشير هذه الآية الكريمة إلى موضوعين طبيين مرتبطين بزمنين مختلفين من مراحل نمو الإنسان، أولهما قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ﴾، وثانيهما قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾، وسنتطرق في تفسيرنا الطبي بإيجاز عن ذلك.

ونبدأ أولاً بالتفسير الشرعي، قال الإمام الواحدي: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ﴾ المعنى: أمرناه بالإحسان إليهما... ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ﴾ يريد: أن مدة حمله إلى أن فصل من الرضاع، كانت هذا القدر، روى عكرمة، عن ابن عباس، أنه قال: إذا حملت المرأة تسعة أشهر، أرضعته واحدًا وعشرين شهرًا، وإذا حملته ستة أشهر، أرضعته أربعة وعشرين شهرًا.

وقال مقاتل، وعطاء، والكلبي، عن ابن عباس: هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق ﵁، وكان حمله وفصاله هذا القدر، ويدل على صحة هذا قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ إلى آخر الآية، وقد علمنا أن كثيرًا من الناس ممن بلغ هذا المبلغ لم يكن منه هذا القول، وهو من ذكر الله تعالى عنه ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ إلى آخر الآية، فدل على أنه إنسان بعينه، وهو أبو بكر الصديق ﵁، ومعنى قوله: بلغ أشده قال عطاء: يريد ثماني عشرة سنة[١].

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾

من الواضح في هذه الآية الكريمة أنها في صدد الحمل، الذي ينتهي بمولود حي يصلح للعيش، بحيث يكبر ويصير مكلفاً، يتلقى وصية الله تعالى بالوالدين ويبلغ أشده. فمثل هذا الحمل مع الرضاع له مدة محدودة وهي ثلاثون شهراً. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في هذا السياق في آية أخرى، أن الرضاع لايكون أكثر من حولين قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان: ٣١/١٤]. وبناءً على ذلك، فإن الحمل الذي يعيش مولوده قد يكون في ستة أشهر منه. وأول من استنبط ذلك من القرآن هو الإمام علي بن أبي طالب ﵁، حسب الروايات التي ينقلها المفسرون. وقد أثبت ذلك علم طب الأطفال والخدج، خاصة بعد توفر العناية المركزة بالأطفال حديثي الولادة (الخدج).

وقد يستدل بالآية أعلاه أيضاً على أن أقل الرضاعة ما يتمم مع الحمل ثلاثين شهراً. أي كلما كانت فترة الحمل أقصر كانت فترة الرضاعة أطول، ربما لحاجة المولود إلى ذلك. فمثلاً إذا ولدت المرأة لتسعة أشهر كفاها من الرضاعة واحد وعشرون شهراً، وإذا ولدت لسبعة أشهر كفاها من الرضاع ثلاث وعشرون شهراً، وإذا وضعت لستة أشهر فحولين كاملين لأن الله تعالى

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي النيسابوري، ٤/١٠٧.

يقول: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾، وهذا ما قال به ابن عباس رضي الله عنهما كما رواه ابن أبي حاتم وغيره، وجاء ذلك في (الدر المنثور) للسيوطي ج٧، ص٤٤٢.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾

إن في سن الأربعين من عمر الإنسان يحصل اكتمال القوى البدنية والعقلية، وقد كان يعتقد سابقاً أن ذلك يكون في السن ٢١ من عمره، حيث يتوقف نمو الدماغ في هذا السن. ولكن الأبحاث الطبية الجديدة في وظائف الدماغ وفي نموه خاصة باستعمال جهاز الرنين المغناطيسي الوظيفي (fMRA)، أظهرت أن الدماغ يستمر في النمو خاصة في منطقة مقدمته (الناصية) (Prefrontal lobe)، وهي المنطقة المسؤولة عن المنطق والسلوك واتخاذ القرارات والتفاعل الاجتماعي، وهي التي تميز البشر عن بقية المخلوقات، حيث إن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يملكها، حيث يستمر النمو خلال الثلاثينات حتى سن الأربعين من عمر الإنسان، فيصل إلى اكتمال القوة البدنية والعقلية. وقد ورد في تفسير الجلالين ص٣٩٩ لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ [الحج: ٢٢/٥]. قوله: (أي الكمال والقوة وهو ما بين الثلاثين والأربعين سنة) وقد يكون من تلك الحكمة أن معظم الأنبياء والرسل ومنهم سيدنا محمد ﷺ قد بعثوا إلى أقوامهم في هذه السن!. والله تعالى أعلم متى وحيث يجعل رسالته.

صفحة بيضاء
رقم 206

التفسير الطبي للآية رقم (١٦) من سورة ق

حبل الوريد

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾

عندما نراجع ما ذكره المفسرون من السلف الصالح بخصوص تفسير هذه الآية الكريمة، نجد أن تفسيرهم على أن (حبل الوريد) قد قصد به وعاء دموياً وريدياً، وهو العرق بجانب العنق (الوريد الوداجي) (Jagular Vein)، فمثلاً **قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية: (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) هو حبل العاتق، وهو ممتد من ناحية حلقه إلى عاتقه، وهما وريدان عن يمين وشمال وهذا تمثيل للقرب، أي نحن أقرب إليه من حبل وريده الذي هو منه.**

ولكن التفسير الطبي المعاصر لهذه الآية الكريمة، وعند تدبرها وفق المعطيات والحقائق الطبية (التشريحية والفسلجية في وظائف أعضاء الجهاز العصبي) المكتشفة حديثاً، تعطينا تفسيراً آخر لحبل الوريد أكثر دقة وتطبيقاً، والتي تجعل التفسير المذكور أعلاه مناسباً للمفهوم حسب المستوى العلمي في وقتهم، ولكن في الوقت الحاضر (والله أعلم) له مفهوم آخر يضاف إلى السابق، هو أن حبل الوريد هو جذع الدماغ (Brain Stem). فعبارة (حبل الوريد) قد لا تعني بالضبط وعاءً دموياً، لأن الحبل هو ما يكون غير مجوف (غير أنبوبي)، ولا يمكن أن يسمى حبلاً إذا أصبح مجوفاً. ولقد ربط الله سبحانه وتعالى في هذه الآية بين وسوسة النفس وبين قربه من حبل الوريد،

وعلى اعتبار أن الوسوسة تحصل في الدماغ، فإن هناك أعضاءً وأوردة أخرى في الدماغ هي أقرب إليه من (الوريد الوداجي-العنقي) في الرقبة. وعليه كان من باب أولى أن يتم ذكرها بدلاً من هذا العرق، فضلاً عن أن العرق الدموي ليس له علاقة مباشرة بعملية الوسوسة. فلو كان المقصود بحبل الوريد ذلك العرق الذي ينقل الدم من الدماغ، فإن هناك عروقاً أخرى لا تقلُّ أهمية عن العرق الأول، تقوم بنقل الدم من أماكن أخرى غاية في الأهمية من الدماغ.

أضف إلى ذلك أن الإشارة القرآنية إلى حبل الوريد كونه عضواً فردياً وغير مزدوج، وهذه الحقيقة لا تتفق مع التفسير السابق المصطلح عليه حتى الآن، إذ إن هناك في كل جانب من الرقبة عرقاً (وريداً) مستقلاً، فيكون هناك عرقان (وريدان) في الرقبة (أيمن وأيسر)، كما ذكر القرطبي في تفسيره المذكور أعلاه (وليس واحداً).

والآية الكريمة قد تجلت فيها ثلاث صفات عظيمة لله تعالى، دلت على قدرته تعالى في تصريف إرادته ابتداءاً بخلق الإنسان، ومن ثم علمه بالوسوسة التي تحصل في النفس، وأنه تعالى أقرب للإنسان من حبل الوريد، حيث نبه تعالى على سعة علمه وكماله بخلق الإنسان، وعلمه بحاله وما يخطر بباله وما يجول في خاطره. وعليه لا بد أن يكون حبل الوريد هذا ذا أهمية كبيرة بذلك، وبما أن الله تعالى قد ربط بين وسوسة النفس وبين حبل الوريد في آية واحدة، فإنه من البديهي أن تكون له علاقة وثيقة بعملية الوسوسة، وبالتالي كان لا بد أن يكون حبل الوريد غير الذي أشير إليه سابقاً على أنه عرق في العنق. إن أصل الوسوسة هو الحركة أو الصوت الخفي الذي لا يحس فيحترز منه، وعلى الأغلب فإن وسوسة النفس (الكلام الخفي الذي يحصل في النفس) ذات علاقة مباشرة بالذهن، وأن الذهن هو المظهر الذاتي أو الباطني للدماغ والذي يقوم بوظائف استرجاعية، فهو عبارة عن جهاز استرجاع ذاتي. وقد اتضح مؤخراً بأن هذا الجهاز هو من المظاهر المركزية للوعي.

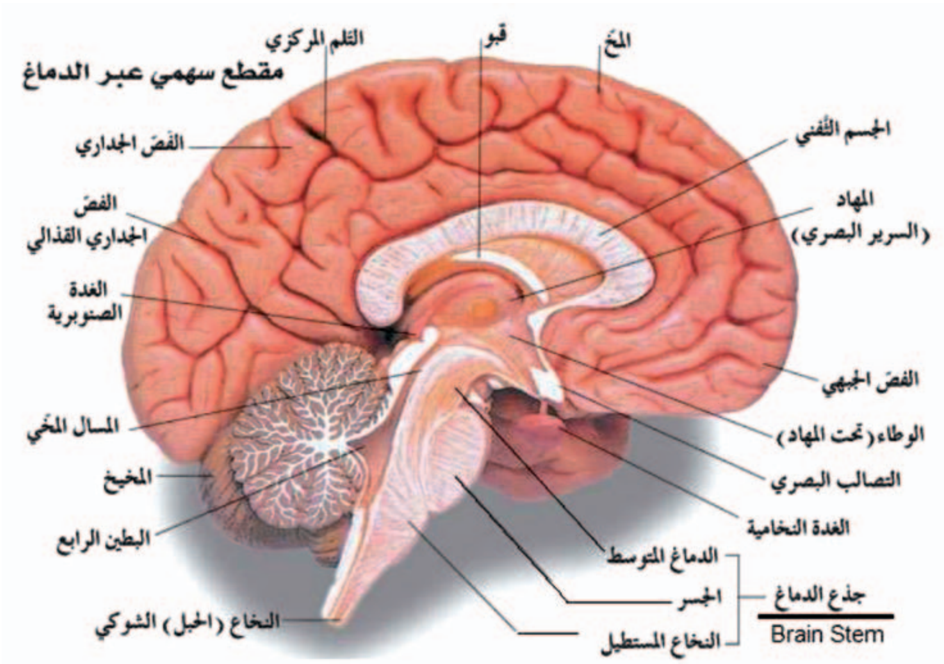
يتضح مما تقدم أن حبل الوريد هو جزء من أجزاء الدماغ المهمة، وله علاقة بالوعي واليقظة والأفعال الإرادية، وغير الإرادية وذو اتصال مباشر وغير مباشر مع معظم أجزاء الدماغ المختلفة. وباعتقادنا، فإن حبل الوريد

يكون على الأغلب هو جذع الدماغ (Brain Stem)، والذي يتألف من ثلاث مناطق رئيسة (الدماغ المتوسط والجسر والنخاع المستطيل).

لذلك فإن المقصود بحبل الوريد المذكور في القرآن الكريم هو والله أعلم جذع الدماغ (Brean Stem)، للأسباب الآتية:

١. إن جذع الدماغ هو جسم عصبي يبلغ طوله حوالي ٧,٥ سم، يختلف في تركيبه الأساس عن الأوعية الدموية التي تتميز جدرانها بخصائص تجعلها متخصصة لنقل الدم، وليس لها بأي حال من الأحوال صفات الحبل لربط أو تثبيت أعضاء أخرى، وهذا بخلاف جذع الدماغ الذي يعتبر وسيطاً لربط نصفي كرة المخ والمخيخ مع النخاع الشوكي، فتظهر خواص الحبل فيه **(مثل حزمة أسلاك الألياف الضوئية).**

٢. إن الحبل الذي عن طريقه ترد المعلومات من وإلى الدماغ (ذهاباً وإياباً)، هو تبيان لتوريد المعلومات والحوافز الواردة والداخلة إلى الدماغ من كافة أنحاء الجسم، والأوامر الصادرة والخارجة من الدماغ إليه.



شكل جانبي للدماغ يظهر فيها جذع الدماغ (Brain Sten) الذي هو (حبل الوريد)

٣. بالإضافة إلى هاتين الصفتين أعلاه (**كونه حبلاً وكونه مورداً للمعلومات**)، فإن لجذع الدماغ صفة مهمة أخرى، هي احتواؤه على الجهاز المنشط الشبكي الصاعد (ARAS)، والمراكز الحيوية المسؤولة عن وظائف الجسم ومراكز الأعصاب القحفية (من العصب III إلى العصب XII).

إن للجهاز المنشط الشبكي الصاعد وظائف عديدة، أهمها المحافظة على حالة الوعي، فيكون الإنسان في حالة انتباه وتيقظ. وكذلك فإن هذا الجهاز يجعل استلام المحفزات من قبل الدماغ ممكناً. ولو قطع الاتصال بين التكوين الشبكي وقشرة المخ لأصبح الشخص في حالة سبات عميق، فضلاً عن علاقة الجهاز الشبكي المنشط بالانتباه واليقظة والوعي والنوم وفعاليات الدماغ الكهربائية، فإنه يستلم أيضاً ويورد المعلومات من الأجهزة السمعية والبصرية والشمية، ولهذا فمن غير الغريب أن اعتبر كثير من الأطباء تلف جذع الدماغ معادلاً لموت الدماغ الكامل أو دليلاً على ذلك. وإذا رجعنا إلى الآية الكريمة نجد أن السياق مستمر يدل على ارتباط الوسوسة مع حبل الوريد، إذ يوجد ارتباط مباشر بين ما يُحدّث الإنسان به نفسه بصورة خفية، وبين ما يمكن أن يتحول من الأفكار والخواطر إلى فعاليات إرادية حركية. وهذه الفعاليات تكون ذات علاقة مباشرة وغير مباشرة مع جذع الدماغ، إذ تمر الإيعازات من خلاله إلى باقي أنحاء الجسم. وبذلك فإن الله تعالى قد أعلن في هذه الآية الكريمة أنه يعلم الوسوسة في وقت حدوثها، وكذلك قبل تحولها أو وصولها إلى جذع الدماغ، حيث يكون التحول من النية إلى الفعل الحركي في بداياته، وبالتعاون مع بقية أجزاء الدماغ الأخرى. فهو تعالى أقرب إلى الإنسان من هذه المرحلة، وهو سبحانه بذلك أقرب إلى الإنسان من وعيه وحسه ويقظته وانتباهه، وأن جميع هذه الفعاليات مهمة لإظهار عملية الوسوسة، فكان ذلك الربط الإعجازي في هذه الآية الكريمة بين عملية الوسوسة وبين حبل الوريد (جذع الدماغ)، وكل ما يحدث فيه من فعاليات مهمة.

وصدق الله العظيم إذ يقول في كتابه المعجز في هذا الخصوص أيضا:
﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧﴾ [الأعلى: ٨٧/٦-٧].
والله أعلم بمراده.

التفسير الطبي للآية رقم (٢١) من سورة الذاريات

الخارطة الوراثية - الجينية

قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ أي: وفي خلقكم آيات ودلائل، أي: وفي حال ابتداء خلقها، وتنقلها من حال إلى حال ما تحتار في تصوّره الأذهان - وحسبك بالقلوب - وما ركب فيها من عقول، وبالألسن والنطق ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة، وناهيك بما سوّى في الأعضاء من المفاصل، فإذا تعطل شيء منها جاء العجز، وإذا استرخى أناخ الذُّل؛ فتبارك اللّه أحسن الخالقين.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾: أغفلتم فلا تنظرون في أنفسكم فتبصرون هذا كلَّه بعين البصيرة وتقدرون نفعه لكم، وآثاره في حياتكم فيزداد إيمانكم، ويعظم شكركم، وهو تعنيف على ترك النظر في الآيات الأرضية والنفسية[١].

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ٩/١٠٩٤.

لقد خلق الله الكون ومن فيه من المخلوقات على أتم هيئة وأكمل وجه، مما يدل على كمال حكمته وألوهيته وربوبيته. وإن أعجب ما في هذا الكون من المخلوقات هو (الإنسان)! هذا المخلوق العجيب في خلقه وصورته وتركيبه، وما أبدع وأودع الله فيه من عجائب الصنع والتكوين والإتقان. قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٩٥/٤]، وذلك على كافة المستويات سواءً في خلق خلاياه وأنسجته المتنوعة، وأعضائه وأجهزته المتعددة المتعاونة تداخلياً في عملها، والمتناسقة ذاتياً في أداءِ وظائفها، وعلى أحسن ما يحتاجه هذا الإنسان، الذي جعله الله تعالى مفضلاً ومكرماً على كافة مخلوقاته، بقوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ١٧/٧٠].

وإن في قوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٥١/٢١]، في الآية موضوعة البحث إشارة قرآنية وتوجيه رباني بصيغة الاستفهام التقريري (يفيد التقرير)، للنظر إلى النفس البشرية والمراد بها هنا هو (**الشخص والإنسان بجملته**)، كما جاء في القاموس المحيط ص ٩٠٨، حيث إن في الإنسان من الآيات الباهرات التي يمكن ملاحظتها ومعرفتها، وحسب المستوى العلمي لذلك الوقت، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها! وكلما تقدمت العلوم والمعارف، زادت هذه المعرفة وظهرت تلك الآيات!

قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٤١/٥٣].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الروم: ٣٠/٨].

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [النمل: ٢٧/٩٣].

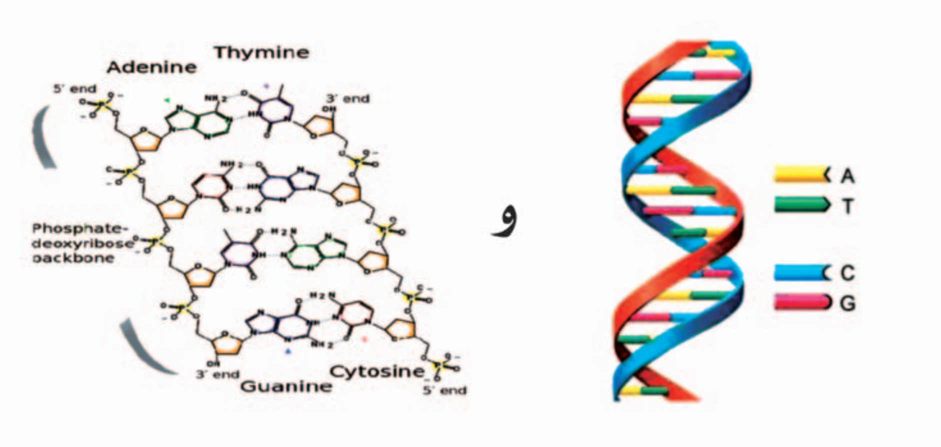
ومن أهم هذه الآيات الباهرات في الأنفس (الإنسان) التي توصل إليها العلم مؤخراً، وما زال يعمل لإكمال الكشف عن حقائقها هي: البصمة

الوراثية أو الخارطة الجينية (Genetic Map)، وما يسمى أيضاً الجينوم البشري (Human Genome)، التي هي أساس تكوينه وتشكل جميع صفاته وخواصه ظاهراً وباطناً! وتميزه ليس فقط عن جميع المخلوقات، وإنما أيضاً عن كل فرد من أفراد البشر، حيث إنه لكل واحد منهم خارطته الجينية وبصمته الوراثية الخاصة به!

ونستطيع القول (والله أعلم) إن من أهم الأمور المقصودة للنظر والتدقيق فيها والتفكر بها في قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾، هي هذه الخارطة الوراثية (الجينوم البشري)، لأهميته القصوى وكونه يمثل الإنسان بصورته الأولية المصغرة جداً، وما يطلق عليه (الإنسان الجيني)! حيث في ذلك الدليل القاطع على وحدانية وعظمة الخالق جلّ وعلا، وصولاً إلى الاعتبار والبرهان على وجوده ودقة خلقه وصنعه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: ٤/١٧٤].

ويتألف (الجينوم البشري) من نحو ثلاثة مليارات من القواعد الأمينية (النيكلوتيدات) (Nucleotides) في الخلية الواحدة، والتي تشبه الأحرف في اللغة، والتي تتألف من أربعة أنواع وهي: (أدنين=A) و(كوانين=G) و(ثايمين=T) و(سايتوسين=C)، مرتبة على سلسلة الدنا (DNA) بشكل حلزوني مزدوج (Double Helix)، مرتبطين بينهما بروابط هيدروجينية، بحيث إن القواعد الموجودة على أحد الحلزونين تمثل صورة الحلزون الآخر في المرآة، فتكون القاعدة (أدنين=A) مكملة للقاعدة (ثايمين=T)، والقاعدة (كوانين=G) مكملة للقاعدة (سايتوسين=C) وهكذا كما في الشكل التوضيحي التالي.

وتسمى هذه الأحرف الأربع برموز الحياة التي تتألف منها كلمات، (شفرات) الجينات (كتاب الحياة)، التي هي عبارة عن لغة خاصة (code)، ذات أحرف ينتج عنها كلمات، وتشكل كل ثلاثة قواعد نايتروجينية على هذه السلسلة الحلزونية المزدوجة كلمة، ينتج عنها حامض أميني (Amino Acid) معين.



وبعدد متنوع من هذه الكلمات، أي الأحماض الأمينية (كمّاً ونوعاً)، تتكون البروتينات والهورمونات، التي هي أساس بناء الخلية وعمل وظائفها الحياتية (البايولوجية). وهي بالفعل لغة ربانية تمثل المواصفات المطلوبة لذلك المخلوق كما ذكرنا، والموجودة على مناطق معينة من هذه السلسلة تسمى الجينات أو المورثات (Genes). وقد تم اكتشاف هذه اللغة (الجينات) ومعرفة معظم خواصها ووظائفها، وعددها المكتشف يتراوح مابين ٢٠،٠٠٠ الى ٢٥،٠٠٠ جين في الخلية الواحدة، وذلك ما بين الأعوام ١٩٩٨-٢٠٠٣ من قبل مشروع الجينوم البشري (Human Genome Project)، والذي شاركت في اكتشافه عدة دول عظمى، كفريق عمل (أمريكا، بريطانيا، ألمانيا، فرنسا واليابان)، ولا يزال البحث مستمراً لاكتشاف المزيد من أسراره!. ويعتبر هذا الاكتشاف أهم وأخطر اكتشاف توصل إليه العلم، والذي أعلن عنه في ١٤ أبريل ٢٠٠٣م. لأن الجينوم البشري هو الأساس الذي يتكون منه الإنسان كما ذكرنا.

ومع أن كل الكائنات الحية مختلفة في الصفات والأشكال، إلا أنها جميعاً تعتمد على وجود الحامض النووي (دنا=DNA) في كل خلاياها. فكل خلية في جسد الإنسان (والذي يتألف من نحو مئة ألف مليار خلية) تمثل وحدة بنائه، وتحتوي على صورة لذلك الإنسان، تحمل كل صفاته على الجينات كما ذكرنا. وفي داخل نواة الخلية يتكدس هذا الجينوم (الخارطة

الوراثية)، في حين لا يزيد عن ١,٠٠٠,٠٠٠/١ من الملمتر المكعب، ولكنه إذا فُرِدَ فإن طوله يبلغ المترين تقريباً. وقد شبّه أحد العلماء مخزون الخلية الواحدة من الثروة الوراثية بمكتبة قوامها ألف كتاب كتبت كلماتها بخط صغير، وكل كتاب مؤلف من ٥٠٠ صفحة، وتختلف من إنسان إلى آخر!

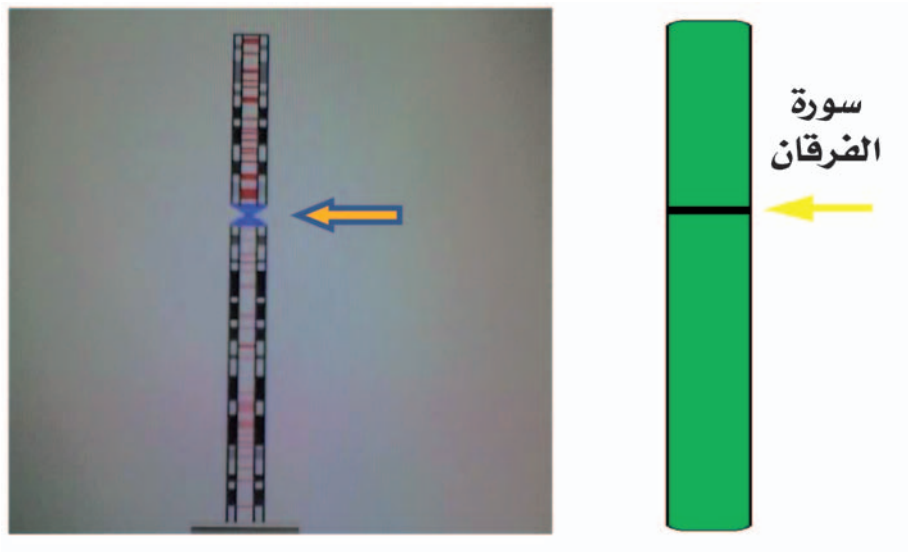
وهذه المعلومات موزعة في الجينات الموجودة على ٤٦ كروموسوماً (صبغياً)، والذي يشبه كل كروموسوم منها حرف إكس (X)، مرتبة على شكل أزواج عددها ثلاث وعشرون زوجاً متماثلاً بالشكل ومختلفاً بالتركيب الجيني، يتألف من ٢٣كروموسوماً (صبغياً) فردياً من نطفة الرجل (الحيمن)، و٢٣ كروموسوماً (صبغياً) فردياً آخراً من نطفة المرأة (البويضة)، وتأتي عن طريق الانقسام الخلوي، حيث إن عملية الانقسام الخلوي عملية جوهرية لحياة جميع الكائنات الحية، وتتجلى هذه العملية في ظاهرتين رئيسيتين عند كل الكائنات الحية. الأولى: هي للنمو وتعويض الخلايا الميتة، والثانية: هي للتكاثر.

وقد يكون في قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١/٥١]، وقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ [فصلت: ٥٣/٤١]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ﴾ [الروم: ٨/٣٠]، إشارة إلى وجود كلمات وآيات القرآن الكريم في الجينوم البشري! حيث إن المعنى العام لهذه الآيات الكريمة أعلاه، وكما يقول صاحب (التفسير الميسر) الدكتور عائض القرني في ص٥٦٣ (سيطلع الله الناس على براهين وحدانيته وقدرته في أقطار السماوات والأرض، ويريهم بديع صنعه وعجيب خلقه، **ويكشف لهم ما في أنفسهم من أسرار القدرة وعجائب التكوين ما يبهر العقول**). وكما ذكرنا أعلاه، فإن أحد أهم هذه الآيات الباهرات في النفس هي الخارطة الجينية، التي ذكرنا أنها لغة خاصة تتكون من كلمات مرتبة (جينات)، تصف ذلك الإنسان (**كتاب الحياة**). والقرآن الكريم يتألف كذلك من كلمات وآيات تصف منهاج ذلك الإنسان (كتاب الله)، فقد يكون في قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ﴾ و ﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾،

أعلاه: إشارة إلى وجود كلمات هذه الآيات القرآنية (والله أعلم) في مواقعها على الشريط الحلزوني المزدوج (الجينوم البشري)، متطابقة ومتناسقة مع ترتيب ورود السور والآيات الكريمة في المصحف الشريف، خاصة بالنسبة للصبغي (الكروموسوم) الجنسي إكس (X-Chromosome)، والذي يعتبر من أهم الكروموسومات في الخارطة الجينية، لاحتوائه على معظم الجينات (المورثات) المهمة في نقل الصفات الوراثية الجسمية والجنسية في الإنسان، والتي يبلغ عددها المعروف منها حتى الآن ما يقرب من ٢٠٠٠ جين، والتي تحتوي على أكثر من ٦،٠٠٠ من الإكسونات Exones، وهي المسؤولة عن الصفات الوراثية في الجينات. وهذا العدد يقارب عدد آيات القرآن الكريم البالغ ٦٢٣٦ آية كريمة. وكذلك لكونه الكروموسوم الوحيد في الذكر (XY) وكذلك في الأنثى (XX)، حيث إن أحدهما يعطل مفعوله (X- inactivation)، وذلك في المراحل الأولى لخلق الجنين، ويضمر مكوناً ما يسمى بجسيم البار (Barr bodies)، فيتصرف كأنما هو مفرد كما في حالة الذكر! فهل سيكون الإكسون الواحد في جينات هذا الكروموسوم يقابل آية كريمة؟!

علماً أن الكروموسوم إكس له طرف قصير (P) والآخر طويل (q)، يفصل بينهما منطقة ضيقة تسمى السنترومير (Centromere) أي منطقة المركز. يتطابق موقعه مع موقع سورة الفرقان ذات الترتيب رقم ٢٥ في القرآن الكريم، حيث إن هذه السورة تفرق القرآن الكريم إلى قسمين الأول يتألف من (٢٩٣٢) آية، والثاني (٣٣٠٤) آية، كما في الشكل الموضح.

وبالطبع، فإن العلم بتقنياته الحديثة والمتجددة، ربما سيكتشف هذه العلاقة فيعرفها الناس، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [النمل: ٩٣/٢٧]. والله أعلم بمراده.



مخطط يمثل التطابق بين ترتيب سور وآيات القرآن الكريم-اليمين- والكروموسوم اكس(X) -اليسار- ومنطقة المركز فيه Centromere المتماثل مع موقع سورة الفرقان في القرآن الكريم

صفحة بيضاء
رقم 218

التفسير الطبي للآيتين (٤٥ - ٤٦) من سورة النجم والآيات ذات الصلة بالموضوع

تحديد جنس الجنين

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةً مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [القيامة: ٧٥/٣٦-٤٠].

وقوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾﴾ [الشورى: ٤٢/٤٩].

ومعنى قوله تعالى: ﴿مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾، (أي: تصب في الرحم، يقال: منى الرجل وأمنى. قاله الضحاك وعطاء بن أبي رباح. وقال آخرون: تقدر، يقال: **منيت الشيء إذا قدرته**) كما جاء في تفسير البغوي (٧/ ٤١٨)، وكذلك ذكر الإمام الشوكاني هذا المعنى أيضاً في تفسيره لهذه الآية: (﴿إِذَا تُمۡنَىٰ﴾: (إذا تقدر. يقال: منيت الشيء إذا قدّرته. ومُنِيَ له أي قدّر له. والمعنى: أنه يقدر منه الولد) تفسير فتح القدير (٥/١١٦). وهذا المعنى يتفق مع قوله تعالى: ﴿مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [عبس: ٨٠/١٩]. أي (خلقه من ماء قليل - وهو المني- فقدره أطواراً) التفسير الميسر (ص٥٨٥).

ومن جملة هذا التقدير هو تصويره الآدمي وخلق سمعه وبصره وبقية أعضائه، وتعيين جنس الجنين هل هو ذكر أم أنثى!

والذي يهمنا في تفسير هذه الآيات المباركات هو تحديد جنس الجنين (ذكر أو أنثى)، والمدة التي يُعرف بها ذلك، والتي حددها المصطفى ﷺ، في الحديث الذي يرويه حذيفة بن أسيد (رض) عن النبي ﷺ في قوله: «**إذا مرّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة** بعث الله إليها ملكاً فصوّرها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يارب أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك»[(١)] وفي رواية أخرى لمسلم أيضاً: «لبضع وأربعين ليلة» والبضع لغة هو من الثلاثة إلى التسعة.

وفي حديث آخر أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٤٤) عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه أيضاً بلفظ آخر، يبلغ به النبي ﷺ قوله: «يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم **بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة**، فيقول يارب أشقي أم سعيد؟ فيكتبان. **فيقول: أي رب أذكر أم أنثى؟ فيكتبان**»[(٢)].

لقد أخبر النبي ﷺ في الحديث الأول أعلاه، أن الجنين قبل اليوم الثاني والأربعين لا يمكن تمييز صورته الإنسانية الآدمية، ولا تخلق أجهزته بصورة تامة، خاصة نوعية جنس الجنين إلا بعد هذا التاريخ. فالحديث يشير بوضوح إلى أن تشكيل الجنين بتصويره كإنسان وخلق سمعه وبصره وجلده ولحمه وعظامه وتمايز غدده التناسلية -ذكورية أو أنثوية- وتكوين أعضائه (Organogenesis)، التي تبدأ في الأسبوع الرابع وتنتهي في نهاية الأسبوع الثامن، وتبلغ أوجها في نهاية الأسبوع السادس (٤٢ يوماً من عمر الجنين بعد التلقيح الأولي وتكوين البيضة المخصبة-الزايكوت)، كما أثبته علم الأجنة البشري (Human Emberyology) (٣) وكما مبين في الشكل التالي:

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ٢٠٣٧/٤ برقم (٢٦٤٥).

(٢) رواه مسلم في صحيحه ٢٠٣٧/٤ برقم (٢٦٤٤).



الصورتان الحقيقيتان مأخوذتان من كتاب From Concepion to Brith

إذن فإننا في حالة الجمع بين الروايات المذكورة أعلاه، فإن دخول الملك للتصوير بالشكل الآدمي للجنين والتحديد النهائي لجنسه (ذكر أو أنثى)، هو مابين نهاية الأسبوع السادس ونهاية الأسبوع السابع من عمره (أي مابين ٤٠-٤٩ يوماً) **وتحديداً ٤٢ يوماً وما بعده.**

والشاهد هنا هو سؤال الملك ربَّ العزة سبحانه وتعالى عن جنس الجنين، **هل هو ذكر أم أنثى؟ وذلك لأنه لم يتحدد ويقدر نهائياً بعد!** حيث سيكون ذلك في هذه المدة وما بعدها وليس قبلها!.

وكما هو معروف في علم الوراثة أنه منذ بداية تلقيح وتكوين البويضة المخصبة -الزايكوت -(النطفة الأمشاج)، وذلك بالتقاء الحيمن مع البويضة، يتحدد مبدئياً جنس الجنين. حيث إذا التقى الحيوان المنوي الذي يحمل الكروموسوم الجنسي الذكري (Y)، مع البويضة التي تحمل دائماً الكروموسوم الجنسي الانثوي (X)، يكون نوع الجنين ذكراً (XY). أما إذا التقى الحيوان المنوي الذي يحمل الكروموسوم الجنسي الأنثوي (X) معها فيكون نوع الجنين أنثى (XX).

ولكن عند التدقيق في تدبر وفهم هذه الآيات القرآنية والأحاديث

النبوية لغوياً وتفسيرياً، ووفق أحدث المعطيات العلمية في علم الأجنة والوراثة، فإنها تعطينا إشارات طبية إعجازية في تحديد جنس الجنين، توصل إليها العلم حديثاً، حيث يشكل ذلك سبقاً علمياً متميزاً يمكن أن نلخصها بالنقاط التالية:

١. إن الغدد التناسلية للجنين (Gonads) تكون غير متميزة من ناحية نوعية الجنس (مشتركة) حتى نهاية الأسبوع السادس من عمر الجنين (Sexually undifferentiated)، وبعد هذه المدة (٤٢ يوماً بالضبط) تبدأ بالتمايز بأن تأخذ المسار الذكري أو الأنثوي!(٤)

Embryos are genotypically boy or girl from the time of conception. Howeer the do not start to differentiate into sexes until about 6 weeks of gestation. The gonads and tubes are undifferentiated at first and could become either male or female after 42 days.

وهذا ما أكده أيضاً الأستاذ الدكتور (كيث مور) عالم الأجنة الشهير في كتابه (علم الأجنة السريري - مراحل التخليق البشري وموافقته مع ما ورد في القرآن والسنة). (٥)

The type of gonads that develop or gonads sex, is determined by the sex chromosome complex (XX or YY). Before the seventh week of embryonic life, the gonads of both sexes are identical in appearance and referred to as indifferent gonads. (5)

٢. في حالة فحص الغدد التناسلية للجنين الساقط (Aborted Fetous) بعمر ٦ أسابيع وما قبل، ذلك لمعرفة نوعية جنسه من الناحية التشريحية النسيجية، فليس بالإمكان معرفته - هل هو ذكر أم أنثى - لأن ذلك لم يتحدد بعدا! (٦)

According to Hamilton and Mossman (1992), the sex of aborted fetus at six weeks cannot be determined by histological examination of the gonads.

ولم يكن أحد يعرف سابقاً أن الغدد التناسلية التي تتكون في الأسبوع الخامس من عمر الجنين، تكون غير متمايزة ولا يمكن معرفتها ذكرية أو

أنثوية، إلا بعد مرور ٤٢ يوماً (**أو ما حولها باختلاف الأجنة من ناحية نموها، فبعضها أسرع نمواً من الآخر. ولهذا وردت في الأحاديث الشريفة مدة أربعين وثنتين وأربعين وخمسٍ وأربعين أو بضع وأربعين ليلة**) حيث يدخل عليها الملك في هذه المدد، ويحولها بأمر الله تعالى إلى ذكرية أو أنثوية!

٣. لقد اكتُشِفَ حديثاً وفي السنوات الأخيرة فقط، وعند دراسة آلاف الحالات من الحمل في بداياته لمعرفة نوع جنس الجنين، وذلك بواسطة آلة التصوير بالموجات فوق الصوتية، المتطورة وباستعمال الدوبلر الملون (Coloured Ultrasonography-2D with bloodflow Doppler)، ومتابعتها بعد الولادة والتأكد من صحة النتائج، تبين أن بدايات تكوين زغابات المشيمة وأوعيتها الدموية (Chorionic Villi) تظهر في نهاية الأسبوع السادس أو منتصف الأسبوع السابع (ما بين ٤٢-٤٥) يوماً، كما جاء في الأحاديث النبوية الشريفة المذكورة في صحيح الإمام مسلم وغيره، والتي جاء ذكر قسم منها أعلاه، وكما ظهر من النتائج أن معظم حالات الحمل الذكرية كان موقع انغراسها (التعشيش) (Implantation) في الجهة اليمنى من بطانة الرحم، والأنثوية في الجهة اليسرى منه وذلك بنسبة ٩٧,٥٪ من الحالات كما هو مبين في الجدول وصور السونار المرفقة مع خلاصة البحث باللغة الإنجليزية أدناه: (٧)

The Relationship Between Placental Location and Fetal Gender

Abstract

The aim of this study is to determine the relationship between placemetnal/ chorionic villi leberality and fetal genders early in pregnancy using 2-D Utrasonography and color flow Doppler.

Material and Method

This is a multi-center prospective cohort study of 5376 pregnant women that underwent Ultrasonography from 1997 to 2007. Trans-vaginal songrams were performed in 22% of the patients at 6 weeks gestation (42 days), and Trans abdominal sonograms were used at 18 - 20 weeks gesta-

tion, at this time the fetal gender were confirmed in 98-99%. The fetal sex was confirmed 100% after delivery.

Result:

Dramatic differences were detected in chorionic villi/ placental location according to gender. 97.2% of the male fetuses had a chorionic vill/placenta location on the right side of the utereas, 2.4% had a chorionic vill/placenta location to the left of the uterus. On the other hand 97.5% of female fetuses had a chorionic villi/placenta location to the left of the uterus, whereas 2.7% had their chorionic villi/placenta location to the right side of the uterus as shown in the table below:

Table showing the total number and Percentage of each group of Placental Location and Fetal Gender - Both grups (n = 5376).

Groups	Total on both sexes	Placental location	Percentages
Group 1 Male feusese	n = 2903	2825 male with placental to right side or variance of right	97.25%
Group 1 Female fetuses	n = 2903	78 females with placental located to right side or variance of right	2.7%
Group 2 Female fetuses	n = 2473	2414 females with placenta located to left side or variance of left	97.5%
Group2 Male fetuses	N = 473	59 females with placenta to left side or variance of left	2.4%

P value < 0.001 is very significant.

Fig number 1: showing Color flow image of 6 weeks chorionic villi 6 weeks fetus with posterior right lateral flow marking the chorionic villi blood flow is showing in this transverse ultrasound image.

This was proven a male fetus after delivery.

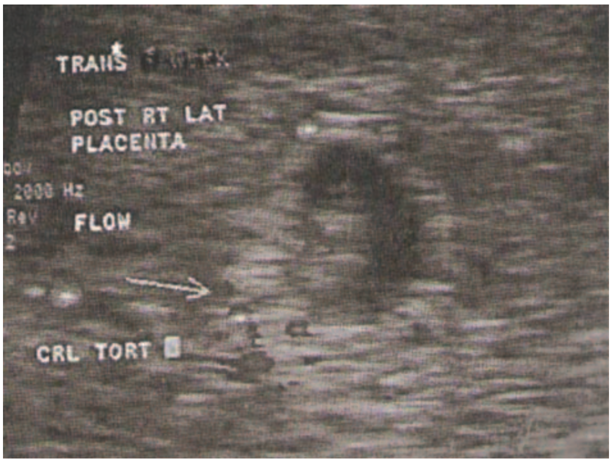
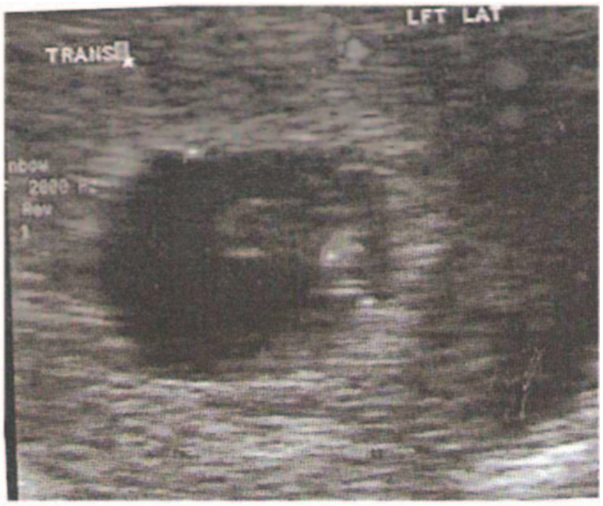


Fig number 2: Showing Left lateral chorionic blood flow. Six weeks fetus with left lateral chorionic blood flow, was a proven a female fetus after delivery.



Conclusion:

This method in using placenta/chorionic villi location as a marker for fetal gender detection at 6 weeks gestation, (42 days) was found to be highly reliable. This method correctly predicts the fetus gender in 97.2% fo males and 97.5% of females early in the first trimester.

ومن نتائج البحث أعلاه يتبين أنه ربما يكون لجهة التعشيش للجنين، وموقع ذلك في الرحم، دور في التحديد النهائي لنوعية جنس ذلك الجنين

(ذكر أو انثى)، لأن هناك احتمالاً ولو قليلاً جداً أن يتغير!!، أي أنه في حالة كون البويضة الملقحة (زايكوت) (Zygot) أنثى (XX) مثلاً، وحصل انغراسها في الجهة اليمنى من الرحم، فيمكن أن يتحول الجنين إلى ذكر! وإن ظاهرة تغيير جنس الجنين بعد التلقيح الأولي معروفة ومثبتة علمياً في عالم الحيوان والنبات وتسمى (Sequential hermaphrodites)، يمكن الرجوع لمعرفتها إلى مصادرها. (٨)

Sequential hermaphrodites start off as one sex and switch to the other of the need arises, such as when the breeding member of one sex is removed by death or other means.

٤. يقول الدكتور محمد علي البار في كتابه الموسوم عن (الذكورة والأنوثة):

(إن تحديد الهوية الجنسية للجنين - الجندر - Gender تبدأ عادة من لحظة تلقيح الحيمن للبويضة لتكوين البيضة المخصبة - النطفة الأمشاج - (الزيجوت)، ولكنها تمر بعد ذلك بمراحل متعددة، التي قد تؤدي إلى مشكلة الاختلاط في تحديد الجنس، نتيجة عدم وجود تناسق أو وجود تعارض بين أحد مستويات تحديد الجنس والمستويات الأخرى وهي:

أ- المستوى الصبغي (الكروموسومي).

ب- المستوى الغددي.

ج- مستوى الأعضاء التناسلية الباطنية.

د- مستوى الأعضاء التناسلية الظاهرة. (٩)

وهذا يعني أن جنس الجنين (الهوية الجنسية) قد يتغير، وأن التحديد النهائي له لا يتم إلا في نهاية الأسبوع السادس (نحو ٤٢ يوم وما بعده)!

التوافقات العددية!

وإذا لاحظنا **أرقام الآيات الكريمة الثلاث موضوع البحث أعلاه في سور النجم والقيامة والشورى**. فإن هذه الأرقام تتطابق مع المدة المذكورة في ظهور الشكل الآدمي لصورة الجنين والمعرفة النهائية لنوعية جنسه: ذكراً أم أنثى، حيث تتراوح أرقامها جميعاً ما بين نهاية الأسبوعين السادس والسابع!! ومن العجيب أن **رقم سورة الشورى - المذكورة في بداية البحث ذات الصلة بالموضوع هو ٤٢، ورقم الآية ٤٩** في قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾﴾ [الشورى: ٤٢/٤٩]، حيث يتطابقان مع العدد المذكورة في الأحاديث النبوية المباركة موضوعة البحث! مما يعزز حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام خاصة في قوله: «**إذا بلغت النطفة ثنتان وأربعون يوماً**...» الحديث. ويرجح هذه المدة التي أثبتها العلم. وهذا من الإعجاز العددي في القرآن الكريم، حيث إن كلام الخالق يتطابق ويتوافق مع خلقه! وهذا أحد الأمثلة عن (مطابقة الحقائق العلمية للآيات القرآنية) (١٠)

قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ٦٧/١٤].

وختاماً

فإن التحديد النهائي لجنس الجنين في الإنسان سيتم مابعد ٤٢ يوماً من عمره. وهذا ما يمكن استنباطه من حديث المصطفى ﷺ المذكور أعلاه، وهذا هو السبب -والله أعلم- في سؤال الملك لرب العزة عن نوعية الجنين هل هو ذكر أم أنثى؟ وذلك عندما يدخل عليه في هذه المدة، لأنه لم يتقدر نهائياً قبل ذلك، كما أثبت ذلك الجديد في علم الأجنة البشري والوراثة، مصداقاً لحديث الصادق المصدوق سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.
قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٥٣/٣-٤].

صدق الله العظيم والله أعلم بمراده.. والحمد لله رب العالمين.

أهم المصادر

(١) تفسير القرآن الكريم للبغوي والشوكاني وفتح القدير والتفسير الميسر، إعداد نخبة من العلماء - وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية - ط ٢ - مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة المنورة (١٤٣١ هـ- ٢٠١٠ م).

(٢) جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب الحنبلي - تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس - ط ١٠ - ج١/ ص ١٥٨ وص ١٦٤ - ١٦٥، مؤسسة الرسالة - بيروت (١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٤م).

(3) Keith L. Moore, The Developing Human, (Human Sex Development) W. B. Saunders Company 1983, Third Edition, pp 272a-273b.

(4) PC Sizonenko in Pediatric Endocrinology, Edit by J. Bertand, R. Rappaport, and Pc Sizonenko\ (Baltimore: Williams & Wilkins, 1993), pp. 88 - 89.

(5) Keith L. Moore, The Devoloping Human, (Sex Determination) W.B. Saunders Company 1983, Third Edition, pp 272 - 274.

(6) Hamilton, Boyd and Mossman, Human embryology J Anat. 1972 November; 113 (Pt 2): 264-265.

(7) Saad Ramzi Ismail- The Relationship Between Placental Location adn Fetal Gender (Ramzi's Method). http://hcp.obgyn.net/content/article/1760982/1878451

(8) David Policansky-Sex Change in Plants and Animals, Annual Review of Ecology and Systematics-Vo. 13, (1982), pp. 471 - 495.

(٩) محمد علي البار وياسرصالح جمال - الذكورة والأنوثة بين التصحيح والتغيير والاختيار - مركز النشر العلمي - جامعة الملك عبد العزيز - جدة - المملكة العربية السعودية - الطبعة الأولى (١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦م).

(١٠) محمد جميل الحبال - العلوم المعاصرة في خدمة الداعية الإسلامي (مطابقة الحقائق العلمية للآيات القرآنية) الطبعة الأولى - مكتبة دار المنهاج القويم - دمشق (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م).